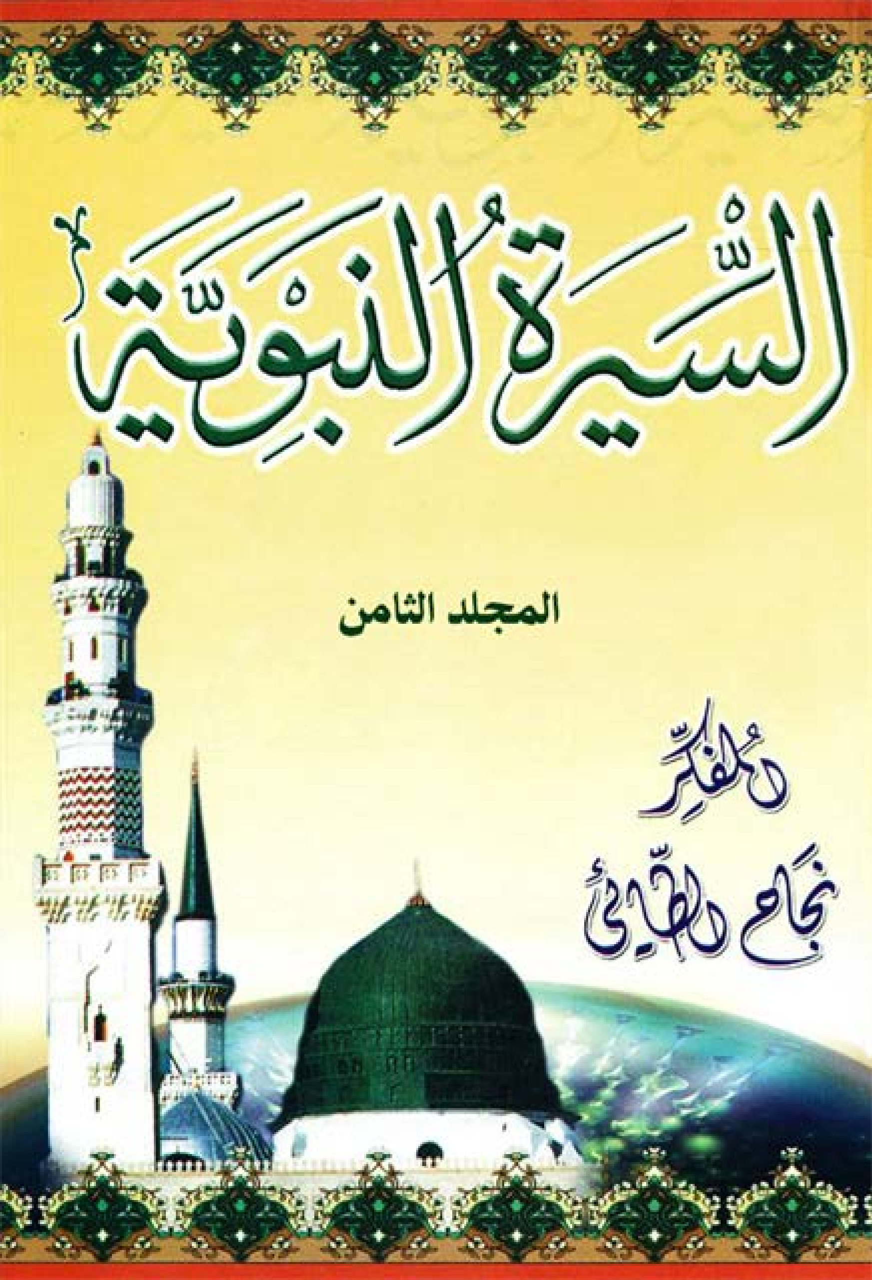

السيرة النبوية
المجلد الثامن
المفكر
نجاح الطائي

السيرة النبوية

الجزء الثامن

تأليف

نجاح الطائي



القسم الرابع:

علوم عثمان

الباب الأوّل:

النواحي المختلفة



الفصل الأول:

القضايا الفقهية والعلمية

أبطل عثمان سنة القصر في الصلاة

معاداة الأمويين للنبي ﷺ ألقت بظلالها على أفعال عثمان الذي خالف رسول الله ﷺ في كثير من الافعال ولم يتورع عن مخالفته في الصلاة ﷺ

قال أحمد بن حنبل[1] : صلّى رسول الله ﷺ الصلاة بمنى ركعتين وصلّاها أبو بكر بمنى ركعتين، وصلّاها عمر بمنى ركعتين، وصلّاها عثمان بن عفان بمنى ركعتين أربع سنين ثمّ أتمّها بعدُ،فأبطل سنة القصر في الصلاة [2].

وأخرج الشيخان وغيرهما بالإسناد عن عبدالرحمن بن يزيد قال: صلّى بنا عثمان بن عفان بمنى أربع ركعات، فقيل ذلك لعبدالله بن مسعود، فاسترجع ثمّ قال: صلّيت مع رسول الله ﷺ بمنى ركعتين، وصلّيت مع أبي بكر بمنى ركعتين، وصلّيت مع عمر بن الخطّاب بمنى ركعتين، فليت حظّي من أربع ركعات ركعتان متقبّلتان[3].

---

(١) مسند أحمد ٢ / ١٤٥.

(٢) العواصم من القواصم ،ابن عربي ٦١.

(٣) صحيح البخاري، ٢ / ١٥٤ [١/٣٦٨ ح١٠٣٤] ، صحيح مسلم، ١/٢٦١ [٢/١٤٣ ح١٩ كتاب صلاة

وأخرج أبو داود وغيره عن عبدالرحمن بن يزيد قال: صلّى عثمان بمنى أربعاً، فقال عبدالله: صلّيت مع رسول الله ﷺ ركعتين، ومع أبي بكر ركعتين، ومع عمر ركعتين، ومع عثمان صدراً من إمارته ثمّ أتمّها، ثمّ تفرّقت بكم الطرق فلوددت أنّ لي من أربع ركعات ركعتين متقبّلتين، قال الأعمش: فحدّثني معاوية بن قرّة عن أشياخه: أنّ عبدالله صلّى أربعاً فقيل له: عبت على عثمان ثمّ صلّيت أربعاً؟

قال: الخلاف شرّ[1].

وأخرج البيهقي[2] عن عبدالرحمن بن يزيد قال: كنّا مع عبدالله بن مسعود بجمع، فلمّا دخل مسجد منى قال: كم صلّى أمير المؤمنين؟

قالوا: أربعاً. فصلّى أربعاً قال: فقلنا: ألم تحدّثنا أنّ النبيّ ﷺ صلّى ركعتين، وأبا بكر صلّى ركعتين؟ فقال: بلى وأنا أحدّثكموه الآن، ولكن عثمان كان إماماً فما أخالفه والخلاف شرّ.

وأخرج البيهقي[3]، عن عثمان بن عفّان أنّه أتمّ الصلاة بمنى، ثمّ خطب الناس فقال: يا أيّها الناس إنّ السنّة سنّة رسول الله ﷺ وسنّة صاحبيه، ولكنّه حدّث العام من الناس فخفت أن يستنّوا، وأخرجه ابن عساكر كما في كنز العمال[4].

وأخرج أبو داود وغيره عن الزهري: أنّ عثمان بن عفّان أتمّ الصلاة بمنى من أجل الأعراب لأنّهم كثروا عامئذٍ فصلّى بالناس أربعاً ليعلمهم أنّ الصلاة أربعاً[5].

← المسافرين]، مسند أحمد: ٤٢٥/١ [٧٠٠/١ ح ٤٠٢٤].

(١) سنن أبي داود: ٣٠٨/١ [١٩٩/٢ ح ١٩٦٠]، الآثار للقاضي أبي يوسف: ص ٣٠، كتاب الأم للشافعي: ١٥٩/١ و ١٧٥/٧ [١٨٥/١ و ٢٤٨/٧].

(٢) سنن البيهقي ٣ / ١٤٤.

(٣) السنن الكبرى ٣ / ١٤٤.

(٤) كنز العمال: ٢٣٤/٨ ح ٢٢٧٠١.

(٥) سنن أبي داود: ٣٠٨/١ [١٩٩/٢ ح ١٩٦٤]، سنن البيهقي: ١٤٤/٣، تيسير الوصول: ٢٨٦/٢ [٣٤٣/٢].

وروى ابن حزم في المحلّى[١]: اعتلّ عثمان وهو بمنى، فأتى عليّ عليه السلام فقيل له: صلّ بالناس فقال: إن شئتم صلّيت بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعني ركعتين قالوا: لا، إلّا صلاة أمير المؤمنين ـ يعنون عثمان ـ أربعاً فأبى. وذكره ابن التركماني في ذيل سنن البيهقي[٢]. وأخرج إمام الحنابلة أحمد في مسنده[٣] عن عبدالله بن عمر قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فكان يصلّي صلاة السفر ـ يعني ركعتين ـ ومع أبي بكر وعمر وعثمان ستّ سنين من إمرته ثمّ صلّى أربعاً.

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى[٤]: أنّ رجلاً سأل عمران بن حصين عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله في السفر فقال: ائت مجلسنا. فقال: إنّ هذا قد سألني عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله في السفر فاحفظوها عنّي:

ما سافر رسول الله صلى الله عليه وآله سفراً إلّا صلّى ركعتين حتى يرجع ويقول: يا أهل مكّة قوموا فصلّوا ركعتين فإنّا سفر، وغزا الطائف وحنين فصلّى ركعتين، وأتى الجعرانة فاعتمر منها، وحججت مع أبي بكر واعتمرت فكان يصلّي ركعتين، ومع عمر بن الخطّاب فكان يصلّي ركعتين، ومع عثمان فصلّى ركعتين صدراً من إمارته، ثمّ صلّى عثمان بمنى أربعاً. وفي لفظ الترمذي في الصحيح[٥]: ومع عثمان ستّ سنين من خلافته أو ثماني سنين فصلّى ركعتين، فقال: حسن صحيح.

← نيل الأوطار: ٢/ ٢٦٠ [٣/ ٢٤١].

(١) المحلّى ٤/ ٢٧٠.

(٢) سنن البيهقي ٣/ ١٤٤.

(٣) مسند أحمد: ٢/ ١٣٧ ح ٥٠٢١.

(٤) سنن البيهقي ٣/ ١٥٣.

(٥) سنن الترمذي: ٢/ ٤٣٠ ح ٥٤٥.

وفي الكنز[١] من طريق الدارقطني عن ابن جريج قال: سأل حميد الضمري ابن عباس فقال: إنّي أسافر فأقصر الصلاة في السفر أم أتمّها؟

فقال ابن عباس: لست تقصرها ولكن تمامها وسنّة رسول الله ﷺ، خرج رسول الله ﷺ آمناً لا يخاف إلّا الله فصلّى اثنتين حتى رجع، ثمّ خرج أبو بكر لا يخاف إلّا الله فصلّى ركعتين حتى رجع، ثمّ خرج عمر آمناً لا يخاف إلّا الله فصلّى اثنتين حتى رجع، ثمّ فعل ذلك عثمان ثلثي إمارته أو شطرها ثمّ صلّاها أربعاً، ثمّ أخذ بها بنو أُمية، قال ابن جريج: فبلغني أنّه أوفى أربعاً بمنى فقط من أجل أنّ اعرابياً ناداها في مسجد الخيف بمنى: يا أمير المؤمنين ما زلت أُصلّيها ركعتين منذ رأيتك عام أوّل صلّيتها ركعتين، فخشي عثمان أن يظنّ جهّال الناس الصلاة ركعتين وإنّما كان أوفاها بمنى.

وأخرج أحمد في المسند[٢] من طريق عباد بن عبدالله قال: لمّا قدم علينا معاوية حاجّاً صلّى بنا الظهر ركعتين بمكّة، ثمّ انصرف إلى دار الندوة فدخل عليه مروان وعمرو بن عثمان فقالا له: لقد عبت أمر ابن عمّك لأنّه كان قد أتمّ الصلاة، وكان عثمان حيث أتمّ الصلاة إذا قدم مكّة صلّى بها الظهر والعصر والعشاء أربعاً أربعاً، ثمّ إذا خرج إلى منى وعرفة قصّر الصلاة فإذا فرغ الحجّ وأقام بمنى أتمّ الصلاة، وذكره ابن حجر في فتح الباري[٣]، والشوكاني في نيل الأوطار[٤].

---

(١) كنز العمال: ٨/٢٣٨ ح ٢٢٧٢٠.

(٢) مسند أحمد: ٥/٥٨ ح ١٦٤١٥.

(٣) فتح الباري: ٢ / ٥٧١.

(٤) نيل الأوطار: ٣ / ٢٤٠ ـ ٢٤١.

وروى الطبري في تاريخه[١] وغيره: حجّ بالناس في سنة (٢٩) عثمان فضرب بمنى فسطاطاً فكان أوّل فسطاطٍ ضربه عثمان بمنى، وأتمّ الصلاة بها وبعرفة، فذكر الواقدي بالإسناد عن ابن عباس قال: إنّ أوّل ما تكلّم الناس في عثمان ظاهراً أنّه صلّى بالناس بمنى في ولايته ركعتين حتى إذا كانت السنة السادسة أتمّها، فعاب ذلك غير واحد من أصحاب النبيّ ﷺ، وتكلّم في ذلك من يريد أن يكثر عليه حتى جاءه عليّ فيمن جاءه فقال: والله ما حدث أمر ولا قَدُم عهد ولقد عهدت نبيّك ﷺ يصلّي ركعتين، ثمّ أبا بكر، ثم عمر، وأنت صدراً من ولايتك، فما أدري ما يرجع إليه؟ فقال: رأي رأيته.

وعن عبدالملك بن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن عمّه قال: صلّى عثمان بالناس بمنى أربعاً فأتى آتٍ عبدالرحمن بن عوف فقال: هل لك في أخيك قد صلّى بالناس أربعاً. فصلّى عبدالرحمن بأصحابه ركعتين، ثمّ خرج حتى دخل على عثمان فقال له: ألم تُصلّ في هذا المكان مع رسول الله ﷺ ركعتين؟

قال: بلى.

قال: ألم تُصلّ مع أبي بكر ركعتين؟

قال: بلى.

قال: أفلم تصلّ مع عمر ركعتين؟

قال: بلى.

قال: ألم تُصلّ صدراً من خلافتك ركعتين؟

قال: بلى.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ٢٦٧ حوادث سنة ٢٩ هـ

قال: فاسمع منّي يا أبا محمد إنّي أُخبرت أنّ بعض من حجّ من أهل اليمن وجفاة الناس قد قالوا في عامنا الماضي: إنّ الصلاة للمقيم ركعتان هذا إمامكم عثمان يصلّي ركعتين. وقد اتّخذت بمكّة أهلاً فرأيت أن أُصلّي أربعاً لخوف ما أخاف على الناس، وأُخرى قد اتّخذت بها زوجة، ولي بالطائف مال، فربّما اطلعته فأقمت فيه بعد الصدر.

الصلاة سكراناً

أخرج البلاذري في الأنساب[1]: أنّ الوليد بن عقبة شرب فسكر فصلّى بالناس الغداة ركعتين[2] ثمّ التفت فقال: ءأزيدكم؟

فقالوا: لا قد قضينا صلاتنا. ثمّ دخل عليه بعد ذلك أبو زينب وجندب بن زهير الأزدي وهو سكران فانتزعا خاتمه من يده وهو لا يشعر سكراً.

قال أبو اسحاق: وأخبرني مسروق أنّه حين صلّى لم يَرِمْ حتى قاء، فخرج في أمره إلى عثمان أربعة نفر: أبو زينب، وجندب بن زهير، وأبو حبيبة الغفاري، والصعب بن جثامة. فأخبروا عثمان خبره. فقال عبدالرحمن بن عوف: ماله أجنّ؟

قالوا: لا، ولكنّه سكر.

قال: فأوعدهم عثمان وتهدّدهم، وقال لجندب: أنت رأيت أخي[3] يشرب الخمر؟

---

(١) أنساب الأشراف ٥ / ٣٣.

(٢) هكذا في الأنساب وصحيح مسلم [٥٣٩/٣ ح ٣٨ كتاب الحدود] وأمّا بقيّة المصادر فكلّها مطبقة على أربع ركعات وستوافيك إن شاء الله تعالى.

(٣) كان الوليد أخاه لأمّه، أمّها أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس.

قال معاذ الله، ولكنّي أشهد أنّي رأيته سكران يقلسها من جوفه، وأنّي أخذت خاتمه من يده وهو سكران لا يعقل.

قال أبو إسحاق: فأتىٰ الشهود عائشة فأخبروها بما جرى بينهم وبين عثمان، وأنّ عثمان زبرهم، فنادت عائشة: أنّ عثمان أبطل الحدود وتوعّد الشهود.

وقال الواقدي: ويقال: إنّ عثمان ضرب بعض الشهود أسواطاً، فأتـوا عـليّاً فشكوا ذلك إليه، فأتىٰ عثمان فقال: «عطّلت الحدود وضربت قوماً شهـدوا عـلى أخيك فقلّبت الحكم، وقد قال عمر: لا تحمل بني أُميّة وآل أبي معيط خاصّة على رقاب الناس» قال: فما ترى؟

قال: «أرىٰ أن تعزله ولا تولّيه شيئاً مـن أُمـور المسـلمين، وأن تسأل عـن الشهود فإن لم يكونوا أهل ظنّة ولا عداوة أقمت على صاحبك الحدّ».

قال: ويقال: إنّ عائشة أغلظت لعثمان وأغلظ لها.

وقال: وما أنت وهذا؟ إنّما أُمِرتِ أن تقرّي في بيتك، فقال قوم مثل قوله:

وقال آخرون: ومن أولىٰ بذلك منها، فاضطربوا بالنعال، وكان ذلك أوّل قتال بين المسلمين بعد النبي ﷺ.

وأخرج من عدّة طرق: أنّ طلحة والزبير أتيا عثمان فقالا له: قد نهيناك عـن تولية الوليد شيئاً من أُمور المسلمين فأبيت وقد شُهد عليه بشرب الخمر والسكر فاعزله، وقال له عليّ ؑ: «اعزله وحُدّه إذا شهد الشهود عليه في وجـهه»، فـولّى عثمان سعيد بن العاص الكوفة وأمره بإشخاص الوليد، فلمّا قدم سعيد الكوفة غسل المنبر ودار الإمامة وأشخص الوليد، فلمّا شهد عليه في وجهه وأراد عثمان أن يحدّه

ألبسه جبّة حبر وأدخله بيتاً، فجعل إذا بعث إليه رجلاً من قريش ليضربه قال له الوليد: أنشدك الله أن تقطع رحمي وتغضب أمير المؤمنين عليك، فيكفّ فلمّا رأى ذلك عليّ ابن أبي طالب عليه السلام أخذ السوط ودخل عليه ومعه ابنه الحسن، فقال له الوليد مثل تلك المقالة، فقال له الحسن: صدق يا أبتِ، فقال عليّ عليه السلام: ما أنا إذاً بمؤمن، وجلده بسوط له شعبتان؛ وفي لفظ: فقال عليّ للحسن عليه السلام ابنه: قم يا بُنيّ فاجلده، فقال عثمان: يكفيك ذلك بعض من ترىٰ، فأخذ عليّ عليه السلام السوط ومشىٰ إليه فجعل يضربه والوليد يسبّه؛ وفي لفظ الأغاني: فقال له الوليد: نشدتك بالله وبالقرابة، فقال له عليّ عليه السلام: «اسكت أبا وهب فإنّما هلكت بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدود» فضربه وقال: «لتدعوني قريش بعد هذا جلّادها».

قالوا: وسُئل عثمان أن يحلق، وقيل له: إنّ عمر حلق مثله، فقال: قد كان فعل ذلك ثمّ تركه.

وقال أبو مخنف وغيره: خرج الوليد بن عقبة لصلاة الصبح وهو يميل فصلّى ركعتين ثمّ التفت إلى الناس فقال: «أزيدكم؟ فقال له عتاب بن علاق أحد بني عوافة بن سعد وكان شريفاً: لا زادك الله مزيد الخير، ثمّ تناول حفنة من حصى فضرب بها وجه الوليد وحصبه الناس وقالوا: والله ما العجب إلّا ممّن ولّاك، وكان عمر بن الخطاب فرض لعتّاب هذا مع الأشراف في ألفين وخمسمائة، وذكر بعضهم: أنّ القيّ غلب على الوليد في مكانه، وقال يزيد بن قيس الأرحبي ومعقل بن قيس الرياحي: لقد أراد عثمان كرامة أخيه بهوان أمّة محمد صلى الله عليه وآله، وفي الوليد يقول الحطيئة جرول بن أوس بن مالك العبسي:

شهد الحطيئةُ يوم يلقى ربَّه أنّ الوليدَ أحقُّ بالعذرِ
نادىٰ وقد نفدت[1] صلاتُهمُ أأزيدُكم؟ ثملاً وما يدري
ليزيدهم خيراً ولو قبلوا منهُ لزادهمُ على عشرِ
فأبوا أبا وهبٍ ولو فعلوا لقرنتَ بين الشفع والوترِ
حبسوا عنانَكَ إذ جَريتَ ولو خلّوا عنانكَ لم تزل تجري[2]

وذكر أبو الفرج في الأغاني[3]، وأبو عمر في الاستيعاب[4] بعد هذه الأبيات للحطيئة أيضاً قوله:

تكلّمَ في الصلاة وزاد فيها علانيةً وجاهر بالنفاقِ
ومجَّ الخمرَ في سنن المصلّى ونادىٰ والجميع إلى افتراقِ
ءأزيدكُم علىٰ أن تحمدوني فمالكمُ ومالي من خلاقِ

ثمّ قال أبو عمر: وخبر صلاته بهم وهو سكران وقوله: ءأزيدكم؟ بعد أن صلّى الصبح أربعاً مشهور من رواية الثقات من نقل أهل الحديث وأهل الأخبار.

وهكذا جاء في مسند أحمد[5]، سنن البيهقي، تاريخ اليعقوبي، وقال ابن الأثير: تهوّع في المحراب.

نداء يوم الجمعة الثالث

واستمر عثمان في مخالفة النبي ﷺ في الصلاة غير مكتفٍ بما استحوذ عليه من

---

(١) في الأغاني: ٤/١٧٨، ١٧٩ [٥/١٣٨، ١٤٠]: تمّت بدل نفدت.

(٢) وفي الأغاني: ٤ / ١٧٩ [٥/١٤٠]، حول هذه الأبيات رواية لا تخلو عن فائدة.

(٣) الأغاني: ٥ / ١٣٩.

(٤) الاستيعاب: القسم الرابع / ١٥٥٥ رقم ٢٧٢١.

(٥) مسند أحمد: ١ / ٢٣٣ ح ١٢٣٤، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٦٥، الكامل في التاريخ: ٢ / ٢٤٦ حوادث سنة ٣٠ هـ أُسد الغابة: ٥ / ٤٥٢ رقم ٥٤٦٨، سنن البيهقي ٨/٣١٨.

أموال ومناصب حكومية لبني أمية.

ومن البدع الخطيرة أخرج البخاري وغيره بالإسناد عن السائب بن يزيد: إنّ النداء يوم الجمعة كان أوّله في زمان رسول الله ﷺ وفي زمان أبي بكر وفي زمان عمر إذا خرج الإمام، وإذا قامت الصلاة، حتى كان زمان عثمان فكثر الناس فزاد النداء الثالث على الزوراء فثبتت حتى الساعة[1].

وفي لفظ البخاري وأبي داود: إنّ الأذان كان أوّله حين يجلس الإمام على المنبر يوم الجمعة في عهد النبيّ ﷺ وأبي بكر وعمر، فلمّا كان خلافة عثمان وكثر الناس، أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث، فأذّن به على الزوراء[2] فثبت الأمر على ذلك.

وفي لفظ النسائي: أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث فأذّن به على الزوراء.

وفي لفظ له أيضاً: كان بلال يؤذّن إذا جلس رسول الله ﷺ على المنبر يوم الجمعة فإذا نزل أقام، ثمّ كان كذلك في زمن أبي بكر وعمر.

وفي لفظ الترمذي: كان الأذان على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر إذا خرج الإمام أُقيمت الصلاة؛ فلمّا كان عثمان زاد النداء الثالث على الزوراء.

وفي لفظ البلاذري في الأنساب[3] عن السائب بن يزيد: كان رسول الله ﷺ إذا خرج للصلاة أذّن المؤذّن ثمّ يقيم، وكذلك كان الأمر على عهد أبي بكر وعمر،

---

(١) صحيح البخاري: ٢/٩٥، ٩٦ [١/٣٠٩ ح ٨٧٠، ٨٧٤]، صحيح الترمذي: ١/٦٨ [٢/٣٩٢ ح٥١٦]، سنن أبي داود: ١/١٧١ [١/٢٨٥ ح ١٠٨٧]، سنن ابن ماجة: ١/٣٤٨ [١/٣٥٩ ح ١١٣٥]، سنن النسائي: ٣/١٠٠ [١/٥٢٧ ح ١٧٠٠]، كتاب الأُم للشافعي: ١/١٧٣ [١/١٩٥]، سنن البيهقي: ١/٤٢٩، ٣/١٩٢، ٢٠٥، تاريخ الطبري: ٥/٦٨ [٤/٢٨٧ حوادث سنة ٣٠هـ]، كامل ابن الأثير: ٣/٤٨ [٢/٢٥٣ حوادث سنة ٣٠هـ]، فيض الإله المالك للبقاعي: ١/١٩٣ [١/٢٠١].

(٢) الزوراء: اسم موضع في سوق المدينة قرب المسجد، وهو مرتفع كالمنارة، معجم البلدان: ٣ / ١٥٦.

(٣) الأنساب، البلاذري ٢ / ٣١٥.

وفي صدر من أيّام عثمان، ثمّ إنّ عثمان نادى النداء الثالث في السنة السابعة[١] فعاب الناس ذلك وقالوا: بدعة.

وقال ابن حجر في فتح الباري[٢]: والذي يظهر أنّ الناس أذنوا بفعل عثمان في جميع البلاد إذ ذاك لكونه خليفة مطاع الأمر، لكن ذكر الفاكهاني: أنّ أوّل من أحدث الأذان بمكّة الحجّاج وبالبصرة زياد، وبلغني أنّ أهل المغرب الأدنى الآن لا تأذين عندهم سوى مرّة؛ وروى ابن أبي شيبة[٣] من طريق ابن عمر قال: الأذان الأوّل يوم الجمعة بدعة، فيحتمل أن يكون ذلك على سبيل الإنكار، ويحتمل أن يريد أنّه لم يكن في زمن النبيّ ﷺ، وكلّ ما لم يكن في زمنه يسمّى بدعة.

وحكى ما في الفتح، الشوكاني في نيل الأوطار[٤]، وذكر العيني في عمدة القاري[٥] حديث ابن عمر من أنّ الأذان الأوّل يوم الجمعة بدعة؛ وروى عن الزهري قوله: إنّ أوّل من أحدث الأذان الأوّل عثمان يؤذّن لأهل الأسواق، وقال: وفي لفظ: فأحدث عثمان التأذينة الثالثة على الزوراء ليجتمع الناس -إلى أن قال-: وقيل: إنّ اوّل من أحدث الأذان الأوّل بمكّة الحجّاج وبالبصرة زياد.

قال الأميني: ثمّ إنّ كثرة الناس على فرضها في المدينة هل حصلت فجائية في السابعة من خلافة عثمان؟ أو أنّ الجمعيّة كانت إلى التكثّر منذ عادت عاصمة الخلافة الإسلاميّة؟ فما ذلك الحدّ الذي أوجب مخالفة السنّة أو ابتداع نداء ثالث؟

---

(١) يعني السنة السابعة من خلافة عثمان توافق الثلاثين من الهجرة، كما في تاريخ الطبري [٤/٢٨٧ حوادث سنة ٣٠ هـ] وغيره.

(٢) فتح الباري: ٢ / ٣٩٤.

(٣) مصنّف ابن أبي شيبة: ٢ / ٤٨ ح ٣.

(٤) نيل الأوطار: ٣ / ٢٩٨.

(٥) عمدة القاري: ٦ / ٢١١.

وهل هذه السنّة المبتدعة يجري ملاكها في العواصم والأوساط الكبيرة التي تحتوي أضعاف ما كان بالمدينة من الناس فيكرّر فيها الأذان عشرات أو مئات؟ سل الخليفة وأنصاره المبرّرين لعمله.

على أنّ كثرة الناس في المدينة إن كانت هي الموجبة للنداء الثالث فلماذا أخذ فعل الخليفة أهل البلاد وعمل به؟ ولم يكن فيها التكثّر، وكان على الخليفة أن ينهاهم عنه وينوّه بأنّ الزيادة على الأذان المشروع تخصّ بالمدينة فحسب، أو يؤخذ بحكمها في كلّ بلدة كثر الناس بها.

نعم، فتح الخليفة باب الجرأة على الله فجاء بعده معاوية ومروان وزياد والحجّاج ولعبوا بدين الله على حسب ميولهم وشهواتهم والبادي أظلم.

توسيع المسجد الحرام

هل تؤخذ بيوت الناس للمسجد بالقوّة؟

قال الطبري في تاريخه[1] في حوادث سنة (٢٦) الهجرية: وفيها زاد عثمان في المسجد الحرام ووسّعه، وابتاع من قوم وأبىٰ آخرون، فهدم عليهم ووضع الأثمان في بيت المال، فصاحوا بعثمان فامر بهم الحبس وقال: أتدرون ما جرّأكم عليّ؟ ما جرّأكم عليّ إلّا حلمي، قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به، ثمّ كلّمه فيهم عبدالله بن خالد بن أسيد فأُخرجوا، وذكره هكذا اليعقوبي في تاريخه[2]، وابن الأثير في الكامل[3].

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤ / ٢٥١.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٦٤.

(٣) الكامل في التاريخ: ٢ / ٢٣٤ حوادث سنة ٢٦ هـ

وأخرج البلاذري في الأنساب[١] من طريق مالك عن الزهري قال: وسّع عثمان مسجد النبيّ ﷺ فأنفق عليه من ماله عشرة آلاف درهم، فقال الناس: يوسّع مسجد رسول الله ويغيّر سنّته.

أقول: استحوذ عثمان بن عفان على بيت المال كاملاً وجعله في جيبه ثمّ أنفق شيئاً يسيراً منه على أنّه من كيسه!

يا للمصيبة والخسران المبين.

وقال الأميني: كأنّ الخليفة لم يكن يرىٰ لليد ناموساً مطّرداً في الإسلام، ولا للملك والمالكيّة قيمة ولا كرامة في الشريعة المقدّسة، وكأنّه لم يقرع سمعه قول نبيّ العظمة ﷺ: «لا يحلّ مال امرئ مسلم إلّا عن طيب نفس منه»[٢].

وإنّ من العجب العجاب أنّ الخليفة نفسه أدرك عهد عمر وزيادته في المسجد، وشاهد محاكمة العباس بن عبدالمطّلب معه وإباءه عن إعطاء داره، ورواية أُبيّ بن كعب وأبي ذر الغفاري وغيرهما حديث بناء بيت المقدس عن داود عليه السلام، وقد خصمه العباس بذلك، وثبتت عند عمر السنّة الشريفة فخضع لها، غير أنّ الرجل لم يكترث لذلك كلّه ويخالف تلك السُنّة الثابتة، ثمّ يحتجّ بفعل عمر وهيبة الناس لكنّه حلم فلم يهابوه، فهدم دور الناس من دون رضاهم وسجن من حاوره أو فاوضه في ذلك، ووضع الأثمان في بيت المال حتى قال الناس: يوسّع مسجد رسول الله ويغيّر سنّته.

---

(١) أنساب الأشراف، البلاذري ٥ / ٣٨.

(٢) ذكره بهذا اللفظ الحافظ ابن أبي جمرة الأزدي في بهجة النفوس: ٢/١٣٤ [ح ٧٢] و٤ / ١١١، [ح ٢٢٣] (المؤلف).

متعة الحجّ عند عثمان

وهل خالف عثمان رسول الله ﷺ في المتعة؟

أخرج البخاري في الصحيح بالإسناد عن مروان بن الحكم قال: سمعت[1] عثمان وعليّاً عليه السلام بين مكّة والمدينة، وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما، فلمّا رأى ذلك عليّ عليه السلام أهلّ بهما جميعاً، قال: «لبّيك بعمرة وحجّة معاً» فقال عثمان: تراني أنهى الناس عن شيء وتفعله أنت؟

قال عليه السلام: «لم أكن لأدع سنّة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس».

وفي لفظ أحمد: كنّا نسير مع عثمان، فإذا بهما جميعاً، فقال عثمان: من هذا؟

فقالوا: عليّ عليه السلام فقال ألم تعلم أنّي قد نهيت عن هذا؟

قال: «بلى ولكن لم أكن لأدع قول رسول الله ﷺ لقولك».

وأخرج الشيخان بالإسناد عن سعيد بن المسيب قال: اجتمع عليّ عليه السلام وعثمان بعسفان، وكان عثمان ينهى عن المتعة، فقال له عليّ عليه السلام «ما تريد إلى أمر فعله رسول الله ﷺ تنهى عنه؟»

قال: دعنا منك، قال: «إنّي لا أستطيع أن أدعك» فلمّا رأى ذلك عليّ عليه السلام أهلّ بهما جميعاً.

وأخرج مسلم كان عثمان ينهى عن المتعة وكان عليّ يأمر بها، فقال عثمان لعليّ عليه السلام كلمة ثمّ قال عليّ عليه السلام: «لقد علمت أنّا قد تمتّعنا مع رسول الله ﷺ» قال: أجل ولكنّا كنّا خائفين.

(١) في المصدر: شهدت عثمان وعليّاً...

راجع: صحيح البخاري، صحيح مسلم[1].

منهج قومي

قال الله تعالى في كتابه الشريف:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

وخالف ذلك القوميون فاستهانوا بدماء غير العرب:

شاهد عبد الرحمن بن أبي بكر خنجراً عند الهرمزان يشبه الخنجر الذي قتل به عمر فانطلق عبيدالله بن عمر فأخذ سيفه حتى سمع ذلك من عبدالرحمن، فأتى الهرمزان فقتله وقتل جفينة [وقتل][2] بنت أبي لؤلؤة الصغيرة وأراد قتل كلّ سبيّ بالمدينة فمنعوه؛ فلمّا استخلف عثمان قال له عمرو بن العاص: إنّ هذا الأمر كان وليس لك على الناس سلطان فذهب دم الهرمزان هدراً.

وأخرجه الطبري في تاريخه[3] بتغيير يسير والمحبّ الطبري في الرياض[4]، وذكره ابن حجر في الإصابة وصحّحه باللفظ المذكور[5].

وذكر البلاذري في الأنساب[6] عن المدائني، عن غياث بن إبراهيم: إنّ عثمان

(١) صحيح البخاري: ٢/٥٦٧ ح١٤٨٨، ص٥٦٩ ح١٤٩٤، صحيح مسلم: ٣/٦٨ ح١٥٨ كتاب الحج، مسند أحمد: ١/٩٨ ح٤٣٣، ص١٥٣ ح٧٣٥، السنن الكبرى: ٢/٣٤٥ ح٣٧٠٣، المستدرك على الصحيحين: /٦٤٤ ح١٧٣٥، تيسير الوصول: ١/٣٣٣.

(٢) الزيادة من المصدر.

(٣) تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ٢٤٠ حوادث سنة ٢٣ هـ

(٤) الرياض النضرة: ٣ / ٨٩.

(٥) أنساب الأشراف.

(٦) أنساب الأشراف، البلاذري ٥ / ٤٢.

صعد المنبر فقال: أيّها الناس إنّا لم نكن خطباء وإن نَعِش تأتكم الخطبة على وجهها إن شاء الله، وقد كان من قضاء الله أنّ عبيدالله بن عمر أصاب الهرمزان وكان الهرمزان من المسلمين[1] ولا وارث له إلّا المسلمون عامّة وأنا إمامكم وقد عفوت أفتعفون؟

قالوا: نعم.

فقال عليّ عليه السلام: «أقِدِ الفاسقَ فإنّه أتى عظيماً، قتل مسلماً بلا ذنب» وقال لعبيدالله: «يا فاسق لئن ظفرت بك يوماً لأقتلنّك بالهرمزان».

وقال اليعقوبي في تاريخه[2]: أكثر الناس في دم الهرمزان وإمساك عثمان عبيدالله بن عمر، فصعد عثمان المنبر فخطب الناس، ثمّ قال: ألا إنّي وليّ دم الهرمزان وقد وهبته لله ولعمر وتركته لدم عمر، فقام المقداد بن عمرو فقال: إنّ الهرمزان مولى لله ولرسوله وليس لك أن تهب ما كان لله ولرسوله. قال: فننظر وتنظرون، ثمّ أخرج عثمان عبيدالله بن عمر من المدينة إلى الكوفة، وأنزله داراً فنُسِب الموضع إليه -كُوَيْفة ابن عمر- فقال بعضهم

أبا عمرو[3] عبيدُاللهِ رهنٌ فلا تشكُكْ بقتلِ الهرمزان

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى[4].

بإسناد عن عبدالله[5] بن عبيد بن عمير قال: لمّا طعن عمر وثب عبيدالله بن

---

(١) أسلم على يد عمر وفرض له في ألفين كما في الإصابة وغيرها.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٦٣.

(٣) أبو عمرو هي كنية عثمان بن عفّان.

(٤) سنن البيهقي ٨ / ٦١.

(٥) في الأصل عبيدالله، وصحّحناه من السنن الكبرى.

عمر على الهرمزان فقتله، فقيل لعمر:

إنّ عبيدالله بن عمر قتل الهرمزان. قال: ولم قتله؟

قال: إنّه قتل أبي.

قيل: وكيف ذاك؟

قال: رأيته قبل ذلك مستخلياً بأبي لؤلؤة وهو أمره بقتل أبي قال عمر: ما أدري ما هذا، انظروا إذا أنا متّ فاسألوا عبيدالله البيّنة على الهرمزان أهو قتلني؟ فإن أقام البيّنة فدمه بدمي، وإن لم يقم البيّنة فأقيدوا عبيدالله من الهرمزان، فلمّا ولي عثمان قيل له: ألا تمضي وصيّة عمر في عبيدالله؟

قال: ومن وليّ الهرمزان؟

قالوا: أنت يا أمير المؤمنين فقال قد عفوت عن عبيدالله بن عمر.

وفي طبقات ابن سعد[1]: انطلق عبيدالله فقتل ابنة أبي لؤلؤة وكانت تدّعي الإسلام، وأراد عبيدالله ألّا يترك سبياً بالمدينة يومئذٍ إلّا قتله. فاجتمع المهاجرون الأوّلون فأعظموا ما صنع عبيدالله من قتل هؤلاء واشتدّوا عليه وزجروه عن السبي.

فقال: والله لأقتلنّهم وغيرهم، يعرّض ببعض المهاجرين، فلم يزل عمرو بن العاص يرفق به حتى دفع إليه سيفه، فأتاه سعد فأخذ كلّ واحد منهما برأس صاحبه يتناصيان[2]، حتى حجز بينهما الناس، فأقبل عثمان وذلك في الثلاثة الأيّام الشورى قبل أن يبايع له، حتى أخذ برأس عبيدالله بن عمر وأخذ عبيدالله برأسه ثمّ

(١) الطبقات الكبرى طبع ليدن: ٥ / ١٥ ـ ١٧.

(٢) التناصي: هو الأخذ بالنواصي جمع ناصية، وهي شعر مقدّم الرأس.

حُجز بينهما وأظلمت الأرض يومئذٍ على الناس، فعظم ذلك في صدور الناس وأشفقوا أن تكون عقوبة حين قتل عبيدالله جُفَينة والهرمزان وابنة أبي لؤلؤة.

وعن أبي وجزة عن أبيه قال: رأيت عبيدالله يومئذٍ وإنّه ليناصي عثمان، وإنّ عثمان ليقول: قاتلك الله قتلت رجلاً يصلّي وصبيّة صغيرة، وآخر من ذمّة رسول الله ﷺ ما في الحقّ تركك، قال: فعجبت لعثمان حين ولي كيف تركه! ولكن عرفت أنّ عمرو بن العاص كان دخل في ذلك فلفته عن رأيه.

وعن عمران بن منّاح قال: جعل سعد بن أبي وقّاص يناصي عبيدالله بن عمر حيث قتل الهرمزان وابنة أبي لؤلؤة، وجعل سعد يقول وهو يناصيه:

لا أُسْدَ إلّا تنهتُ واحداً وغالت أُسودَ الأرض عنك الغوائلُ[1]

فقال عبيد الله:

تعلّمْ أنّي لحمُ ما لا تسيغه فكلْ من خشاش الأرض ما كنت آكلا

فجاء عمرو بن العاص فلم يزل يكلّم عبيدالله، ويرفق به حتى أخذ سيفه منه، وحبس في السجن حتى أطلقه عثمان حين ولي.

وعن محمود بن لبيد: كنتُ أحسب أنّ عثمان إن ولي سيقتل عبيدالله لما كنت أراه صنع به، كان هو وسعد أشدّ أصحاب رسول الله ﷺ عليه.

وعن المطّلب بن عبدالله قال: قال عليّ ﷺ لعبيدالله بن عمر: «ما ذنب بنت أبي لؤلؤة حين قتلتها؟»

قال: فكان رأي عليّ ﷺ حين استشاره عثمان ورأي الأكابر من أصحاب رسول الله على قتله، لكن عمرو بن العاص كلّم عثمان حتى تركه، فكان عليّ ﷺ

(١) الشعر لكلاب بن علاط أخي الحجّاج بن علاط.

يقول: «لو قدرت على عبيدالله بن عمر ولي سلطان لاقتصصت منه».

ولو كان الخليفة يروعه إنكار المنكرين على ما يريد أن يرتكب فلماذا لم يرعه إنكار الصحابة على الأحداث في أخرياته؟ حتى أودت به، أكان هيّاباً ثمّ تشجّع؟.

مخالفة غسل الجنابة

وهل يعقل مخالفة عثمان غسل جنابة النبي ﷺ؟

أخرج مسلم: أن زيد بن خالد الجهني سأل عثمان بن عفّان: أرأيت إذا جامع الرجل امرأته ولم يُمنِ؟

قال عثمان: يتوضّأ كما يتوضأ للصلاة، ويغسل ذكره سمعته من رسول الله ﷺ[1].

وأخرجه البخاري في صحيحه، وزاد عليه، ولفظه: سُئل عثمان بن عفّان عن الرجل يجامع فلا يُنزل، فقال: ليس عليه غسل سمعته من رسول الله ﷺ قال: فسألت بعد ذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام والزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله وأبيّ ابن كعب فقالوا مثل ذلك عن النبي ﷺ. وأخرجه بطريق آخر وفيه: فأمروه بذلك، بدل قوله: فقالوا مثل ذلك عن النبيّ[2].

وأخرجه أحمد في مسنده[3] وفيه: فسألت عن ذلك عليّ بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، وأُبيّ بن كعب فأمروه بذلك. فليس في لفظه

(١) صحيح مسلم: ١/ ١٤٢ [٢٤٣/١ ح ٨٦ كتاب الحيض].

(٢) صحيح البخاري: ١/ ١٠٩ [١/ ١١١ ح ٢٨٨].

(٣) مسند أحمد: ١/ ١٠١ ح ٤٥٠، ص ١٠٣ ح ٤٦٠.

(عن رسول الله) وبالألفاظ الثلاثة ذكره البيهقي في السنن الكبرىٰ[1].

قال الأميني: هذا مبلغ فقه عثمان.

وأقول: لم يكن عثمان جاهلاً بهذا الحكم المعروف للقريب والبعيد، بل هو خالفه مع معرفته به.

فعثمان أراد تغيير سنن رسول الله ﷺ كلّما تمكّن إلى ذلك سبيلاً، والأدلّة على ذلك لا تحصىٰ وتجدها في هذا الكتاب.

قال الأميني: هذا مبلغ فقه الخليفة إبّان خلافته وبين يديه قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾[2].

قال الشافعي في كتاب الأم[3]: فأوجب الله عزّ وجل الغسل من الجنابة، فكان معروفاً في لسان العرب أنّ الجنابة الجماع وإن لم يكن مع الجماع ماء دافق، وكذلك ذلك في حدّ الزنا وإيجاب المهر وغيره، وكلّ من خوطب بأنّ فلاناً أجنب من فلانة عقل أنّه أصابها وإن لم يكن مقترفاً، قال الربيع: يريد أنّه لم ينزل.

ودلّت السُنّة على أنّ الجنابة أن يفضي الرجل من المرأة حتى يغيب فرجه في فرجها إلى أن يواري حشفته، أو أن يرىٰ الماء الدافق، وإن لم يكن جماع. انتهىٰ.

وقال في اختلاف الحديث في هامش كتاب الأم[4]: فكان الذي يعرفه من خوطب بالجنابة من العرب أنّها الجماع دون الإنزال، ولم تختلف العامّة أنّ الزنا الذي

---

(١) سنن البيهقي ١ / ١٦٤.

(٢) النساء: ٤٣.

(٣) كتاب الأم: ١ / ٣٦.

(٤) اختلاف الحديث: ص ٤٩٦.

يجب به الحدّ الجماع دون الإنزال، وأنّ من غابت حشفته في فرج امرأة وجب عليه الحدّ. وكان الذي يشبه أنّ الحدّ لا يجب إلّا علىٰ من أجنب من حرام.

وفي تفسير القرطبي[1] الجنابة: مخالطة الرجل المرأة. والجمهور من الأُمّة على أنّ الجنب هو غير الطاهر من إنزال أو مجاوزة ختان.

ثمّ كيف عزب عن الخليفة حكم المسألة، وقد مرّنته الأسئلة، وعلّمته الجوابات النبويّة، وبمسمع منه مذاكرات الصحابة لما وعوه عن رسول الله ﷺ وإليك جملة منها:

١ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: «إذا قعد بين شعبها الأربع وألزق الختان بالختان فقد وجب الغسل».

وفي لفظ «إذا قعد بين شعبها الأربع، ثمّ أجهد نفسه، فقد وجب الغسل أنزل أو لم ينزل».

وفي لفظ ثالث: «إذا التقى الختان بالختان وجب الغسل أنزل أو لم ينزل».

وفي لفظ أحمد: «إذا جلس بين شعبها الأربع، ثمّ جهد، فقد وجب الغسل»[2].

٢ ـ عن أبي موسىٰ: أنّهم كانوا جلوساً فذكروا ما يوجب الغسل، فقال من حضره من المهاجرين: إذا مسّ الختان الختان وجب الغسل، وقال من حضره من الأنصار: لا حتى يدفق، فقال أبو موسى: أنا آتي بالخبر، فقام إلى عائشة فسلّم ثمّ

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٥ / ١٣٣.

(٢) صحيح البخاري: ١/ ١١٠ ح٢٨٧، صحيح مسلم: ١/ ٣٤٤ ح٨٧ كتاب الحيض، مسند أحمد: ٢/ ٤٦٦ ح٧١٥٧، ٣/ ٢٣ ح٨٣٦٩، ص١٠٢ ح٨٨٦٣، مصابيح السنّة: ١/ ٢١٢ ح٢٩٢، الاعتبار: ص ١٢٠، الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ١٣٤، تفسير الخازن: ١/ ٤٤٣، سنن الدارمي: ١/ ١٩٤، سنن البيهقي: ١/ ١٦٣، المحلّى لابن حزم: ٢/ ٣، تفسير القرطبي: ٥/ ٢٠٠.

قال: إنّي أُريد أن اسألك عن شيء وأنا أستحييك، فقالت: لا تستحي أن تسألني عن شيء كنت سائلاً عنه أُمّك التي ولدتك إنّما أنا أُمّك، قال: قلت: ما يوجب الغسل؟

قالت: على الخبير سقطت، قال رسول الله ﷺ: «إذا جلس بين شعبها الأربع ومسّ الختان الختان وجب الغسل»[1].

زكاة الخيل

وكان عثمان يأخذ الزكاة من الخيل[2]. أخرجه عبدالرزّاق[3] عن الزهري[4].

قال الأميني: ليت هذه الفتوى المجرّدة من الخليفة كانت مدعومة بشيء من كتاب أو سُنّة،لكن من المأسوف عليه أنّ الكتاب الكريم خال عن ذكر زكاة الخيل، والسنّة الشريفة على طرف النقيض ممّا أفتى به، وقد ورد فيما كتبه رسول الله ﷺ في الفرائض قوله: «ليس في عبد مسلم ولا في فرسه شيء».

وجاء عنه ﷺ قوله: «عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق».

وفي لفظ ابن ماجة: «قد تجوّزت لكم عن صدقة الخيل والرقيق».

وقوله: «ليس على المسلم صدقة في عبده ولا في فرسه».

وفي لفظ البخاري: «ليس على المسلم في فرسه وغلامه صدقة».

وفي لفظ له: «ليس على المسلم صدقة في عبده وفرسه»[5].

---

(١) صحيح مسلم: ١/١٤٣، مسند أحمد: ٦/١١٦، الموطأ لمالك: ١/٥١.

(٢) أنساب الأشراف: ٥/٢٦ في حين عفى النبي ﷺ عن الخيل والرقيق وراجع الغدير للاميني ٤ / ٢٢٢.

(٣) المصنّف: ٤ / ٣٥ ح ٦٨٨٨.

(٤) تعاليق الآثار للقاضي أبي يوسف، ص: ٨٧.

(٥) في البخاري: ولا فرسه.

وفي لفظ مسلم: «ليس على المسلم في عبده ولا في[1] فرسه صدقة».

وفي لفظ له: «ليس على المرء المسلم في فرسه ولا مملوكه صدقة».

وفي لفظ أبي داود: «ليس في الخيل والرقيق زكاة إلّا زكاة الفطر في الرقيق».

وفي لفظ الترمذي: «ليس على المسلم في فرسه ولا في عبده صدقة».

وفي لفظ النسائي كلفظ مسلم الأوّل.

وفي لفظ له: «لا زكاة على الرجل المسلم في عبده ولا فرسه».

وفي لفظ له: «ليس على المرء في فرسه ولا في مملوكه صدقة».

وفي لفظ: «ليس على المسلم صدقة في غلامه ولا في فرسه».

ولفظ ابن ماجة كلفظ مسلم الأوّل.

وفي لفظ أحمد: «ليس في عبد الرجل ولا في فرسه صدقة».

وفي لفظ البيهقي: «لا صدقة على المسلم في عبده ولا في فرسه».

وفي لفظ عبدالله بن وهب في مسنده: «لا صدقة على الرجل في خيله ولا في رقيقه».

وفي لفظ ابن أبي شيبة: «ولا في وليدته».

وفي رواية للطبراني في الكبير والبيهقي في السنن[2] من طريق عبدالرحمن بن سمرة: «لا صدقة في الكسعة والجبهة والنّخة»[3].

---

(١) في مسلم: ولا فرسه بدون (في).

(٢) سنن البيهقي ٤ / ١١٨.

(٣) الجبهة: الخيل. الكسعة: البغال والحمير. النخة: المربيات في البيوت.

[قال ابن منظور في لسان العرب: النّخّة والنُّخّة: اسم جامع للحُمُر، والنُّخّة: الرقيق من الرجال والنساء يعني بالرقيق المماليك. والنّخة: أن يأخذ المصدّق ديناراً لنفسه بعد فراغه من الصدقة، وقيل: النُّخّة الدينار الذي يأخذه، ←

ومن طريق أبي هريرة: «عفوت لكم عن صدقة الجبهة والكسعة والنخّة».
راجع[١].

ولو كان في الخيل شيء من الزكاة أوجب أن يذكر في كتاب رسول الله ﷺ الذي فصّل فيه الفرائض تفصيلاً[٢]، وقد أعطاه كبرنامج يعمل به في الفرائض وعليه كان عمل الصحابة، ومنه أخذ أبو بكر ما كتبه دستوراً يعوّل عليه في الصدقات[٣]، وكان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يهتف بتلك السنّة الثابتة، وعليها كان عمله عليه السلام، وعليها أصفقت الصحابة وجرت الفتيا من التابعين، وبها قال عمر بن عبدالعزيز، وسعيد بن المسيب، وعطاء، ومكحول، والشعبي، والحسن، والحكم بن عتيبة، وابن سيرين، والثوري، والزهري، ومالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأهل الظاهر، وأبو يوسف، ومحمد بن الحنفيّة[٤].

وقال ابن حزم: وذهب جمهور الناس إلىٰ أنّه لا زكاة في الخيل أصلاً، وقال مالك والشافعي، وأحمد، وأبو يوسف، ومحمد، وجمهور العلماء: لا زكاة في الخيل

وبكل ذلك فُسّر قوله ﷺ ليس في النّخة صدقة، وكان الكسائي يقول: إنّما هو النُّخة بالضم. وهو البقر العوامل...].

(١) صحيح البخاري: ٥٣٢/٢ ح ١٣٩٤، ١٣٩٥، صحيح مسلم: ٣٧١/٢ ح٨ ـ ٩ كتاب الزكاة، سنن الترمذي: ٢٣/٣ ح٦٢٨، سنن أبي داود: ١٠٨/٢ ح ١٥٩٤ ـ ١٥٩٥، سنن ابن ماجة: ٥٧٩/١ ح ١٨١٣، السنن الكبرىٰ: ١٧/٢ ـ ١٩ ح٢٢٤٦ ـ ٢٢٥٧، مسند أحمد: ١٤٩/١ ح٧١٣، ص١٩٥ ح٩٨٧، ص٢١٢ ح ١١٠٠، ص٢٣٤ ح١٢٣٧، ص ٢٣٥ ح١٢٤٧، ص٢٣٩ ح ١٢٧٠ و ٤٧٩/٢ ح٧٢٥٢ ص٤٩٣ ح٧٢٤٩، ص٥٤٥ ح٧٦٩٩ و ١٢٦/٣ ح٩٠٢٨، ص١٦٩ ح ٩٢٩٥، كتاب الأمم: ٢٦/٢، موطّأ مالك: ٢٧٧/١ ح٣٧، أحكام القرآن: ١٥٤/٢، عمدة القاري: ٣٦/٩.

(٢) راجع سنن البيهقي: ٨٥/٤ ـ ٩٠، مستدرك الحاكم: ٣٩٠/١ ـ ٣٩٨ [٥٤٨/١ ـ ٥٥٤ ح١٤٤١ ـ ١٤٤٧]. (المؤلف)

(٣) راجع مصابيح السنّة للبغوي: ١١٩/١ [١٤/٢ ح١٢٦٣]. (المؤلف)

(٤) راجع المحلّى لابن حزم: ٢٢٩/٥ [المسألة ٦٤١]، عمدة القاري: ٣٨٢/٤ [٣٦/٩]. (المؤلف).

بحال.

نعم؛ للحنفيّة هاهنا تفصيل مجرّد عن أيّ برهنة ضربت عنه الأئمّة صفحاً قالوا: لا زكاة في الخيل الذكور، ولو كثرت وبلغت ألف فرس، وإن كانت إناثاً، أو إناثاً وذكوراً سائمة غير معلوفة فحينئذ تجب فيها الزكاة. وصاحب الخيل مخيّر إن شاء أعطى عن كلّ فرس منها ديناراً أو عشرة دراهم، وإن شاء قوّمها فأعطى من كلّ مائتي درهم خمسة دراهم.

أقول: وهذا الفرض العثماني من الزكاة على الخيل دليل آخر على تعمّده مخالفة النصوص الإلهيّة بكلّ السبل الممكنة لاستخفافه بأهمّية هذه الأحكام.

من قدّم الخطبة على الصلاة في العيدين؟

قال ابن حجر في فتح الباري[1]: روى ابن المنذر عن عثمان بإسناد صحيح إلى الحسن البصري قال: أوّل من خطب قبل الصلاة عثمان، صلّى بالناس ثمّ خطبهم[2] فرأى ناساً لم يدركوا الصلاة، ففعل ذلك، أي صار يخطب قبل الصلاة، وهذه العلّة غير التي اعتلّ بها مروان، لأنّ عثمان رأى مصلحة الجماعة في إدراكهم الصلاة، وأمّا مروان فراعى مصلحتهم في إسماعهم الخطبة.

لكن قيل: إنّهم كانوا في زمن مروان يتعمّدون ترك سماع خطبته لما فيها من سبّ من لا يستحقّ السبّ، والإفراط في مدح بعض الناس، فعلى هذا إنّما راعى مصلحة نفسه، ويحتمل أن يكون عثمان فعل أحياناً بخلاف مروان الذي واظب عليه.

(١) فتح الباري: ٢ / ٤٥١.

(٢) على الباحث مناقشة الحساب حول هذه الكلمة. (المؤلف)

وذكره الشوكاني في نيل الأوطار[١].

وأخرج ابن شبة[٢] عن أبي غسان قال: أوّل من خطب الناس في المصلّى على منبر عثمان بن عفّان، وقال ابن حجر: يحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك مرّة ثمّ تركه حتى أعاده مروان، فتح الباري[٣]، نيل الأوطار[٤].

وذكره السيوطي في الأوائل، وتاريخ الخلفاء[٥]، والسكتواري في محاضرة الأوائل[٦]: إنّ أوّل من خطب في العيدين قبل الصلاة عثمان.

قال الأميني: إنّ الثابت في السنّة الشريفة أنّ الخطبة في العيدين تكون بعد الصلاة، قال الترمذي في الصحيح[٧]: والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبيّ ﷺ وغيرهم أنّ صلاة العيدين قبل الخطبة ويقال: إنّ أوّل من خطب قبل الصلاة مروان بن الحكم.

وإليك جملة ممّا ورد فيها:

١ ـ عن ابن عباس قال: أشهد على رسول الله ﷺ أنّه صلّى يوم فطر أو أضحى قبل الخطبة ثمّ خطب[٨].

٢ ـ عن عبدالله بن عمر قال: كان النبيّ ﷺ ثمّ أبو بكر ثمّ عمر يصلّون العيد

---

(١) نيل الأوطار: ٣/٣٣٤، ٣٤٥، تاريخ الخلفاء ١١١.

(٢) تاريخ المدينة: ١ / ١٣٥.

(٣) فتح الباري: ٢ / ٤٤٩.

(٤) نيل الأوطار: ٣ / ٣٤٥.

(٥) تاريخ الخلفاء: ص ١٥٤.

(٦) الأوائل: ص ١٤٥.

(٧) سنن الترمذي: ٢ / ٤١١ ح ٥٣١.

(٨) صحيح البخاري: ٥٢٥/٢ ح ١٣٨١، صحيح مسلم: ٢٨٣/٢ ح ٢ كتاب صلاة العيدين، سنن أبي داود: ٢٩٧/١ ح ١١٤٢، سنن ابن ماجة: ٤٠٦/١ ح ١٢٧٣، السنن الكبرى: ٥٤٥/١ ح ١٧٦٦.

قبل الخطبة، وفي لفظ الشافعي: إنّ النبيّ وأبا بكر وعمر كانوا يصلّون في العيدين قبل الخطبة، وفي لفظ للبخاري: إنّ رسول الله ﷺ كان يصلّي في الأضحى والفطر ثمّ يخطب بعد الصلاة[1].

٣ ـ عن أبي سعيد الخدري: كان رسول الله ﷺ يخرج يوم العيد فيصلّي بالناس ركعتين ثمّ يسلّم فيقف على رجليه[2].

٤ ـ عن عبدالله بن السائب، قال: حضرت العيد مع رسول الله ﷺ فصلّى بنا العيد ثمّ قال: «قد قضينا الصلاة فمن أحبّ أن يجلس للخطبة فليجلس، ومن أحبّ أن يذهب فليذهب»[3].

٥ ـ عن جابر بن عبدالله قال: إنّ النبيّ ﷺ قام يوم الفطر فصلّى فبدأ بالصلاة قبل الخطبة ثمّ خطب الناس[4].

٦ ـ عن ابن عباس وجابر بن عبدالله وعبدالله بن عمر وأنس بن مالك: أنّ رسول الله ﷺ كان يصلّي قبل الخطبة. المدوّنة الكبرى[5].

٧ ـ عن البراء بن عازب قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر بعد الصلاة[6].

٨ ـ عن أبي عبيد مولى ابن أزهر قال: شهدت العيد مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام

---

(١) صحيح البخاري: ١/٣٢٦ ح٩١٤، ص٣٢٧ ح٩٢٠، صحيح مسلم: ٢/٢٨٦ ح٨ كتاب صلاة العيدين، موطأ مالك: ١/١٧٨، مسند أحمد: ٢/١٢٦ ح٤٩٤٣، كتاب الأم: ١/٢٣٥، سنن ابن ماجة: ١/٤٠٧ ح١٢٧٦، سنن الترمذي: ٢/٤١١ ح٥٣١، السنن الكبرى: ١/٥٤٥ ح١٧٦٧.

(٢) سنن ابن ماجة: ١/٤٠٩ ح١٢٨٨، المدوّنة الكبرى: ١/١٦٩.

(٣) سنن ابن ماجة: ١/٤١٠ ح١٢٩٠، سنن أبي داود: ١/٣٠٠ ح١١٥٥، السنن الكبرى: ١/٥٤٨ ح١٧٧٩.

(٤) صحيح البخاري: ١/٣٣٢ ح٩٣٥، صحيح مسلم: ٢/٢٨٤ ح٣ كتاب صلاة العيدين، سنن أبي داود: ١/٢٩٧ ح١١٤١، السنن الكبرى: ١/٥٤٥ ح١٧٦٥.

(٥) المدوّنة الكبرى: ١/١٦٩.

(٦) صحيح البخاري: ١/٣٣٤ ح٩٤٠، السنن الكبرى: ١/٥٤٧ ح١٧٧٧.

وعثمان محصور، فجاء فصلّى ثمّ انصرف فخطب[1].

هذه الأحاديث تكشف عن استمرار رسول الله ﷺ على هذه السنّة المرتّبة ولم يُعزّ إليه غيرها قطّ، وعلى ذلك مضى الشيخان ومولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام وعثمان نفسه ردحاً من أيّامه، كما جاء في رواية ابن عمر من أنّ النبيّ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يصلّون في العيدين قبل الخطبة[2]. وظاهر هذا اللفظ وإن كان مطلقاً إلّا أنّ الجمع بينه وبين ما جاء من مخالفة عثمان للقوم وأنّه أوّل من قدّم الخطبة.

أقول: لقد خالف أبو بكر شيئاً من النصوص الإلهيّة تحت عنوان الاجتهاد في الدين! وعلى رأس ذلك ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثمّ خالف عمر النصوص الفقهية بشكل واسع وأقدم عثمان على مخالفة أوسع في هذا المجال، ولو عاش عثمان مدّة أطول في السلطة لضاعف المخالفات الفقهية لخاتم الأنبياء ﷺ.

القصاص والدية بين النصّ والاختلاق

أخرج البيهقي في السنن الكبرى من طريق الزهري: أنّ ابن عباس الجذامي قتل رجلاً من أنباط الشام، فرُفع إلى عثمان فأمر بقتله، فكلّمه الزبير وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فنهوه عن قتله، قال: فجعل ديّته ألف دينار، وذكره الشافعي في كتاب الأم[3].

وأخرج البيهقي من طريق الزهري، عن سالم، عن ابن عمر: أنّ رجلاً مسلماً

(١) موطّأ مالك: ١/١٧٨، كتاب الأم: ١/١٩٢،وراجع الغدير للاميني ٤ / ٢٣٠.
(٢) كتاب الأم للشافعي: ١/٢٠٨ [١/٢٣٥]، صحيح البخاري: ٢/١١٢ [١/٣٢٧ح ٩٢٠].
(٣) كتاب الأم: ٧ / ٣٢١، سنن البيهقي ٨ / ٣٣،الغدير للاميني ٤ / ٢٤٠.

قتل رجلاً من أهل الذمّة عمداً، ورُفع إلى عثمان فلم يقتله وغلّظ عليه الديّة مثل ديّة المسلم.

وقال أبو عاصم الضحّاك[1]: وممّن يرىٰ قتل المسلم بالكافر عمر بن عبدالعزيز، وإبراهيم، وأبان بن عثمان بن عفّان، وعبدالله؛ رواه الحكم عنهم، وممّن أوجب ديّة الذمّي مثل ديّة المسلم عثمان بن عفان.

قال الأميني: إنّ عجبي مقسّم بين إرادة الخليفة قتل المسلم بالكافر، وبين جعل عقل الكافر مثل ديّة المسلم، فلا هذا مدعوم بحجّة، ولا ذلك مشفوع بسنّة، وأيّ خليفة هذا يزحزحه مثل الزبير، المعروف سيرته والمكشوف سريرته، عن رأيه في الدماء وينهاه عن فتياه؟ غير أنّه يفتي بما هو لديه رأيه الأوّل في البعد عن السنّة، ويسكت عنه الزبير وأناس نهوا الخليفة عمّا ارتآه أوّلاً، واكتفوا بحقن دم المسلم وما راقهم مخالفة الخليفة مرّة ثانية، وهذه النصوص النبويّة صريحة في أنّ المسلم لا يُقتل بالكافر، وأنّ عقل الكتابي الذمّي نصف عقل المسلم، وإليك لفظ تلكم النصوص في المسألتين:

أمّا الأولىٰ منهما فقد جاء:

١ ـ عن أبي جحيفة قال: قلت لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: هل عندكم شيء من العلم ليس عند الناس؟

قال عليه السلام: لا والله ما عندنا إلاّ ما عند الناس، إلاّ أن يرزق الله رجلاً فهماً من القرآن أو ما في هذه الصحيفة، فيها الديات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن لا يُقتل مسلم بكافر.

(١) الديّات، ص: ٧٦.

وفي لفظ الشافعي: لا يقتل مؤمن بكافر، فقال: لا يُقتل مؤمن عبد ولا حرّ ولا امرأة بكافر في حال أبدا، وكلّ من وصف الإيمان من أعجميّ وأبكم يعقل ويشير بالإيمان ويصلّي فقتل كافراً فلا قود عليه، وعليه ديّته في ماله حالة، وسواء أكثر القتل في الكفّار أو لم يكثر، وسواء قتل كافراً على مال يأخذه منه أو على غير مال، لا يحلّ ـ والله أعلم ـ قتل مؤمن بكافر بحال في قطع طريق ولا غيره.

راجع[1].

فقال: ذهب الجمهور إلى أنّ المسلم لا يُقتل بالكافر لما ثبت في البخاري عن عليّ قال: «قال رسول الله ﷺ: لا يُقتل مسلم بكافر». ولا يصح حديث ولا تاويل يخالف هذا، وأمّا أبو حنيفة فذهب إلى أنّه يُقتل به لعموم آية المائدة.

قال الأميني: يعني من آية المائدة قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[2].

وقد خفي على المجتهد تجاه النصوص الصحيحة الثابتة أنّ عموم الآية لا يأباها عن التخصيص، وقد خصّصها هو نفسه بمخصّصات. أجاب عن هذا الاستدلال الواهي كثير من الفقهاء وفي مقدّمهم الإمام الشافعي، قال في كتاب الأُم[3] في مناظرة وقعت بينه وبين بعض أصحاب أبي حنيفة: قلنا: فلسنا نريد أن نحتجّ عليك

---

(١) صحيح البخاري: ٦/٢٥٣٤ ح٦٥١٧، سنن ابن ماجة: ٢/٨٨٧ ح٢٦٥٨، السنن الكبرى: ٤/٢٢٠ ح٦٩٤٦، سنن الترمذي: ٤/١٧ ح١٤١٢، مسند أحمد: ١/١٢٨ ح ٦٠٠، كتاب الأُم: ٦/٣٨، ١٠٥، أحكام القرآن: ١/١٤٢، الاعتبار: ص ٤٥٣، سنن الدارمي: ٢/١٩٠، سنن النسائي: ٨/٢٣، سنن البيهقي: ٨/٢٨، أحكام القرآن للجصّاص: ١/١٦٥، الاعتبار لابن حازم: ص: ١٩٠، تفسير ابن كثير ١/٢١٠.

(٢) المائدة: ٤٥.

(٣) كتاب الأُم: ٧ / ٣٢٥.

بأكثر من قولك إنّ هذه الآية عامّة، فزعمت أنّ فيها خمسة أحكام مفردة وحكماً سادساً جامعاً، فخالفت جميع الأربعة الأحكام التي بعد الحكم الأوّل والحكم الخامس والسادس جماعتها[1] في موضعين: في الحرّ يقتل العبد، والرجل يقتل المرأة. فزعمت أنّ عينه ليس بعينها ولا عين العبد، ولا أنفه بأنفها ولا أنف العبد، ولا أنفه بأنفها ولا أنف العبد، ولا أذنه بأُذنها، ولا أُذن العبد، ولا سنّه بسنّها ولا سنّ العبد، ولا جروحه كلّها بجرحها ولا جروح العبد، وقد بدأت أوّلاً بالذي زعمت أنّك أخذت به فخالفته في بعض ووافقته في بعض، فزعمت أنّ الرجل يقتل عبده فلا تقتله به، ويقتل ابنه فلا تقتله به، ويقتل المستأمن فلا تقتله به، وكلّ هذه نفوس محرّمة.

قال ـ يعني المدافع عن أبي حنيفة ـ اتّبعت في هذا أثراً. قلنا: فتخالف الأثر الكتاب؟

قال: لا.

قلنا: فالكتاب إذاً على غير ما تأوّلت، فلم فرّقت بين أحكام الله عزّوجل على ما تأوّلت؟ قال بعض من حضره: دع هذا فهو يلزمه كلّه.

أقول: أصبحت الأحكام الإلهيّة عند أهل السياسة مفاتيح يلعبون بها في سبيل أغراضهم ومصالحهم السلطوية، فعثمان لم يرغب في الاقتصاص من الوليد بن عقبة شارب الخمر المصلي سكراناً في مسجد الكوفة.

ولم يرغب عثمان في الاقتصاص من عبيدالله بن عمر الذي قتل زوجة أبي لؤلؤة وصبيّته والهرمزان البعيدين عن حادثة عمر حبّاً منه لعمر بن الخطاب.

---

(١) كذا في المصدر.

لكنه أنزل أشدّ العذاب قتلاً وتنكيلاً بأبي ذر صاحب النبي ﷺ لمعارضته معاوية الأموي!

فهذا هو القصاص السياسي في زمن عثمان بن عفان الذي جلب الفتنة على الناس والقتل على نفسه.

القراءة في الصلاة

قال ملك العلماء[1]: إنّ عمر ترك القراءة في المغرب في إحدى الأوّلين فقضاها في الركعة الأخيرة، وجهر، وعثمان ترك القراءة في الأوّلين من صلاة العشاء فقضاها في الأُخريين وجهر.

وقال في صفحة (١٧٢): روي عن عمر أنّه ترك القراءة في ركعة من صلاة المغرب فقضاها في الركعة الثالثة وجهر. وروي عن عثمان أنّه ترك السورة في الأُوليين فقضاها في الأُخريين وجهر.

قال الأميني: إنّ ما ارتكبه الخليفتان مخالف للسُنّة من ناحيتين:

الأُولى: الاجتزاء بركعة لا قراءة فيها.

والثانية: تكرير الحمد في الأخيرة أو الأُخريين بقضاء الفائتة مع صاحبة الركعة، وكلاهما خارجان عن السنّة الثابتة لا يجتزأ بالصلاة التي يكونان فيها، أمّا الناحية الأُولى فإليك نبذة ممّا ورد فيها.

١ ـ عن عبادة بن الصامت مرفوعاً: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأمّ القرآن فصاعداً».

---

(١) بدائع الصنائع: ١١١/١.

وفي لفظ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب إمام أو غير إمام».

وفي لفظ الدارمي: «من لم يقرأ بأمّ الكتاب فلا صلاة له»[١].

٣ ـ عن أبي هريرة قال: إنّ النبيّ ﷺ أمره أن يخرج فينادي: لا صلاة إلّا بقراءة فاتحة الكتاب. فما زاد[٢].

٤ ـ عن عائشة مرفوعاً: «من صلّى صلاة لم يقرأ فيها بأمّ القرآن فهي خداج»[٣].

٥ ـ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «لا صلاة لمن لم يقرأ في كلّ ركعة الحمد وسورة في فريضة أو غيرها»[٤].

٦ ـ عن أبي سعيد قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نقرأ بفاتحة الكتاب وبما تيسّر[٥].

وقال في كتاب الأُم[٦]: إنّ من ترك أُمّ القرآن في ركعة من صلاة الكسوف في

---

(١) صحيح البخاري: ١/٢٦٣ ح٧٢٣، صحيح مسلم: ١/٢٧٥ ح٣٤كتاب الصلاة، سنن أبي داود: ١/٢١٧ ح٨٢٢، سنن الترمذي: ٢/٢٥ ح٢٤٧، السنن الكبرى: ١/٣١٦ ح٩٨٢ ـ ٩٨٣، سنن ابن ماجة: ١/٢٧٣ ح٨٣٧، مسند أحمد: ٦/٤٢٧ ح٢٢١٦٩، ص٤٣٩ ح٢٢٢٣٧، كتاب الأُم: ١/١٠٧، مصابيح السنّة: ١/٣١٩ ح٥٧٧، المدوّنة الكبرى: ١/٦٧.

(٢) مسند أحمد: ٣/١٦٣ ح٩٢٤٥، سنن الترمذي: ٢/١٢١ ح٣١٢، سنن أبي داود: ١/٢١٦ ح٨٢٠، المستدرك على الصحيحين: ١/٣٦٥ ح٨٧٢.

(٣) مسند أحمد: ٧/٢٠٥ ح٢٤٥٧٥، ص٣٩١ ح٢٥٨٢٤، سنن ابن ماجة: ١/٢٧٤ ح٨٤٠، كنز العمّال: ٧/٤٣٧ ح١٩٦٦٣، ص٤٣٨ ح١٩٦٦٨، سنن البيهقي: ٢/١٦٧، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان: ٥/٨٤ ح١٧٨٤، الكامل في ضعفاء الرجال: ٦/٢٨٤ رقم ١٧٦٩.

(٤) سنن الترمذي: ٢/٣ ح٢٣٨، سنن ابن ماجة: ١/٢٧٤ ح٨٣٩، كنز العمال: ٧/٤٣٧ ح١٩٦٦٦.

(٥) سنن أبي داود: ١/٢١٦ ح٨١٨، تيسير الوصول: ٢/٢٧٢. وانظر كنز العمال: ٨/١١٢ ح٢٢١٤١.

(٦) كتاب الأُم: ١ / ٢٤٥.

القيام الأوّل أو القيام الثاني لم يعتدّ بتلك الركعة، وصلّ ركعة أُخرى وسجد سجدتي السهو، كما إذا ترك أُمّ القرآن في ركعة واحدة من صلاة مكتوبة لم يعتدّ بها[١].

رأي مالك:

قال إمام المالكية كما في المدوّنة الكبرى[٢]: ليس العمل على قول عمر حين ترك القراءة[٣] فقالوا له: إنّك لم تقرأ؟ فقال: كيف كان الركوع والسجود؟ قالوا حسن، قال: فلا بأس إذن. وأرىٰ أن يعيد من فعل هذا[٤] وإن ذهب الوقت.

وقال في رجل ترك القراءة في ركعتين من الظهر أو العصر أو العشاء الآخرة: لا تجزئه الصلاة وعليه أن يعيد، ومن ترك القراءة في جلّ ذلك اعاد، وإن قرأ في بعضها وترك بعضها أعاد أيضاً، وإذا قرأ في ركعتين وترك القراءة في ركعتين، فإنّه يعيد الصلاة من أيّ الصلوات كانت.

وقال: من نسي قراءة أُمّ القرآن حتى قرأ السورة فإنّه يرجع فيقرأ أُمّ القرآن ثمّ يقرأ سورة أيضاً بعد قراءته أُمّ القرآن. وقال: لا يقضي قراءة نسيها من ركعة في ركعة أُخرى. وقال فيمن ترك أُمّ القرآن في الركعتين وقد قرأ بغير أُمّ القرآن: يعيد صلاته. وقال في رجل ترك القراءة في ركعة في الفريضة: يلغي تلك الركعة بسجدتيها ولا يعتدّ بها.

---

(١) راجع الغدير للاميني ٤ / ٢٤٨.

(٢) المدوّنة الكبرىٰ: ١/٥٦، ٦٦.

(٣) مرّ حديثه في الجزء السادس صفحة: ١٠٠ الطبعة الأولى و ١٠٨ الطبعة الثانية.

(٤) في المصدر: ذلك، بدلاً من هنا.

أقول: تجب القراءة في الصلاة ولا يجوز ترك القراءة عمداً وهو مبطل للصلاة.
ومن أبطل صلاته عمداً فلا يركن إليه!

صلاة المسافر في رأي عثمان

أخرج أبو عبيد في الغريب[1] وعبد الرزاق[2] والطحاوي وابن حزم عن أبي المهلّب، عثمان: أنّه بلغني أنّ قوماً يخرجون إمّا لتجارة أو لجباية أو لحشريّة[3] يقصرون الصلاة وإنّما يقصر الصلاة من كان شاخصاً أو بحضرة عدوّ.

ومن طريق قتادة عن عياش المخزومي: كتب عثمان إلى بعض عمّاله: أنّه لا يصلّي الركعتين المقيم ولا البادي ولا التاجر، إنّما يصلّي الركعتين من معه الزاد والمزاد.

وفي لفظ ابن حزم: إنّ عثمان كتب إلى عمّاله: لا يصلّي الركعتين جابٍ ولا تاجر ولا تان[4]، إنّما يصلّي الركعتين... الخ.

وفي لسان العرب: في حديث عثمان أنّه قال: لا يغرنّكم جشركم من صلاتكم فإنّما يقصر الصلاة من كان شاخصاً أو يحضره عدوّ. قال أبو عبيد: الجشر القوم يخرجون بدوابّهم إلى المرعى، ويبيتون مكانهم ولا يأوون إلى البيوت[5].

---

(١) غريب الحديث: ٣ / ٤١٩.

(٢) المصنّف: ٢ / ٥٢١ ح ٤٢٨٢.

(٣) كذا في النسخ بالمهملة، والصحيح كما يأتي: الجشر بالمعجمة.

(٤) التناية: هي الفلاحة والزراعة، نهاية ابن الأثير [١٩٩/١].

(٥) سنن البيهقي: ١٣٧/٣، المحلّى لابن حزم: ١/٥ [مسألة ٥١٣]. نهاية ابن الأثير: ٢٢٥/٢ [٢٧٣/١]. لسان العرب: ٢٠٧/٥ [٢٨٧/٢]. كنز العمال: ٢٣٩/٤ [٢٣٥/٨ ح ٢٢٧٠٤]. تاج العروس: ١٠٠/٣ و ٤٠١/٤.

وفي هامش سنن البيهقي[١]: شاخصاً: يعني رسولاً في حاجة، وفي النهاية[٢] شاخصاً: أي مسافراً ومنه حديث أبي أيوب: فلم يزل شاخصاً في سبيل الله.

قال الأميني: من أين جاء عثمان بهذا القيد في السفر؟ والأحاديث المأثورة في صلاته مطلقات كلّها، وقبلها عموم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾[٣].

ولأبي حنيفة وأصحابه والثوريّ وأبي ثور في عموم الآية نظر واسع لم يخصّوه بالمباح من السفر، بل قالوا بأنّه يعم سفر المعصية أيضاً كقطع الطريق والبغي كما ذكره ابن حزم[٤] والجصّاص في أحكام القرآن[٥]، وابن رشد في بداية المجتهد[٦]، وملك العلماء في البدائع، والخازن في تفسيره[٧].

وليس لحضور العدوّ أيّ دخل في القصر والإتمام وإنّما الخوف وحضور العدوّ لهما بشأن خاصّ في الصلوات، وأحكام تخصّ بهما، وناموس مقرّر لا يعدوهما.

فمقتضى الأدلّة كما ذهبت إليه الأمّة جمعاء: أنّ التاجر والجابي والتاني والجشرية وغيرهم إذا بلغوا مبلغ السفر فحكمهم القصر، فهم وبقيّة المسافرين شرع سواء، وإلّا فهم جميعاً في حكم الحضور يتمّون صلاتهم من دون أيّ فرق بين الأصناف، وليس تفصيل الخليفة إلّا فتوى مجرّدة ورأياً يخصّ به، وتقوّلاً لا يؤبه له

---

(١) سنن البيهقي ٣ / ١٣٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢ / ٤٥١.

(٣) النساء: ١٠١.

(٤) المحلّى، ابن حزم: ٤ / ٢٦٤.

(٥) أحكام القرآن: ٢ / ٢٥٥.

(٦) بداية المجتهد: ١ / ١٧٢.

(٧) تفسير الخازن: ١ / ٣٩٦، البدائع ١ / ٩٣.

تجاه النصوص النبويّة، وإطباق الصحابة، واتّفاق الأُمّة، وتساند الأئمّة والعلماء، وإنّما ذكرناه هنا لإيقافك على مبلغ الرجل من الفقاهة، أو تسرّعه في الفتيا من غير فحص عن الدليل، أو أنّه عرف الدليل لكنّه لم يكترث له وقال قولاً أمام قول رسول الله ﷺ:

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها　　فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

على أنّ التاجر جاء فيه ما أخرجه ابن جرير الطبري وغيره من طريق عليّ عليه السلام قال: «سأل قوم من التجّار رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنّا نضرب في الأرض فكيف نصلّي؟

فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾[1].

وجاء رجل فقال: يا رسول الله إنّي رجل تاجر أختلف إلى البحرين، فأمره أن يصلّي بركعتين[2].

أقول: بيّن عثمان وجوب القصر على المسافر والغازي ولم يتوسّع في الأمر ولم تظهر مخالفة للشرع في هذا النصّ.

إلّا أنّه خالف الشرع الإسلامي في مخالفته القصر في منى[3].

---

(١) تفسير ابن جرير: ١٥٥/٥ [ج٤ / ج٥ / ٢٤٤]، مقدمات المدوّنة الكبرى لابن رشد: ١٣٩/١، تفسير ابن عطيّة كما في تفسير القرطبي: ٣٦٢/٥ [٢٣٢/٥]، الدرّ المنثور: ٢٠٩/٢ [٦٥٦/٢]، تفسير الشوكاني: ٤٧١/١ [٥٠٨/١]، تفسير الآلوسي: ١٣٤/٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٤٤/١، الدرّ المنثور: ٢١٠/٢ [٦٥٦/٢].

(٣) راجع الغدير للاميني ٨ / ١٤٥.

صيد الحرم في رأي عثمان[1]

هل جوّز الإسلام صيد الحرم؟

أخرج إمام الحنابلة أحمد وغيره بإسناد صحيح: أقبل عثمان إلى مكّة، فاستقبلتُهُ بقديد، فاصطاد أهل الماء حجلاً فطبخناه بماء وملح، فقدّمناه إلى عثمان وأصحابه فأمسكوا. فقال عثمان: صيد لم نصده ولم نأمر بصيده اصطاده قوم حِلّ فأطعموناه فما بأس به. فبعث إلى عليّ عليه السلام فجاء، فذكر له فغضب عليّ عليه السلام وقال:

«أنشد رجلاً شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أُتي بقائمة حمار وحش فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّا قوم حرم فأطعموه أهل الحِلّ» فشهد اثنا عشر رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ قال عليّ: «أنشد الله رجلاً شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أُتي ـ ببيض النعام ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّا قوم حرم أطعموه أهل الحل» فشهد دونهم من العدّة من الاثني عشر قال: فثنىٰ عثمان وركه من الطعام فدخل رحله، وأكل الطعام أهل الماء.

وفي لفظ آخر لأحمد عن عبدالله بن الحارث: إنّ أباه ولي طعام عثمان، قال: فكأنّي أنظر إلى الحجل حوالي الجفان فجاء رجل فقال: إنّ علياً عليه السلام يكره هذا، فبعث إلى عليّ وهو ملطّخ يديه بالخبط فقال: إنّك لكثير الخلاف علينا، فقال عليّ:

---

(١) مسند أحمد: ١ / ١٠٠، ١٠٤ [١/١٦١ ح ٧٨٥، ٧٨٧، ص ١٦٧ ح ٨١٦]، كتاب الأُم للشافعي: ٧ / ١٥٧ [٧/١٧٠ ـ ١٧١]، سنن أبي داود: ١/٢٩١ [٢/١٧٠ ح ١٨٤٩]، سنن البيهقي: ٥/١٩٤، تفسير الطبري: ٧/٤٥، ٤٦ [م ٥/ج ٧/٧٠]، المحلّى لابن حزم: ٧/٢٥٤ [المسألة ٨٩٢] كنز العمال: ٣/٥٣ [٥/٢٥٣ ح ١٢٧٩٣] نقلاً عن أحمد وأبي داود وابن جرير، وعن الطحاوي وقال: صحّحه [في شرح معاني الآثار ٢/١٦٨ ح ٣٧٨٥] وأبي يعلى [في مسنده: ١/٢٩٤ ح ٣٥٦] والبيهقي.

«أُذكر الله من شهدا النبيّ ﷺ أُتي بعجز حمار وحش وهو محرم فقال: إنّا محرمون فأطعموه أهل الحلّ». فقال رجل فشهدوا ثمّ قال: «أُذكر الله رجلاً شهد النبيّ ﷺ أُتي بخمس بيضات بيض نعام فقال: إنّا محرمون فأطعموه أهل الحلّ» فقام رجال فشهدوا، فقام عثمان فدخل فسطاطه وتركوا الطعام على أهل الماء.

وفي لفظ الإمام الشافعي: إنّ عثمان أُهديت له حجل وهو محرم، فأكل القوم إلّا علياً عليه السلام فإنّه كره ذلك.

وفي لفظ لابن جرير: حجّ عثمان بن عفّان فحجّ عليّ عليه السلام معه، فأُتي عثمان بلحم صيد صاده حلال، فأكل منه ولم يأكله عليّ عليه السلام، فقال عثمان: والله ما صدنا ولا أمرنا ولا أشرنا فقال علي عليه السلام ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾[١].

وفي لفظ: إنّ عثمان بن عفّان نزل قديداً فأُتي بالحجل في الجفان شائلة بأرجلها، فأرسل إلى عليّ عليه السلام وهو يضفر[٢] بعيراً له، فجاء والخبط ينحات من يديه، فأمسك عليّ عليه السلام وأمسك الناس فقال عليّ عليه السلام: «من هاهنا من أشجع؟ هل تعلمون أنّ النبيّ ﷺ جاءه أعرابيّ ببيضات نعام وتمير[٣] وحش فقال: أطعمهنّ أهلك فإنّا حرم؟»

قالوا: بلى. فتورّك عثمان عن سريره ونزل فقال: خبثت علينا.

وفي لفظ البيهقي: كان الحارث خليفة عثمان على الطائف، فصنع لعثمان طعاماً

---

(١) المائدة: ٩٦.

(٢) ضفر الدابّة يضفرها ضفراً: ألقى في فيها. والضفر: ما شددت به البعير من الشعر المضفور. والمضفور والضفير: الحبل المفتول. الضفائر: الذوائب المضفورة [لسان العرب: ٨/٧٠، ٧١].

(٣) التمير: التقديد. والتتمير: التيبيس. والتتمير: أن يقطع اللحم صغاراً ويجفّف. واللحم المتمّر: المقطّع. لسان العرب [٢/٥٠].

وصنع فيه من الحجل واليعاقيب ولحوم الوحش قال: فبعث إلى عليّ بن أبي طالب فجاءه الرسول وهو يخبط لأباعر له، فجاءه وهو ينفض الخبط من يده فقالوا له: كل فقال: «أطعموه قوماً حلالاً فإنّا قوم حرم»، ثمّ قال عليّ عليه السلام: «أنشد الله من كان هاهنا من أشجع، أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أُهدي إليه رجل حمار وحش وهو محرم فأبى أن يأكله؟»

قالوا: نعم.

وأخرج الطبري من طريق صبيح بن عبدالله العبسي قال: بعث عثمان بن عفان أبا سفيان بن الحرث على العروض، فنزل قديداً فمرّ به رجل من أهل الشام معه باز وصقر فاستعاره منه فاصطاد به من اليعاقيب فجعلهنّ في حظيرة، فلمّا مرّ به عثمان طبخهنّ ثمّ قدّمهنّ إليه فقال عثمان: كلوا، فقال بعضهم: حتى يجيئ علي بن أبي طالب عليه السلام. فلمّا جاء فرأى ما بين أيديهم قال عليّ عليه السلام: «إنّا لا نأكل منه».

فقال عثمان مالك لا تأكل؟

فقال: «هو صيد لا يحلّ أكله وأنا محرم».

فقال عثمان: بيّن لنا فقال عليّ عليه السلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾[1].

فقال عثمان: أو نحن قتلناه؟ فقرأ عليه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾[2].

أقول: لو كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام غير حاضر في تلك الحجّة

(١) المائدة: ٩٥.

(٢) المائدة: ٩٦.

لأكل عثمان ذلك الصيد جهلاً منه بالحكم الشرعي. ولو كان كعب الأحبار برفقة عثمان في سفره ذاك لقال الكثير من الأحاديث الكاذبة عن النبي ﷺ في حلّية الصيد للمحرم.

إذا لم تستطع شيئاً فدعه   وجاوزه إلى ما تستطيع

عدّة المختلعة

عن نافع، أنّه سمع ربيع بنت معوذ بن عفراء وهي تخبر عبدالله بن عمر أنّها اختلعت من زوجها على عهد عثمان فجاء معاذ بن عفراء إلى عثمان فقال: إنّ ابنة معوذ اختلعت من زوجها اليوم أتنتقل؟

فقال له عثمان: تنتقل ولا ميراث بينهما ولا عدّة عليها إلّا أنّها لا تنكح حتى تحيض حيضة، خشية أن يكون بها حبل، فقال عبدالله عند ذلك: عثمان خيرنا وأعلمنا. وفي لفظ آخر: قال عبدالله: أكبرنا وأعلمنا[1].

وفي لفظ عبدالرزاق[2] عن نافع، عن الربيع ابنة معوذ أنّها قالت: كان لي زوج يُقلّ الخير إذا حضر ويحزنني إذا غاب[3]، فكانت منّي زلّة يوماً فقلت له: اختلعت منك بكلّ شيء أملكه فقال: نعم ففعلت، فخاصم عمّي معاذ بن عفراء إلى عثمان فأجاز الخلع وأمره أن يأخذ عقاص رأسي فما دونه، أو قالت: دون عقاص الرأس.

---

(١) سنن البيهقي: ٧/ ٤٥٠، ٤٥١، سنن ابن ماجة: ١/ ٦٣٤ [١/ ٦٦٣ ح ٢٠٥٨]، تفسير ابن كثير: ١/ ٢٧٦ نقلاً عن ابن أبي شيبة [في المصنّف: ٥/ ١١٥]، زاد المعاد لابن القيّم: ٢/ ٤٠٣ [٤/ ٢١٤]، كنز العمال: ٣/ ٢٢٣ [٦/ ١٨١ ح ١٥٢٦٤، ح ١٥٢٦٨]، نيل الأوطار: ٧/ ٣٥ [٦/ ٢٧٨].

(٢) المصنّف: ٦/ ٥٠٤ ح ١١٨٥٠.

(٣) في المصدر: ويحرمني إذا غاب.

وفي لفظ عن نافع: انّه زوّج ابنة أخيه رجلاً فخلعها، فرفع ذلك إلى عثمان فأجازه فأمرها أن تعتدّ حيضة. وفي لفظ ابن ماجة من طريق عبادة بن الصامت: قالت: اختلعت من زوجي ثمّ جئت عثمان فسألت ماذا عليّ من العدّة؟ فقال: لا عدّة عليك إلّا أن يكون حديث عهد بك فتمكثين عنده حتى تحيضي حيضة.

قال الأميني: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[1].

نصاً من الله العزيز الحكيم من غير فرق بين أقسام الطلاق المنتزعة من شقاق الزوج والزوجة، فإن كان الكره من قبل الزوج فحسب فالطلاق رجعي، أو من قبل الزوجة فقط فهو خلعي. أو منهما معاً فباراة. فليس لكلّ من هذه الأقسام حكم خاصّ في العدّة غير ما ثبت لجميعها بعموم الآية الكريمة المنتزع من الجمع المحلّى باللام ـ المطلّقات ـ وعلى هذا تطابقت فتاوى الصحابة والتابعين والعلماء من بعدهم وفي مقدّمهم أئمّة المذاهب الأربعة.

قال ابن كثير في تفسيره[2]: مسألة وذهب مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه في رواية عنهما وهي المشهورة إلى أنّ المختلعة عدّتها عدّة المطلّقة بثلاثة قروء إن كانت ممّن تحيض، وروي ذلك عن عمر وعليّ عليه السلام وابن عمر، وبه يقول سعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وعروة، وسالم، وأبو سلمة، وعمر بن عبدالعزيز، وابن شهاب، والحسن، والشعبي، وإبراهيم النخعي، وأبو عياض، وخلاس بن عمر، وقتادة، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، وأبو عبيد.

---

(١) البقرة: ٢٢٨.

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٢٧٦.

وقال الترمذي[1]: وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم، ومأخذهم في هذا أنّ الخلع طلاق فتعتدّ كسائر المطلّقات.

هذه آراء أئمّة المسلمين عند القوم وليس فيها شيء يوافق ما ارتآه عثمان وهي مصافقة للقرآن الكريم كما ذكرناه.

وقد احتُجّ لعثمان بما رواه الترمذي في صحيحه[2] من طريق عكرمة عن ابن عباس: إنّ امرأة ثابت بن قيس اختلعت منه فجعل النبيّ ﷺ عدّتها حيضة.

وهذه الرواية باطلة، إذ المحفوظ عند البخاري[3] والنسائي[4] من طريق ابن عباس في قصّة امرأة ثابت ما لفظه: قال ابن عباس: جاءت امرأة ثابت بن قيس إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إنّي ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكنّي أكره الكفر في الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: «أتردّين عليه حديقته؟» ـ وكانت صداقها ـ».

قالت: نعم.

فقال رسول الله ﷺ: «إقبل الحديقة وطلّقها تطليقة».

فامرأة ثابت نظراً إلى هذه اللفظة مطلّقة تطليقة والمطلّقات يتربّصن بأنفسهنّ ثلاثة قروء.

على أنّ الاضطراب الهائل في قصة امرأة ثابت يوهن الأخذ بما فيها، ففي لفظ: إنّها جميلة بنت سلول، كما في سنن ابن ماجة[5]. وفي لفظ أبي الزبير: إنّها زينب. وفي

---

(١) قاله في صحيحه: ١٤٢/١ [٤٩٢/٣ ح ١١٨٥].

(٢) سنن الترمذي: ٣ / ٤٩١ ح ١١٨٥.

(٣) صحيح البخاري: ٥ / ٢٠٢١ ح ٤٩٧١.

(٤) السنن الكبرى: ٣ / ٣٦٩ ح ٥٦٥٧.

(٥) سنن ابن ماجة: ١ / ٦٦٣ ح ٢٠٥٦، ٢٠٥٨.

لفظ: إنّها بنت عبدالله وفي لفظ لابن ماجة والنسائي: إنّها مريم العالية، وفي موطّأ مالك[١]: إنّها حبيبة بنت سهل، وذكر البصريّون: أنّها جميلة بنت أُبي[٢]. وجلّ هذه الألفاظ كلفظ البخاري والنسائي يخلو عن ذكر العدّة بحيضة، فلا يخصّص حكم القرآن الكريم بمثل هذا.

على أنّه لو كان لها مقيل في مستوى الصدق والصحّة لما أصفقت الأئمّة على خلافها كما سمعت من كلمة ابن كثير.

وقد يعاضَد رأي الخليفة بما أخرجه الترمذي في صحيحه[٣] عن الربيع بنت معوذ ـ صاحبة عثمان ـ أنّها اختلعت على عهد رسول الله ﷺ فأمرها النبيّ ﷺ أو أُمِرت أن تعتدّ بحيضة، قال الترمذي: حديث الربيع الصحيح أنّها أُمرت أن تعتدّ بحيضة، وبهذا اللفظ جاء في حديث سليمان بن يسار عن الربيع قالت: إنّها اختلعت من زوجها فأمرت أن تعتدّ بحيضة.

وقال البيهقي بعد رواية هذا الحديث: هذا أصحّ وليس فيه من أَمَرَها ولا على عهد النبيّ ﷺ، وقد روينا في كتاب الخلع أنّها اختلعت من زوجها زمن عثمان بن عفان، ثمّ أخرج حديث نافع المذكور في صدر العنوان فقال: هذه الرواية تصرّح بأنّ عثمان هو الذي أمرها بذلك، وظاهر الكتاب في عدّة المطلّقات يتناول المختلعة وغيرها، فهو أولى وبالله التوفيق[٤].

فليس للنبيّ ﷺ في قصة بنت معوذ حكم وما رفعت إليه ﷺ، وإنّما وقعت

---

(١) موطّأ مالك: ٢ / ٥٦٤ ح ٣١.

(٢) راجع نيل الأوطار: ٧/٣٤ـ٣٧ [٦/٢٧٦ـ٢٧٨].

(٣) سنن الترمذي ١ / ١٤٢.

(٤) سنن البيهقي: ٧ / ٤٥١.

في عصر عثمان وهو الحاكم فيها، وقد حرّفتها عن موضعها يد الأمانة على ودائع العلم والدين لتبرير ساحة عثمان عن لوث الجهل، ولو كان لتعدّد القصّة وزن يُقام عند الفقهاء وروايتها بمشهد منهم ومرأى لما عدلوا عنها على بكرة أبيهم إلى عموم الكتاب ولما تركوها متدهورة في هوّة الإهمال.

وعلى الباحث أن ينظر نظرة عميقة إلى قول ابن عمر وقد كان في المسألة أوّلاً مصافقاً في رأيه الكتاب ومن عمل به من الصحابة وعدّ في عدادهم، ثمّ لمحض أن بلغه رأي الخليفة المجرّد عن الحجّة عدل عن فتواه فقال: عثمان خيرنا وأعلمنا، أو قال: أكبرنا وأعلمنا. هكذا فليكن المجتهدون، وهكذافلتصدر الفتاوىٰ.

أقول: من مشكلات غصب الخلافة السياسية والدينيّة حصول أحكام وفتاوىٰ باطلة مخالفة للقرآن الكريم.

فالضعف العلمي عند الرؤساء أصاب الأمّة بانتكاسات كبيرة في مجال الفقه والعقيدة والتفسير.

وعثمان لم يملك علماً ولا فقهاً وهو يعترف بذلك؛ لكنه يصدر أحكاماً دون تردّد ولا احتياط.

فقد خالف الله تعالىٰ القائل: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾[1].

وكلّ ما خالف القرآن الكريم باطل.

امرأة المفقود في الشرع الإسلامي

من طريق سعيد بن المسيّب أنّ عمر بن الخطّاب قال: أيّما امرأة فقدت زوجها

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٨.

فلم تدر أين هو فإنّها تنتظر أربع سنين، ثمّ تنتظر أربعة أشهر وعشراً، ثمّ تحلّ. وقضى بذلك عثمان بن عفان بعد عمر.

وأخرج أبو عبيد بلفظ: إنّ عمر وعثمان قالا: امرأة المفقود تربّص أربع سنين، ثمّ تعتدّ أربعة أشهر وعشراً، ثمّ تنكح.

وفي لفظ الشيباني: إنّ عمر أجّل امرأة المفقود أربع سنين، وفي لفظ شعبة من طريق عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: قضى عمر في المفقود تربّص امرأته أربع سنين ثمّ يطلّقها وليّ زوجها، ثمّ تربّص بعد ذلك أربعة أشهر وعشراً ثمّ تزوّج.

ومن طريق ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيّب عن عمر في امرأة المفقود قال: إن جاء زوجها وقد تزوّجت خيّر بين امرأته وبين صداقها، فإن اختار الصداق كان على زوجها الآخر، وإن اختار امرأته اعتدّت حتى تحلّ، ثمّ ترجع إلى زوجها الأوّل وكان لها من زوجها الآخر مهرها بما استحلّ من فرجها. قال ابن شهاب: وقضى بذلك عثمان بعد عمر.

وفي لفظ الشافعي: إذا تزوّجت فقدم زوجها قبل أن يدخل بها زوجها الآخر كان أحقّ بها، فإن دخل بها زوجها الآخر فالأوّل المفقود بالخيار بين امرأته والمهر[1].

قال الأميني: من لي بمتفقّه في المسألة، يخبرني عن علّة تريّث المفقود عنها زوجها أربع سنين، أهو مأخوذ من كتاب الله؟ فأين هو منه؟ أم أُخذ من سنّة رسول الله ﷺ فمن ذا الذي رواها ونقلها؟ والصحاح والمسانيد للقوم خالية عنها، نعم ربّما يُتشبّث للتقدير بأنّها نهاية مدّة الحمل. قال البقاعي[2]: وسبب التقدير

---

(١) موطّأ مالك: ٢٨/٢ [٥٧٥/٢ ح ٥٢]، كتاب الأم للشافعي: ٢١٩/٧ [٢٣٦/٧]، سنن البيهقي: ٤٤٥/٧، ٤٤٦.

(٢) فيض الإله المالك: ٢ / ٢٦٣.

بأربع سنين أنّها نهاية مدّة الحمل وقد أخبر بوقوعه لنفسه الإمام الشافعي وكذا الإمام مالك وحكي عنه أيضاً أنّه قال: جارتنا امرأة صدق وزوجها رجل صدق حملت ثلاثة أبطن في اثنتي عشرة سنة، تحمل كلّ بطن أربع سنين، وورد هذا عن غير تلك المرأة أيضاً.

وهذا التعليل حكاه ابن رشد في[1] عن أبي بكر الأبهري ثمّ عقّبه بقوله: وهو تعليل ضعيف لأنّ العلّة لو كانت في ذلك هذا لوجب أن يستوي فيه الحرّ والعبد[2] لاستوائهما في مدّة لحوق النسب، ولوجب أن يسقط جملة في الصغيرة التي لا يوطأ مثلها إذا فقد عنها زوجها فقام عنها أبوها في ذلك، فقد قال: إنّها لو أقامت عشرين سنة ثمّ رفعت أمرها لضرب لها أجل أربعة أعوام وهذا يبطل تعليله إبطالاً ظاهراً.

وليت هذا المتشبّث أدلى في حجّته بذكر أُناس تريّثوا في الأرحام النزيهة عن الخنا أربعاً قبل فتيا الخليفتين، وإلاّ فما غناء قصّة وقعت بعدهما بردح طويل من الزمن ولا يُدرى أصحيحة هي أم مكذوبة؟ وعلى فرض الصحّة فهل كان الخليفتان يعلمان الغيب؟ وأنّه سينتج المستقبل الكشّاف رجلاً يكون حجّة لما قدّراه من مدّة التربّص؟ أو كان ما قد رآه فتوى مجرّدة؟ فنحتت لها الأيّام علّة بعد الوقوع.

على أنّ أقصى مدّة الحمل محلّ خلاف بين الفقهاء، ذهب أبو حنيفة وأصحابه والثوري إلى أنّه عامان، ومذهب الشافعي أنّه أربعة أعوام، واختار ابن القاسم أنّ أكثره خمسة أعوام[3]، وروى أشهب عن مالك سبعة أعوام على ما روي أنّ امرأة

---

(١) المدوّنة الكبرى: ٢ / ١٠١.

(٢) التفصيل بين الحرّ والعبد بأنّ امرأة الحرّ يضرب لها الأجل أربعة أعوام ولامرأة العبد تربّص عامين كما نصّ عليه ابن رشد، رأي مجرّد لا دليل عليه.

(٣) في الفقه على المذاهب الأربعة: ٥٣٥/٤ إنّه خمس سنين على الراجح. (المؤلف)

ابن عجلان ولدت ولداً مرّة لسبعة أعوام[1].

ولعلّ ابناء عجلان آخرين في أرجاء العالم لا يُرفع أمر حلائلهم إلى مالك والشافعي وقد ولدن أولاداً لثمانية أو تسعة أو عشرة أعوام، دع العقل والطبيعة والبرهنة تستحيل ذلك كلّه، ما هي وما قيمتها تجاه ما جاءت به امرأة عجلان وحكم به مالك؟! أو وجاه ما أتت به أمّ الشافعي فأفتى به؟!

ونقل ابن رشد في سبب التقدير بأربعة أعوام عللاً غير هذا وإن ردّها وفنّدها، منها: أنّها المدّة التي تبلغها المكاتبة في بلد الإسلام مسيراً ورجوعاً، ومنها: أنّه جهل إلى أيّ جهة سار من الأربع جهات، فلكلّ جهة تربّص سنّة فهي أربع سنين. هذا مبلغ علمهم بفلسفة آراء جاء بها عمر وعثمان فأين يقع هو من حكم ما صدع به النبيّ الأقدس؟

ثمّ يخبرني هذا المتفقّه عن هذه العدّة التي أثبتها الخليفتان لماذا هي؟ فإن كانت عدّة الوفاة فإنّها غير جازمة بها، ولا تثبت بمجرّد مرور أربع سنين أو أكثر، وفي رواية عن عمر كما سمعت أنّه قضى في المفقود تربّص امرأته أربع سنين ثمّ يطلّقها وليّ.

أقول: وقع عمر وعثمان في خبط عظيم في الفقه الإسلامي لا تنجو منه الأمّة إلى يوم القيامة؛ لابتعادهما عن الأحكام القرآنية والنبوية ومنعهما تدوين الحديث.

فإذا كانت المرأة المفقود زوجها تعتدّ أربع سنين ثمّ تتزوّج فكيف يطلّقها زوجها الجديد إن عاد زوجها الأوّل؟

والعجيب في فتاوى عمر وعثمان في حقّ الزوج الأوّل بين امرأته والمهر.

---

(١) راجع مقدّمات المدوّنة الكبرى للقاضي ابن رشد: ٢/ ١٠٢. (المؤلف)

ولا يصحّ إطلاق لفظ امرأته عليه بعدما طلّقها الشرع منه.
وكيف يأخذ المهر منها أو من زوجها الجديد وقد استمتع بنكاحها سابقاً.
وما ذنب الزوج الجديد حتىٰ يدفع مهراً ليس مسؤولاً عنه؟

الجمع بين الأُختين بالملك

أخرج مالك في الموطأ[1] (١٠/٢)، عن ابن شهاب، عن قبيصة بن ذؤيب أنّ رجلاً سال عثمان بن عفّان عن الأُختين من ملك اليمين، هل يجمع بينهما؟

فقال عثمان: أحلّتهما آية وحرّمتها آية، أمّا أنا فلا أُحبُّ أن أصنع ذلك. قال: فخرج من عنده فلقي رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك فقال: لو كان لي من الأمر شيء ثمّ وجدت أحداً فعل ذلك لجعلته نكالاً. قال ابن شهاب: أراه عليّ بن أبي طالب.

عن ابن شهاب ؛ قال: أخبرني قبيصة بن ذؤيب أنّ نياراً الأسلمي سأل رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ عن الأُختين فيما ملكت اليمين، فقال له: أحلّتهما آية وحرّمتها آية، ولم أكن لأفعل ذلك. قال: فخرج نيار من عند ذاك الرجل فلقيه رجل آخر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: ما أفتاك به صاحبك الذي استفتيتهُ؟ فأخبره، فقال: إنّي أنهاك عنهما، ولو جمعت بينهما ولي عليك سلطان عاقبتك عقوبة منكلة.

قال ملك العلماء في البدائع: وروي عن عثمان أنّه قال: كلُّ شيء حرّمه الله تعالى من الحرائر حرّمه الله تعالى من الإماء إلّا الجمع في الوطئ بملك اليمين.

---

(١) موطّأ مالك: ٢ / ٥٣٨ ح ٣٤.

وقال الجصّاص في أحكام القرآن: وروي عن عثمان وابن عباس أنّهما أباحا ذلك وقالا: أحلّتهما آية وحرّمتهما آية. وقال: روي عن عثمان الإباحة، وروي عنه أنّه ذكر التحريم والتحليل وقال: لا آمر به ولا أنهى عنه. وهذا القول منه يدلُّ على أنّه كان ناظراً فيه غير قاطع بالتحليل والتحريم فيه، فجائز أن يكون قال فيه بالإباحة ثمّ وقف فيه، وقطع عليّ عليه السلام فيه بالتحريم.

وقال الزمخشري: أمّا الجمع بينهما في ملك اليمين؛ فعن عثمان وعلي عليه السلام أنّهما قالا: أحلّتهما آية وحرّمتهما آية، فرجّح عليّ عليه السلام التحريم وعثمان التحليل[1].

وقال الرازي[2]: وعن عثمان، أنّه قال: أحلّتهما آية وحرّمتهما آية، والتحليل أولى.

وقال ابن عبد البرّ في كتاب الاستذكار[3]: إنّما كنّى قبيصة بن ذؤيب عن عليّ ابن أبي طالب لصحبته عبدالملك بن مروان، وكانوا يستثقلون ذكر عليّ بن أبي طالب[4].

قال الأميني: يقع البحث عن هذه المسألة في موردين:

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي: ٧ / ١٦٣، ١٦٤، أحكام القرآن للجصّاص: ٢ / ١٥٨، المحلّى لابن حزم: ٩ / ٥٢٢، تفسير الزمخشري: ١ / ٣٥٩، تفسير القرطبي، ٥ / ١١٧، بدائع الصنائع لملك العلماء: ٢ / ٢٦٤، تفسير الخازن: ١ / ٣٥٦، الدرّ المنثور: ٢ / ١٣٦، نقلاً عن مالك والشافعي وعبد بن حميد وعبدالرزاق وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم والبيهقي، تفسير الشوكاني: ١ / ٤١٨.

(٢) التفسير الكبير: ١٠ / ٣٦.

(٣) في بيان حديث الموطّأ المذكور في أوّل العنوان في قول قبيصة: فلقي رجلاً.

(٤) أحكام القرآن: ٢ / ١٣٠، الكشّاف: ٤٩٦/١، الجامع لأحكام القرآن: ٧٧/٥، تفسير الخازن: ٣٤٢/١، الدرّ المنثور: ٤٧٦/٢، موطّأ مالك: ٥٣٨/٢ ح ٣٤، كتاب الأُم للشافعي: ٣/٥، المصنّف لعبدالرزاق: ١٨٩/٧ ح ١٢٧٢٨، مصنّف ابن أبي شيبة: ١٦٩/٤، فتح القدير: ٤٥٣/١.

الأوّل: في حكم الجمع بين الأُختين بملك اليمين ووطئهما جميعاً، فهو محرّم على المشهور بين الفقهاء كما قاله الرازي في تفسيره[١].

وهو المشهور عند الجمهور والأئمة الأربعة وغيرهم، وإن كان بعض السلف قد توقّف في ذلك كما قاله ابن كثير في تفسيره[٢].

ولا يجوز الجمع عند عامّة الصحابة[٣].

وكان فيه خلاف بين السلف ثمّ زال وحصل الإجماع على تحريم الجمع بينهما بملك اليمين. واتّفق فقهاء الأمصار عليه كما قاله الجصّاص في أحكام القرآن[٤].

أقول: حرّم الله تعالىٰ الجمع بين الأختين في كتابه العزيز وحلّل ذلك عثمان بن عفان.

ولا أدري كم تجرّأ عثمان بن عفان على شريعة الله تعالىٰ فخالفها وكيف عضده الناس في منحاه المخالف للقرآن الكريم.

فقد قال الله تعالىٰ في كتابه المبين:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُم أُمَّهاتُكُم وبَنَاتُكُم وَأَخواتُكُم وَعمّاتُكُم وَخالاتُكُم وبَناتُ الأَخِ وَبَناتُ الأُخْتِ... وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾[٥].

وقال عثمان بجواز الجمع بين الأُختين في ملك اليمين.

وكلّما خالف القرآن الكريم فهو باطل.

---

(١) التفسير الكبير: ١٠ / ٣٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ١ / ٤٧٢.

(٣) بدائع الصنائع: ٢ / ٢٦٤.

(٤) أحكام القرآن: ٢ / ١٣٠، ١٣٢.

(٥) النساء: ٢٣، راجع الغدير للاميني ٤ / ٣٠٤.

صدقة رسول الله العامّة تصبح خاصّة!

أخرج الطبراني في الأوسط[١] من طريق سعيد بن المسيّب قال: كان لعثمان آذن، فكان يخرج بين يديه إلى الصلاة، قال: فخرج يوماً فصلّى والآذن بين يديه ثمّ جاء فجلس الآذن ناحية ولّف رداءه فوضعه تحت رأسه واضطجع ووضع الدرّة بين يديه. فأقبل عليّ عليه السلام في إزار ورداء وبيده عصا، فلمّا رآه الآذن من بعيد قال: هذا عليّ عليه السلام قد أقبل، فجلس عثمان فأخذ عليه رداءه، فجاء حتى قام على رأسه فقال: اشتريت ضيعة آل فلان ولوقف رسول الله صلى الله عليه وآله في مائها حقّ، أما إنّي قد علمت أنّه لا يشتريها غيرك. فقام عثمان وجرى بينهما كلام[٢]، وجاء العباس فدخل بينهما، فجعل العباس يسكّنهما ويقول لعليّ: أمير المؤمنين، ويقول لعثمان: ابن عمّك. فلم يزل حتى سكتا[٣].

قال الأميني: يعلمنا الحديث أنّ الخليفة ابتاع الضيعة وماءها وفيه حقّ لِوقف رسول الله لا يجوز ابتياعه. فإن كان يعلم بذلك، وهو المستفاد من سياق الحديث حيث إنّه لم يعتذر بعدم العلم، وهو الذي يلمح إليه قول الإمام عليه السلام: وقد علمت أنّه لا يشتريها غيرك. فبأي مبرّر استساغ ذلك الشراء؟

وإن كان لا يعلم فقد أعلمه الإمام عليه السلام فما هذه المماراة والتلاحي حتى فصل بينهما العباس، أو في الحق مغضبة؟ وهل يكون تنبيه الغافل أو إرشاد الجاهل مجلبةً لغضب الإنسان الديني؟ فضلاً عمّن يُقلّه أكبر منصّة في الإسلام.

(١) المعجم الأوسط: ٨ / ٣٦٣ ح ٧٧٤٠.

(٢) عبارة الطبراني في المعجم الأوسط: وجرى بينهما كلام لا أردّه حتى ألقى لله، راجع كتاب الغدير للأميني ٤ / ٣٢٦.

(٣) مجمع الزوائد: ٧ / ٢٢٦.

وأحسب أنّ ذيل الرواية مُلصق بها لإصلاح ما فيها، وعلى فرض صحّته فإنّه لا يجديهم نفعاً، فإنّ الإمام عليه السلام لم يألُ جهداً في النهي عن المنكر سواء ارتدع فاعله أو أنّه عليه السلام يئس من خضوعِه للحقّ، وعلى كلّ فإنّه عليه السلام كان يماشيهم على ولاء الإسلام ولا يثيره إلّا الحقّ إذا لم يُعمل به، فيجري في كلّ ساعة على حكمها من مكاشفة أو ملاينة، وهكذا فليكن المصلح المنزّه عن الأغراض الشخصيّة الذي يغضب لله وحده ويدعو إلى الحقّ للحقّ.

أقول: إنّ مشكلة عثمان بن عفان عدم اعتنائه بآيات القرآن الكريم والحديث الشريف، فهو يخالفها متى شاء وأنّى شاء دون عناية منه لذلك.

وكان معاوية بن أبي سفيان كذلك لا يهتمّ بالأحكام السماوية.

فعين الماء التي تصدّق بها رسول الله صلى الله عليه وآله للناس لا يمكن شراؤها لمصلحة فرد واحد، ولا يقدم على هذا الفعل إلّا المنكرون؛ لذا قال الإمام علي عليه السلام لعثمان: إنّي أعلم لا يشتريها غيرك.

حمى الجاهلية

وخالفت قريش الإسلام.

لقد جعل الإسلام منابت العيش من مساقط الغيث والمروج كلّها شرعاً سواء بين المسلمين إذا لم يكن لها مالك مخصوص كما هو الأصل في المباحات الأصليّة من جواز الفلوات وأطراف البراري؛ فترتع فيها مواشيهم وترعى إبلهم وخيلهم من دون أيّ مزاحمة بينهم، وليس لأيّ أحد أن يحمي لنفسه حمى فيمنع الناس عنه؛ فقال صلى الله عليه وآله: «المسلمون شركاء في ثلاث: في الكلأ والماء والنار».

وقال: «ثلاث لا يُمنعن: الماء والكلأ والنار».

وقال: «لا يُمنع فضل الماء ليمنع به الكلأ» وفي لفظ: «لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به فضل الكلأ». وفي لفظ: «من منع فضل الماء ليمنع به فضل الكلأ منعه الله فضله يوم القيامة»[١].

نعم كان في الجاهلية يحمي الشريف منهم ما يروقه من قِطَع الأرض لمواشيه وإبله خاصّة فلا يشاركه فيه أحد وإن شاركهم هو في مراتعهم، وكان هذا من مظاهر التجبّر السائد عندئذٍ، فاكتسح رسول الله ﷺ ذلك فيما اكتسحه من عادات الطواغيت وتقاليد الجبابرة فقال ﷺ: «لا حمى إلّا لله ولرسوله»[٢].

وقال الشافعي في تفسير الحديث: كان الشريف من العرب في الجاهلية إذا نزل بلداً في عشيرته استعوى كلباً، فحمى لخاصّته مدى عُواء الكلب لا يشركه فيه غيره فلم يرعه معه أحد، وكان شريك القوم في سائر المراتع حوله. قال: فنهى النبيّ ﷺ أن يُحمى على الناس حمى كما كانوا في الجاهلية يفعلون. قال:

وقوله: ألا لله ولرسوله. يقول: إلّا ما يُحمى لخيل المسلمين وركابهم التي تُرصد للجهاد ويُحمل عليها في سبيل الله وإبل الزكاة كما حمى عمر النقيع[٣] لنعم الصدقة والخيل المعدّة في سبيل الله[٤].

---

(١) توجد هذه الأحاديث في صحيح البخاري: ١١٠/٢ [٨٣٠/٢ ح٢٢٢٦ و٢٢٢٧]، الأموال لأبي عبيد: ص٢٩٦ [ص٣٧٣ ح٧٣١ و٧٣٣]، سنن أبي داود: ١٠١/٢ [٢٧٧/٣، ٢٧٨ ح٣٤٧٣، ٣٤٧٧]، سنن ابن ماجة: ٩٤/٢ [٨٢٨/٢ ح٢٤٧٨].

(٢) صحيح البخاري: ١١٣/٣ [٨٣٥/٢ ح٢٢٤١]، الأموال لأبي عبيد: ص٢٩٤ [ص٣٧٢ ح٧٢٨]، كتاب الأم للشافعي: ٢٠٧/٣ [٤٧/٤] وفي الأخيرين تفصيل ضافٍ حول المسألة.

(٣) على عشرين فرسخاً أو نحو ذلك من المدينة. معجم البلدان [٣٠١/٥].

(٤) راجع كتاب الأم: ٢٠٨/٣ [٤٧/٤]، معجم البلدان: ٣٤٧/٣ [٣٠١/٥]، نهاية ابن الأثير: ٢٩٧/١ [٤٤٧/١]، لسان العرب: ٢١٧/١٨ [٣٤٨/٣]، تاج العروس: ٩٩/١٠.

واستعمل عمر على الحمى مولى له يقال له هنّي فقال له: يا هنّي ضمّ جناحك للناس، واتّقِ دعوة المظلوم فإنّ دعوة المظلوم مجابة، وأدخل ربّ الصريمة وربّ الغنيمة، وإيّاي ونعم ابن عفان[1] ونعم ابن عوف فإنّهما إن تهلك ماشيتهما يرجعان إلىٰ نخل وزرع.

وأصبحت فدك لمروان

عدّ ابن قتيبة في المعارف[2]، وأبو الفداء[3] ممّا نقم الناس على عثمان إقطاعه فدك لمروان وهي صدقة رسول الله، فقال أبو الفداء: وأقطع مروان بن الحكم فدك وهي صدقة رسول الله ﷺ التي طلبتها فاطمة ميراثاً، فروى أبو بكر عن رسول الله ﷺ: نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة، ولم تزل فدك في يد مروان وبنيه إلى أن تولّى عمر بن عبدالعزيز فانتزعها من أهله وردّها صدقة.

وأخرج البيهقي[4] من طريق المغيرة حديثاً في فدك وفيه: أنّها أقطعها مروان لمّا مضى عمر لسبيله. فقال: قال الشيخ: إنّما أقطع مروان فدكاً في أيّام عثمان بن عفّان وكأنّه تأوّل في ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ. إذا أطعم الله نبيّاً طعمة فهي للذي يقوم من بعده، وكان مستغنياً عنها بماله فجعلها لأقربائه ووصل بها رحمهم، وذهب آخرون إلى أنّ المراد بذلك التولية وقطع جريان الإرث فيه، ثمّ تصرف في مصالح المسلمين كما كان أبو بكر وعمر يفعلان.

---

(١) في لفظ أبي عبيد: ودعني من نعم ابن عفان. بدل: وإيّاي ونعم ابن عفان.

(٢) المعارف: ص ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٣) تاريخ أبي الفداء: ١ / ١٦٨.

(٤) السنن الكبرىٰ، البيهقي: ٦ / ٣١٠.

وفي العقد الفريد[1] في عدّ ما نقم الناس على عثمان: أنّه أقطع فدك مروان وهي صدقة لرسول الله ﷺ وافتتح إفريقية وأخذ خمسها فوهبه لمروان.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه[2]: وأقطع عثمان مروان فدك، وقد كانت فاطمة ؏ طلبتها بعد وفاة أبيها صلوات الله عليه تارةً بالميراث وتارةً بالنحلة فدفعت عنها.

قال الأميني: أنا لا أعرف كنه هذا الإقطاع وحقيقة هذا العمل فإنّ فدك إن كانت فيئاً للمسلمين ـ كما ادّعاه أبو بكر ـ فما وجه تخصيصها بمروان؟ وإن كانت ميراثاً لآل رسول الله ﷺ كما احتجّت له الصدّيقة الطاهرة في خطبتها، واحتجّ له أئمّة الهدى من العترة الطاهرة وفي مقدّمهم سيّدهم أمير المؤمنين عليه وعليهم السلام، فليس مروان منهم، ولا كان للخليفة فيها رفع ووضع، وإن كانت نحلة من رسول الله ﷺ لبضعته الطاهرة فاطمة المعصومة ـ صلوات الله عليها ـ كما ادّعته وشهد لها أمير المؤمنين وابناها الإمامان السبطان وأمّ أيمن المشهود لها بالجنّة فردّت شهادتهم بما لا يُرضي الله ولا رسوله، وإذا رُدّت شهادة أهل آية التطهير فبأيّ شيء يُعتمد[3]؟ وعلى أيّ حجّة يُعوّل؟

إن دام هذا ولم يحدثْ به غِيَرٌ لم يُبكَ ميتٌ ولم يُفرحْ بمولودِ

فإن كانت فدك نحلة فأيّ مساس بها لمروان؟ وأيُّ سلطة عليها لعثمان؟ حتى يقطعها لأحد ولقد تضاربت أعمال الخلفاء الثلاثة في أمر فدك فانتزعها أبو بكر من أهل البيت، وأقطعها عثمان لمروان، ثمّ كان فيها ما كان في أدوار المستحوذين على

---

(١) العقد الفريد: ٤ / ١٠٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١ / ١٩٨ ـ ١٩٩ خطبة ٣.

(٣) ضمّن ؒ (يُعتمد) معنى (يوثق).

الأمر منذ عهد معاوية وهلمّ جرّا فكانت تؤخذ وتعطى، ويفعلون بها ما يفعلون بقضاء من الشهوات، ولم يُعمل برواية أبي بكر في عصر من العصور، فإن صانعه الملأ الحضور على سماع ما رواه عن رسول اللهﷺ وحابوه وجاملوه، فقد أبطله من جاء بعده بأعمالهم وتقلّباتهم فيها بأنحاء مختلفة.

بل إنّ أبا بكر نفسه أراد أن يبطل روايته بإعطاء الصكّ للزهراء فاطمة، غير أنّ ابن الخطّاب منعه وخرق الكتاب كما في السيرة الحلبيّة، وبذلك كلّه تعرف قيمة تلك الرواية ومقدار العمل عليها وقيمة هذا االإقطاع، وسيوافيك قول مولانا أمير المؤمنين في قطائع عثمان.

كانت الأموال الشعبية التي أعطاها عثمان لبني أمية دون حقّ أهمّ سبب قُتل بسببه عثمان تلك القتلة النادرة.

إذ أعطى عثمان أموالهم لأعدائهم رغماً على أنوفهم كما قال، فأرغم الناس أنفه وسحقوه بأقدامهم.

وفي هذا عبرة لكلّ الحاكمين والمسيطرين على أموال المؤمنين.

الأموال والصدقات

لم تكن فدك ببدع من سائر الأموال من الفيء والغنائم والصدقات عند الخليفة بل كان له رأي حرّ فيها وفي مستحقّيها، كان يرى المال مال الله، ويحسب نفسه وليّ المسلمين، فيضعه حيث يشاء ويفعل فيه ما يريد، فقام كما قال مولانا أمير المؤمنين: «نافجاً حضنيه بين نثليه ومُعتلفه، وقام معه بنو أبيه يَخضمون مال الله خَضمة الإبل

نبتة الربيع»[١].

كان يصل رحمه بمال يستوي فيه المسلمون كلّهم، ولكلّ فرد من الملأ الدينيّ منه حقّ معلوم للسائل والمحروم، لا يسوغ في شرعة الحق وناموس الإسلام المقدّس حرمان أحد من نصيبه وإعطاء حقّه لغيره من دون مرضاته.

جاء عن رسول الله ﷺ في الغنائم: «لله خمسه وأربعة أخماسه للجيش، وما أحد أولى به من أحد، ولا السهم تستخرجه من جنبك، ليس أنت أحقّ به من أخيك المسلم»[٢].

وكان ﷺ إذا جاءه فيءٌ قسّمه من يومه فأعطى ذا الأهل حظّين، وأعطى العزب حظّاً[٣].

والسنّة الثابتة في الصدقات أنّ أهل كلّ بيئة أحقّ بصدقاتهم ما دام فيهم ذو حاجة، وليس الولاية على الصدقات للجباية وحملها إلى عاصمة الخلاف وإنّما هي للأخذ من الأغنياء والصرف في فقراء محالّها، وقد ورد في وصيّة رسول الله ﷺ معاذاً حين بعثه إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام والصلاة أنّه قال: «فإذا أقرّوا لك بذلك فقل لهم: إنّ الله قد فرض عليكم صدقة أموالكم تؤخذ من أغنيائكم فتردّ في فقرائكم»[٤].

قال عمرو بن شعيب: إنّ معاذ بن جبل لم يزل بالجند إذ بعثه رسول الله إلى اليمن حتى مات النبي ﷺ وأبو بكر، ثمّ قدم على عمر فردّه على ما كان عليه.

---

(١) نهج البلاغة: ١ / ٣٥ [ص ٤٩ خطبة ٣]. (المؤلف)

(٢) سنن البيهقي: ٦ / ٣٢٤، ٣٣٦. (المؤلف)

(٣) سنن أبي داود: ٢٥/٢ [٣/١٣٦ ح ٢٩٥٣]. مسند أحمد: ٢٩/٦ [٧/٤٥ ح ٢٣٤٨٤]. سنن البيهقي: ٦/٣٤٦. (المؤلف).

(٤) صحيح البخاري: ٢١٥/٣ [٢/٥٠٥ ح ١٣٣١]، الأموال لأبي عبيد: ص ٥٨٠، ٥٩٥، ٦١٢ [ص ٦٩٣ ح ١٨٥٢، ص ٧٠٩ ح ١٩٠٨، ص ٧٢٨ ح ١٩٩٠]، المحلى: ١٤٦/٦ [مسألة ٧١٩]. (المؤلف)

القسم الخامس:

الثورة الكبرى

الباب الأول:

علل الثورة



الفصل الأول:

الأسباب والوقائع

السبب الديني في الثورة

الموضوع الديني أهمّ المواضيع المطروحة على ساحة الكرة الأرضية فلا يؤثّر إنسان في الأمّة مثل تأثير النبي ﷺ، ولا تطيع الأمم شخصاً كطاعتها للرسول ﷺ ولا تحترم الشعوب إنساناً كاحترامها للنبي ﷺ.

فلقد عاش في أوربّا رجال كثيرون يعدّون بالمليارات من البشر فلم يؤثّر فيهم شخص كعيسى عليه السلام، وعاش في العالم الإسلامي مليارات الناس ولم يؤثّر فيهم إنسان كمحمّد ﷺ، فهو المصلح الأعظم الذي هدى الأمّة إلى طريق الخير والصلاح، وكان وما زال الدين هو المؤثّر الأوّل في بني الإنسان وكلّ من حاول الاعتداء على الدين ألقىٰ به الدين في مزابل التاريخ وعلى رأس هؤلاء أئمّة الزندقة والإلحاد في الدنيا، في حين بقيت رايات الأنبياء مرفوعة وأسماؤهم لامعة وسيرتهم حيّة رغم إرادة الطغاة والفراعنة.

فالدين يؤثّر في روح الإنسان ونفسه وجسده فيصلحها في طريق الخير

ويقوّيها ويعطيها المقاومة اللازمة لدفع الأخطار الخارجية. وأيّ ابتعاد عن الدين يعني الضعف الروحي والتشرذم النفسي والمرض الجسدي. ولأجل ذلك اضطرّت بعض مستشفيات العالم لاستخدام رجال الدين في هذا الطريق.

وما زال الناس يركنون إلى الدين لإصلاح أنفسهم ومجتمعاتهم فكم من أمّة ضبطت نفسها وانتصرت على أعدائها ومشكلاتها بسلاح الدين. وكم من أمّة راقية هوت في مجاهل التاريخ بابتعادها عن الله تعالى.

وما زال الدين الأسّ الأساس في حضارة الشعوب ورقيها وازدهار الأمم وانحطاطها. وكم من سلطان علا شأنه وارتقت منزلته باسم الدين، وكم من زعيم ذبحه الناس لانحرافه عن الشريعة.

وعثمان بن عفّان أحد هؤلاء الرؤساء الذين قُتلوا بابتعادهم عن الدين. فلقد قالت عائشة: اقتلوا نعثلاً فقد كفر[1]. وقال عمار: كفر عثمان كفرة صلعاء[2].

وقالت عائشة أيضاً: أبلى عثمان الدين وقميص رسول الله لم يبل.

وقالت أيضاً: يا غادر يا فاجر أخربت أمانتك وضيّعت رعيّتك: هذا قميص رسول الله ﷺ لم يبل، وعثمان قد أبلى سنّته، اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً، أشهد أنّ عثمان جيفة على الصراط غداً[3]. وضرب عمارا ففتق امعاءه[4]

وقالت فيه عائشة: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ

(١) الفتوح، ابن أعثم ١ / ٦٤، نهج البلاغة ج٣، ص٣، الإيضاح، الفضل بن شاذان ٢٥٧.

(٢) العواصم من القواصم ٦٥ ،منهاج السنة ٣ / ١٩٢، ١٩٣.

(٣) المختصر في أخبار البشر ١ / ١٧٢، الجمل، ضامر بن شدقم المدني ٢١، شرح النهج ٦ / ٢١٥، البحار ٣١ / ٢٩٦.

(٤) العواصم من القواصم ٦٥ ،منهاج السنة ٣ / ١٩٢، ١٩٣.

المورود﴾[1].

وقالت له أيضاً: يا عثمان خصصت بيت مال المسلمين لنفسك وأطلقت أيدي بني أمية على أموال المسلمين ووليّتهم الميلاد وتركت أمّة محمّد في ضيق وعسر قطع الله عنك بركات السماء وحرمك خيرات الأرض.

وظهر كفر عثمان في قتله للصحابة فمن ضمن المقتولين بأمره ويده أبو ذر الغفاري وعبدالله بن مسعود وعبدالرحمن بن عوف والمقداد بن عمر وأبيّ بن كعب.

ومن كفره بالدين إسرافه في أموال الله وأموال الناس وإعطائها لبني أميّة، ولم يسرف زعيم إسلامي مثلما أسرف عثمان في بيت مال المسلمين فاعتزل عمله عبدالله بن مسعود وزيد بن أرقم وأرجعا مفاتيح بيت المال!

وأعطى رشوة لمحمّد بن أبي حذيفة ففضحه في المسجد النبوي[2].

ومن كفره بالدين في رأي الصحابة توليته السياسة والمناصب الإدارية والعسكرية لبني أمية الفاسقين وإبعاده المؤمنين وتقريبه كعب الأحبار وعبدالله بن سلام وتميم الداري وباقي المشركين على حساب المؤمنين.

ومن كفره بالدين في رأي الصحابة تلاعبه في الأحكام الشرعية والفقهية. مثل الصلاة والوضوء، وعدم تطبيقه الأحكام الشرعية بحقّ الوليد بن عقبة الفاسق الذي صلى بالناس سكراناً، وأدخل ساحراً يهوديّاً في مسجد الكوفة ولم يقتصّ من أصحابه الذين قتلوا مسلماً أثناء الحصار المضروب على بيته.

السبب الاجتماعي للثورة

بالرغم من أنّ سعيد بن المسيّب كان من أعوان عثمان إلاّ أنّه ذكر أسباب الثورة

---

(١) البحار ٨ / ٣٤١، ٣١ / ٢٩٥.

(٢) أنساب الأشراف ٨٧.

كما يلي:

قال: إنّ عثمان لمّا ولي كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنّ عثمان كان يحبّ قومه، فولي الناس إثنتي عشر سنة، وكان كثيراً ما يولّي بني أميّة، ممّن لم يكن له من رسول الله ﷺ صحبة.

وكان يجيء من أمرائه ما ينكره أصحاب محمّد ﷺ، فكان يستعتب فيهم فلا يعزلهم؛ فلمّا كان في الحِجج الآخرة استأمر بني عمّه فخرجوا، فولاّهم وأمرهم بتقوىٰ الله وولّىٰ عبدالله بن أبي سرح مصر، فكث عليها هناة إلى عبدالله بن مسعود، وأبي ذر، وعمار بن ياسر؛ فكانت هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لابن مسعود المقتول بيد عثمان، وكانت بنو غفار وأحلافها ومَن غضب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها[1]، وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان بما نال من عمار بن ياسر.

وجاء أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح، فكتب إليه عثمان كتاباً يتهدّده، فأبىٰ ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عثمان عنه، وضرب رجلاً ممّن أتىٰ عثمان فقتله، فخرج من أهل مصر سبعمائة[2] رجل إلى المدينة، فنزلوا المسجد، وشكوا إلى أصحاب رسول الله ﷺ في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبي سرح، فقام طلحة بن عبيدالله فكلّم عثمان بكلام شديد. وأرسلت إليه عائشة: قد تقدّم إليك أصحاب رسول الله ﷺ وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت أن تعزله، فهذا قد قتل منهم رجلاً، فأنصفهم من عاملك[3].

ودخل عليه علي ﷺ وكان متكلّمَ القوم. فقال: إنّما سألوك رجلاً مكان رجل،

---

(١) لقتله له، العقد الفريد ٤ / ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢.

(٢) في الطبري ٥ / ١٠٩ «خمسمئة رجل» وفي رواية أخرىٰ «ستمئة».

(٣) المصدر السابق.

وقد ادّعوا قبله دماً فاعزله عنهم، واقض بينهم، وإن وجب عليه حقّ فأنصفهم منه. فقال لهم: اختاروا رجلاً أُوَلّه عليكم مكانه. فأشار الناس عليه بمحمّد بن أبي بكر فقالوا: استعمِل علينا محمّد بن أبي بكر. فكتب عهده وولّاه وأخرج معهم عدّة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح.

فخرج محمّد ومن معه، فلمّا كان على مسيرة ثلاثة أيّام من المدينة، إذا هم بغلام أسود[1] على بعير يخبط الأرض خبطاً كأنّه رجل يطلب أو يُطلب، فقال له أصحاب محمّد: ما قصّتك وما شأنك؟ كأنّك هارب أو طالب! فقال: أنا غلام أمير المؤمنين، وجّهني إلى عامل مصر. فقالوا: هذا عامل مصر معنا.

قال: ليس هذا أريد. وأُخبِرَ بأمره محمّد بن أبي بكر، فبعث في طلبه فأُتي به، فقال له: غلام من أنت؟ قال: فأقبل مرّة يقول: غلام أمير المؤمنين؛ ومرّة: غلام مروان، حتى عرفه رجل منهم أنّه لعثمان، فقال له محمّد: إلى مَن أُرسلت؟ قال: إلى عامل مصر. قال: بما؟ قال: برسالة. قال: معك كتاب؟

قال: لا. ففتّشوه فلم يجدوا معه شيء، إلّا إداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل، فحرّكوه ليخرج فلم يخرج، فشقّوا الإداوة، فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح، فجمع محمّد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم، ثمّ فكّ الكتاب بمحضر منهم، فإذا فيه:

إذا جاءك محمّد وفلان وفلان فاحتَل لقتلهم، وأبطِل كتابهم، وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي، واحتبِس من جاء يتظلّم منك، ليأتيك في ذلك رأيي إن شاء الله[2].

---

(١) وهو «أبو الأعور بن سفيان السلمي» كما في الطبري، وفي مروج الذهب: ورش غلام عثمان.

(٢) انظر الطبري ٥ / ١١٥ مروج الذهب ٢ / ٣٨٠.

فلمّا قرءوا الكتاب فزعوا وعزموا على الرجوع إلى المدينة، وختم محمّد الكتاب بخواتم القوم الذين أُرسلوا معه، ودفعوا الكتاب إلى رجل منهم، وقدموا المدينة، فجمعوا عليّاً عليه السلام وطلحة والزبير وسعداً ومن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ فكّوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصّة الغلام، وأقرءوهم الكتاب فلم يبق أحدٌ في المدينة إلّا حنق على عثمان، وازداد منهم من كان غاضباً لابن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر، غضباً وحنقاً، وقام أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فلحقوا منازلهم، ما منهم أحد إلّا وهو مغتمّ بما قرءوا في الكتاب، وحاصر الناس عثمان، وأجلب عليه محمّد بن أبي بكر بني تيم وغيرهم وأعانه طلحة بن عبيدالله على ذلك، وكانت عائشة تحرّضه كثيراً، فلمّا رأىٰ ذلك عليّ بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار، ونفرٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، كلّهم بدري، ثمّ دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير، وقال له عليّ عليه السلام ، هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم. والبعير بعيرك؟ قال: نعم. والخاتم خاتمك؟ قال: نعم. قال: فأنت كتبت الكتاب؟

قال: لا! وحلف بالله: ما كتبت الكتاب، ولا أمرتُ به، ولا وجّهت الغلام إلى مصر قطّ. وأمّا الخطّ فعرفوا أنّه خطّ مروان[1]، فشكّوا في أمر عثمان، وسألوه أن يدفع إليهم مروان، فأبىٰ، وكان مروان عنده في الدار، فخرج أصحاب محمّد من عنده غضاباً، وشكّوا في أمر عثمان وعلموا أنّه لا يحلف باطلاً، إلّا أنّ قوماً قالوا: لا نبرئ عثمان، إلّا أن يدفع إلينا مروان حتىٰ نمتحنه ونعرف أمر هذا الكتاب، وكيف يأمر بقتل رجال من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله بغير حق! فإن يك عثمان كتبه عزلناه، وإن

(١) الطبري ٥ / ١١٩ مروج الذهب ٢ / ٣٨٠.

يك مروان كتبه على لسانه نظرنا في أمره. ولزموا بيوتهم، وأبىٰ عثمان أن يُخرج إليهم مروان وخشي عليه القتل.

وحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء، فأشرف عليهم، فقال:

أفيكم علي؟

قالوا: لا .

قال: أفيكم سعد؟

قالوا: لا.

فسكت ثمّ قال: ألا أحد يُبلّغ عليّاً أنّ عثمان يُراد قتله.

فقال ﷺ : إنّما أردنا منه مروان، فأمّا قتل عثمان فلا.

وبعث الامام علي ﷺ الماء لعثمان لحرمة قتل الانسان عطشا ولم يبعث ابنه الحسن ﷺ للدفاع عنه .

ويقال: دخل الثوار داره من دار عمرو بن حزم الأنصاري، وممّا يدلّ على ذلك قول الأحوص:

لا ترثينّ لحزمي ظفرت به ... طرّاً ولو طُرح الحزمي في النار
الناخسين بمروان بذي خُشُبٍ ... والمدخلين على عثمان في الدار[1]

فدخلوا عليه وليس معه إلّا امرأته نائلة بنت الفرافصة. ولا يعلم أحد ممّن كان معه؛ لأنّهم كانوا على البيوت[2]. وقال طلحة: لو دفع مروان

---

(١) ذو خشب: دار على مسيرة ليلة من المدينة. والناخسين بمروان: المطاردين له.

(٢) المصدر السابق.

لم يقتل[1]. وخرج عليّ عليه السلام فأتى منزله، وجاءه القوم كلّهم يهرعون إليه، أصحاب محمّد وغيرهم، يقولون: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: ليس ذلك إلّا لأهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة. فلم يبق أحد من أهل بدر إلّا أتى عليّاً عليه السلام فقالوا: ما نرى أحداً أولى بها منك، فمُدّ يدك نبايعك.

فقال: أين طلحة والزبير؟ فكانا أوّل من بايعه، طلحة بلسانه والزبير بيده.

فلمّا رأى ذلك عليّ خرج إلى المسجد فصعد المنبر، فكان أوّل من صعد طلحة فبايعه بيده، وكانت اصبعه شلّاء، فتطيّر منها عليّ عليه السلام، وقال ما أخلقه أن ينكث! ثمّ بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبي جميعاً، ثمّ نزل ودعا الناس، وطلب مروان فهرب منه.

وخرجت عائشة باكية تقول: قُتل عثمان مظلوماً!

فقال لها عمّار: أنتِ بالأمس تحرّضين عليه، واليوم تبكين عليه! وجاء عليّ عليه السلام إلى امرأة عثمان فقال لها: من قتل عثمان؟

قالت: لا أدري دخل رجلان لا أعرفهما إلّا أن أرى وجوههما، وكان معهما محمّد بن أبي بكر. وأخبرته بما صنع محمّد بن أبي بكر، فدعا عليّ بمحمّد، فسأله عمّا ذكرت امرأة عثمان، فقال محمّد: لم تكذب، وقد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله، فذكر لي أبي، فقمت وأنا تائب والله ما قتلته ولا أمسكته! فقالت امرأة عثمان: صدق ولكنّه أدخلهما[2].

ما نقم الناس على عثمان

قال ابن دأب: لمّا أنكر الناس على عثمان ما أنكروا، من تأمير الأحداث من

(١) الرواية في مروج الذهب ٢ / ٣٨١ والأغاني ١ / ٢٣ وانظر في مقتله روايات ذكرها الطبري ٥ / ١١٣ وما بعدها.

(٢) مروج الذهب ٢ / ٣٨٢، العقد الفريد ٤ / ٢٧٤.

أهل بيته على الجلّة الأكابر من أصحاب محمّدﷺ. قالوا لعبدالرحمن بن عوف: هذا عملك واختيارك لأمّة محمّد!

قال: لم أظنّ هذا به! ودخل على عثمان فقال له: إني إنّما قدّمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر، وقد خالفتهما. فقال: عمر كان يقطع قرابته في الله، وأنا أصل قرابتي في الله.

فقال له عبدالرحمن: لله عليّ أن لا أكلّمك أبداً! فمات عبدالرحمن وهو لا يكلّم عثمان.[1]

ولمّا ردّ عثمان الحكم بن أبي العاص طريد النبيﷺ وطريد أبي بكر وعمر إلى المدينة، تكلّم الناس في ذلك، فقال عثمان: ما ينقم الناس منّي؟ إنّي وصلت رحماً وقرّبت قرابة.

وقال حصين بن زيد بن وهب مررنا بأبي ذر بالربذة، فسألناه عن منزله، فقال: كنت بالشام فقرأت هذه الآية:

﴿وَالَّذِيْنَ يَكْنِزُوْنَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُوْنَهَا فِي سَبِيْلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيْمٍ﴾[2].

فقال معاوية: إنّما هي في أهل الكتاب.

فقلت: إنّها لفينا وفيهم فكتب إليّ عثمان: أقبل. فلمّا قدمت ركبتني الناس كأنّهم لم يروني قط، ثم كذب الأمويون قوله: فشكوت ذلك إلى عثمان، فقال: لو اعتزلت فكنت قريباً! فنزلت هذا المنزل، فلا أدع قولي، ولو أمّروا عليّ عبداً حبشياً لأطعت.

---

(١) العقد الفريد ٤ / ٢٨٦.

(٢) التوبة: ٣٤.

وعن الزبير بن العوام في هذه الآية: ﴿وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[1]، لقد نزلت وما ندري من يختلف لها. فقال بعضهم: يا أبا عبدالله، فلم جئت إلى البصرة؟ قال: ويحك إنّنا ننظر ولا نبصر! وقال أبو نضرة، عن أبي سعيد الخدري، قال: إنّ ناساً كانوا عند فسطاط[2] عائشة وأنا معهم بمكّة، فمرّ بنا عثمان، فما بقي أحد من القوم إلّا لعنه غيري؛ فكان فيهم رجل من أهل الكوفة، فكان عثمان على الكوفي أجرأ منه على غيره، فقال: يا كوفي، أتشتمني؟ فلمّا قدم المدينة كان يتهدّده؛ فقيل له: عليك بطلحة. قال: فانطلق معه حتىٰ دخل على عثمان، فقال عثمان: والله لأجلدنّه مائة سوط! قال طلحة: والله لا تجلده مائة إلّا أن يكون زانياً. قال: والله لأحرمنّه عطاءه! قال: الله يرزقه.

وجاء: خرج علينا ابن مسعود ونحن في المسجد وكان على بيت مال الكوفة، وأمير الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فقال: يا أهل الكوفة، فقدت من بيت مالكم الليلة مائة ألف لم يأتني بها كتاب من أمير المؤمنين ولم يكتب لي بها براءة قال: فكتب الوليد بن عقبة إلى عثمان في ذلك، فنزعه عن بيت المال[3]. أي شكا عبدالله بن مسعود سرقة الوليد بن عقبة لبيت مال المسلمين فعزل عثمان عبدالله بن مسعود الأمين وأبقىٰ ابن عقبة السارق!!

وكتب أصحاب عثمان عيبه وما ينقم الناس عليه في صحيفة، فقالوا: من يذهب بها إليه؟

قال عمّار: أنا. فذهب بها إليه، فلمّا قرأها قال: أرغم الله أنفك، قال: وبأنف أبي

---

(١) الأنفال: ٢٥.

(٢) الفسطاط: بيت يتّخذ من الشعر.

(٣) العقد الفريد ٤ / ٢٨٧.

بكر وعمر. قال: فقام إليه فوطئه حتىٰ غشي عليه، ثمّ ندم عثمان، وبعث إليه طلحة والزبير يقولان له: اختر إحدىٰ ثلاث: إمّا أن تعفو، وإمّا أن تأخذ الأرش[1]، وإمّا أن تقتص.

فقال: والله لا قبلت واحدة منها[2].

ومرّ عبدالله بن عمر بحذيفة، فقال: لقد اختلف الناس بعد نبيّهم، فما منهم أحد إلّا أعطىٰ من دينه، ما عدا هذا الرجل[3].

وكتب عثمان إلى أهل الكوفة حين ولّاهم سعيد بن العاص: أمّا بعد، فإنّي كنت ولّيتكم الوليد بن عقبة غلاماً حين ذهب شرهه وثاب حلمه، وأوصيته بكم ولم أوصكم به، فلمّا أعيتكم علانيتهُ طعنتم في سريرته، وقد ولّيتكم سعيد بن العاص وهو خير عشيرته، وأوصيكم به خيراً، فاستوصوا به خيراً.

وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمّه، وكان عامله على الكوفة، فصلّىٰ بهم الصبح ثلاث ركعات[4] وهو سكران، ثمّ التفت إليهم فقال: وإن شئتم زدتكم! فقامت عليه البيّنة بذلك عند عثمان، فقال لطلحة: قم فاجلده. قال لم أكن من الجالدين. فقام إليه عليّ عليه السلام فجلده.

وفيه يقول الحطيئة:

شهد الحطيئة يوم يلقىٰ ربّه　　أنّ الوليد أحقّ بالعُذر[5]

---

(١) الأرش: الدية.

(٢) العقد الفريد ٤ / ٢٨٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) في مروج الذهب ٢ / ٣٦٩ أربع.

(٥) بعده في مروج الذهب ٢ / ٣٧٠.

نادىٰ وقد تمّت صلاتهم　　أأزيدكم؟ ثملاً وما يدري

ليــــزيدهم خــــيراً[1] ولو قــبلوا لجـــمعت بــين الشــفع والوتــر
مسكـــوا عــنانك إذ جــريت ولو تــركوا عــنانك لم تـزل تـجري[2]

ولمّا أنكر الناس على عثمان ما أنكروا، اجتمعوا إلى عليّ وسألوه أن يلقىٰ لهم عثمان. فأقبل حتىٰ دخل عليه فقال: إنّ الناس ورائي قد كلّموني أن أكلّمك؛ والله ما أدري ما أقول لك؛ ما أعرف شيئاً تنكره، ولا أُعلمك شيئاً تجهله. ومـا ابـن أبي قحافة بأولىٰ بعمل الحقّ منك، ولا ابن الخطاب بأولىٰ بشيء من الخير منك؛ ومـا نبصّرك من عميً، وما نعلّمك من جهل، وإنّ الطريق لبيّن واضح. تعلم يا عثمان أنّ أفضل الناس عند الله إمام عدل هُدِيَ وَهَدَىٰ، فأحيا سنة معلومة، وأمات بـدعة مجهولة، وأنّ شرّ الناس عند الله إمام ضلالة ضلّ وأضَلّ، فأحـيا بـدعة مجـهولة، وأمات سنّة معلومة. وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتىٰ بالإمام الجائر يوم القيامة ليس معه ناصر ولا له عاذر، فيلقىٰ في جهنّم فيدور دور الرحىٰ، يرتطم في غمرة الناس إلى آخر الأبد. وأنا أحذّرك أن تكون إمام هذه الأمّة المـقتول. فـإنّه يقال: يُقتل في هذه الأمّة إمام يُفتح به باب القتل والقتال إلى يوم القيامة يمرج بهم أمرهم ويمرجون. فخرج عثمان، ثمّ خطب خطبته التي أظهر فيها التوبة[3].

وكان عليّ كلّما اشتكى الناس إليه أمر عثمان أرسل ابنه الحسن عليه السلام إليه، فـلمّا أكثر عليه قال له: إنّ أباك يرىٰ أنّ أحداً لا يعلم ما يعلم، ونحن أعلم بما نفعل، فكفّ عنا! فلم يبعث علي عليه السلام ابنه في شيء بعد ذلك[4].

---

(١) في مروج الذهب: ليزيدهم أخرىٰ... لقرفت.

(٢) في مروج الذهب: حبسوا عنانك في الصلاة ولو خلوا... ، العقد الفريد ٤ / ٢٨٨.

(٣) أنظر الطبري ٥ / ١١١.

(٤) العقد الفريد ٤ / ٢٨٩.

وقال عبدالله بن العباس: أرسل إليّ عثمان فقال لي: أكفِني ابن عمّك! فقلت: إنّ ابن عمّي ليس بالرجل يُرىٰ له ولكنّه يرىٰ لنفسه، فارسلني إليه بما أحببت. قال: قل له فليخرج إلى ما له بينبُع، فلا أغتمّ به ولا يغتمّ بي فأتيت عليّاً فأخبرته، فقال: ما اتّخذني عثمان إلّا ناصحاً. ثمّ أنشد يقول:

فكيف به أنّي أدواي جراحه فيدوىٰ فلا ملّ الدواء ولا الداء

أما والله إنّه ليختبر القوم، فأتيت عثمان، فحدّثته الحديث كلّه إلّا البيت الذي أنشده وقوله إنّه ليختبر القوم؛ فأنشد عثمان:

فكيف به أنّي أُداوي جراحه فيدوىٰ فلا ملّ الدواء ولا الداء

وجعل يقول: يا رحيم انصرني! يا رحيم انصرني! قال: فخرج عليّ عليه السلام إلى ينبع، فكتب إليه عثمان حين اشتدّ الأمر:

أمّا بعد، فقد بلغ السيل الزبىٰ وجاوز الحزام الطبيين[1]، وطمع فيّ من كان يضعف عن نفسه:

وإنّك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يَغْلبْك مثل مُغلَّبِ[2]

فأقبل إليّ على أمريك أحببت، وكن لي أو عليّ، صديقاً كنت أو عدوّاً.

---

(١) في الكامل للمبرد ١ / ٦٢ أما بعد: فإنّه قد جاوز الماء الزبى، وبلغ الحزام الطبيين.

الزبية مصيدة الأسد، ولا تتّخذ إلّا في قلّة أو رابية أو هضبة.

بلغ الحزام الطبيين واحد طبي. فإذا بلغ الحزام الطبيين فقد انتهى في المكروه (انظر أمثال أبي عبيد: ٣٤٣ مجمع الأمثال للميداني ١ / ١٦٦).

(٢) البيت لامرىء القيس، من قصيدة قالها منافساً علقمة بن عبدة التميمي وقد تحاكما إلى أمّ جندب زوجة امرىء القيس في أيّهما أشعر. وبعدما قال امرؤ القيس قصيدته وعلقمة قصيدته فضّلت علقمة على زوجها فطلّقها امرؤ القيس. والقصيدة في ديوانه: رقم ٦٤ مطلعها:

خليلي مرّا بي على أمّ جندب نقض لبانات الفؤاد المعذّب

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلّا فأدركني ولمّا أُمزّق[1]

السبب الاقتصادي في الثورة

السبب الاقتصادي من الأسباب المهمّة في الثورة في كلّ مكان، فالاحتياج إلى الخبز من دواعي الحركة الثورية عند الجماهير الغاضبة، وأشدّ الحكومات ظلماً تلك التي تلاعبت بخبز الناس وحرّمتهم عيشهم.

ولأهمّية الخبز في الحياة الاجتماعية أولاها الإسلام عناية خاصّة وأعطاها رعاية مكثّفة. فأصدر رسول الله ﷺ قانوناً بإعطاء الناس أموالاً سنوية يعيشون بها تكفيهم إدارة شؤونهم الحياتية.

وهو أوّل قانون عالمي في هذا المجال فبدأت الحكومة الإسلامية بتوزيع الأموال على الناس الموالين والمعارضين للدولة على حدّ سواء. ولم يمنع النبي ﷺ المال عن أيّ معارض سياسي للنظام الإسلامي؛ لأنّ من حقوق الإنسان في الأرض القدرة على الطعام واللباس والسكن.

وشملت تلك العناية، أهل الكتاب فدعى النبي ﷺ إلى إطعامهم وكسوتهم ما داموا في البلاد الإسلامية لمنع تسوّلهم واستجدائهم قوتهم.

وهكذا فعل أمير المؤمنين علي ﷺ في زمن خلافته إذ دهش من رؤيته نصرانياً يتصدّق الناس قائلاً: انتفعتم بشبابه في العمل ولمّا عجز منعتموه قوته. فأجرى عليه مرتباً مالياً كافياً له. وأصبحت النظرية الإسلامية مشروعاً عالمياً للحياة ومنهجاً إنسانياً للعدالة.

---

(١) البيت للممزّق العبدي من أبيات قالها لعمرو بن هند الكامل: ١ / ٢٥، العقد الفريد ٤ / ٢٩٠.

وفي أيّامنا الحالية أخذت الكثير من الحكومات الغربية هذا القانون النبوي وطبّقته على شعوبها وابتعدت الدول الإسلامية عنه غفلة منها لهذا الموضوع.

وإنشاء الله تلتفت الحكومات الإسلامية إلى هذا الشرع الإلهي فتعطيه الأهميّة والعناية المتوخّاة.

وأوّل تزلزل حدث في النظرية الاقتصادية الإسلامية كان في زمن عمر بن الخطّاب. فعمر منع المساواة المالية بين الناس وأبعد العدل الإلهي في هذا الموضوع وجعل المسلمين طبقات اقتصادية. وبعد ما وصل عثمان إلى السلطة عمل أعمالاً لم تكن معروفة عند المسلمين منها:

١ ـ منع معارضيه حقوقهم المالية وعلى رأس هؤلاء أبو ذر وعبدالله بن مسعود وقتلهم على هذه الحالة المرّة المخالفة للدين.

٢ ـ جعل بيوت المال العامة خزائن مفتوحة لبني أمية ينهبون منها ما أرادوا دون حدود ولا موانع.

٣ ـ وهب عثمان هبات مالية عظيمة لبني أمية وأعوان الدولة لم تعرفها الحكومات الإسلامية ولم تسمع بها رجالات العرب في تاريخها الجاهلي والإسلامي!! فتسبّب ذلك في ثورة الناس على عثمان ومقتله بتلك الصورة الشنيعة.

الفصل الثاني:

القصور والأموال المنهوبة

قصور عثمان

بنى عثمان بن عفان قصره طمار والزوراء[1]، وصنع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه وكان فيهم عبدالرحمن بن عوف فلمّا نظر إلى البناء والطعام قال له عبدالرحمن: يا بن عفان لقد صدّقنا عليك ما كنّا نكذب فيك وإنّي أستعيذ الله من بيعتك.

فغضب عثمان وقال: أخرجه عني يا غلام فأخرجوه، وأمر الناس أن لا يجالسوه. فلم يكن يأتيه أحد إلّا ابن عباس[2].

ومنع الناس من محادثة المعارضة نظرية جاهلية ابتكرتها قريش في حصار بني هشام في شعب أبي طالب.

واستمرّ الوضع السيء بين عثمان وعبدالرحمن إلى أن قتل عبدالرحمن بسم عثمان.

---

(١) موضع بالمدينة يقف المؤذّنون على سطحه، مجمع البحرين ٣ / ٣٢٠، ٣٧٧، والزوراء بالفتح والمدّ.

(٢) البحار ٣١ / ٤٠٠، شرح النهج ١ / ١٩٦، الأوائل، أبو هلال العسكري.

فهذه الأعمال بعيدة عن توجّهات رسول الله ﷺ إذ لم يبن قصراً ولم يهتمّ بالترف فسار على نهجه الصحابة المخلصون وتأسّوا بسيرته.

لكن القصور بدأ بناؤها في زمن عثمان فزادت وعظمت في المدينة والشام والعراق ومصر فكثر استياء الأمّة وسخطها على رجال الحكومة المسرفين وعلى رأسهم عثمان. ومن الطبيعي تعرّض عثمان لهجمة شعبية شرسة ونقمة جماهيرية حادّة على مشروعه في بناء القصور العالية. في الوقت الذي منع عثمان الراتب المالي عن المعارضين السياسيين مما زاد في الطين بلّه.

فناس يفترشون القصور متنعّمين وآخرون يبحثون عن لقمة الخبز لإشباع بطونهم!

ولمّا بنىٰ عثمان داره بالمدينة أكثر الناس عليه في ذلك فبلغه فخطب في يوم الجمعة قائلاً: أما بعد فإنّ النعمة إذا حدثت حدث لها حسّاد حسبها، وأعداء قدرها، وإنّ الله لم يحدث لنا نعماً ليحدث لها حسّاد عليها، ومتنافسون فيها، ولكنّه قد كان من بناء منزلنا هذا ما كان أراده جمع المال فيه وضمّ القاصية إليه.

فأتانا عن أناس منكم أنّهم يقولون أخذ فيئنا وأنفق شيئاً واستأثر بأموالنا، يمشون خمراً وينطقون سّراً، كأنّا غيب عنهم وكأنّهم يهابون مواجهتنا، معرفة منهم بدحوض حجّتهم، فإذا غابوا عنّا يروح بعضهم إلى بعضهم يذكرنا، وقد وجدوا على ذلك أعواناً من نظرائهم ومؤازرين من شبهائهم فبعداً بعداً ورغماً رغماً"[1].

إنّ خطبة عثمان في صلاة الجمعة العامّة في المسجد النبوي التي يحضرها المسلمون من المدينة وغيرها تبيّن عظم الخطب وسعة المصيبة اضطرّ عثمان نفسه

---

(١) البحار ٣١ / ٤٥٣، النهاية، ابن الأثير ١ / ٤٥١، شرح النهج ٩ / ١٠، الموفّقيات، ابن بكّار ٦٠٦.

للجواب عنها. ولم يتمكّن من الإجابة الشافية لقصوره في الناحية المـالية بسيطرة بني أمية على أموال المسلمين في المدينة ومكّة والشام والعراق وأفريقيا واللعب بها لعب الصبيان بالكرة. فكان أمام الناس طريقان الأوّل:

١ ـ التنازل عن مبادئهم والتوجّه لأخلاق بني أميّة.

٢ ـ الثورة على النظام والتضحية بأنفسهم وأموالهم في هذا الطريق.

وأمّا ما اقتناه الخليفة لنفسه فحدّث عنه ولا حرج، كان ينضّد أسنانه بالذهب ويتلبّس بأثواب الملوك. فعند عثمان مطرَف خزّ ثمّن مائة دينار فقال: هـذا لنـائلة كسوتها إيّاه، فأنا ألبسه أسرّها به. ورأوا على عثمان برداً ثمنه مائة دينار[١].

قال البلاذري: كان في بيت المال بالمدينة سفط فيه حليّ وجواهر فأخذ منه عثمان ما حلّىٰ به بعض أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلّموه فيه بكلام شديد حتىٰ أغضبوه فقال: هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت فأرغم الله أنف من رغم. وفي لفظ: لنأخذنّ حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أنوف أقوام.

فقال له الإمام عليّ ﷺ: «إذاً تُمنع من ذلك ويُحال بينك وبينه»[٢].

وجاء إليه أبو موسىٰ بكيلة ذهب وفضّة، فقسّمها بين نسائه وبـناته، وأنـفق أكثر بيت المال في عمارة ضيعه ودوره[٣].

وقال ابن سعد في الطبقات[٤] كان لعثمان عند خازنه يوم قُتل ثلاثون ألف ألف درهم، وخمسون ومائة ألف دينار فانتُهبت وذهبت.

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣ / ٤٠، طبع ليدن، أنساب البلاذري: ص: ٣، ٤، الاستيعاب في ترجمة عثمان: ٢ / ٤٧٦، القسم الثالث / ٢ / ١٠٤٢ رقم ١٧٧٨.

(٢) البحار ٣١ / ١٩٣، شرح النهج ٣ / ٤٩.

(٣) الصواعق المحرقة، ص: ٦٨، ص ١١٣، السيرة الحلبية: ٢ / ٨٧.

(٤) الطبقات الكبرىٰ: ٣ / ٧٦ ـ ٧٧، ط ليدن.

وترك ألف بعير بالربذة وصدقات براديس وخيبر ووادي القرى قيمته مائتي ألف دينار، وقال المسعودي في المروج[1]: بنى داره في المدينة وشيّدها بالحجر والكلس وجعل أبوابها من الساج والعرعر[2]، واقتنى أموالاً وجناناً وعيوناً بالمدينة، وذكر عبدالله بن عتبة: أنّ عثمان يوم قُتل كان عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحُنين وغيرهما مائة ألف دينار، وخلّف خيلاً كثيراً وإبلاً.

تساهل عثمان بن عفان في قضية الأموال فأعطى أفراد قومه ما لا حصر له منها لم تألفه عقول العرب ولا ثقافتهم ولم تتعوّد على تلك الأعداد الضخمة أغنياء المدينة ومكّة. فكانوا يذكرون هذه الأرقام الخيالية مندهشين ويتسامرون بذكر هذه الحوادث الغريبة التي افتعلها الخليفة مع قومه.

وأعطى أموالاً أقلّ من تلك لأعوان النظام الذين يدعمونه دون تردّد ولا يهمّهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل زيد بن ثابت وكعب بن مالك له (أحد رؤوس المنافقين) وحكيم بن حزام طاغية مكّة.

هل يصبح الصحابي حرامياً؟

إقتنى جماعة من رجال سياسة الوقت، وأصحاب الفتن والثورات من جرّاء الفوضى في الأموال ضياعاً عامرة، ودوراً فخمة، وقصوراً شاهقة، وثروة طائلة، ببركة تلك السيرة الأمويّة في الأموال، الشاذّة عن الكتاب والسنّة الشريفة وسيرة السلف، فجمعوا من مال المسلمين مالاً جمّاً، وأكلوه أكلا لمّاً.

---

(١) مروج الذهب: ٢ / ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(٢) العرعر: شجر يقال له: الساسم ويقال له: الشيزي، ويقال: هو شجر عظيم جبلي.

منهم: الزبير بن العوام خلّف كما في صحيح البخاري في كتاب الجهاد باب بركة الغازي في ماله[١]: إحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بـالكوفة، وداراً بمصر، وكان له أربع نسوة، فأصاب كلّ امرأة بعد رفع الثلث ألف ألف ومائتا ألف. قال البخاري: فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف.

وقال ابن الهائم: بل الصواب أنّ جميع ماله حسبما فرض: تسعة وخمسون ألف ألف وثمانمائة ألف[٢] وصرّح ابن بطّال والقاضي عياض وغيرهما: بأنّ الصواب ما قاله ابن الهائم، وأنّ البخاري غلط في الحساب.

كذا نجدها في صحيح البخاري وغيره من المصادر غير مقيّدة بـالدرهم أو الدينار، غير أنّ في تاريخ ابن كثير[٣] قيّدها بالدرهم.

وقال ابن سعد في الطبقات[٤] طبع ليدن: كان للزبير بمصر خطط، وبالاسكندرية خطط، وبالكوفة خطط، وبالبصرة دور، وكانت له غلّات تقدم عليه من أعراض المدينة.

وقال المسعودي في المروج[٥]، خلّف ألف فرس وألف عبد وألف أمة وخططاً.

ومنهم: طلحة بن عبيدالله التيمي: ابتنى داراً بالكوفة تُعرف بـالكناس بدار الطلحتين، وكانت غلّته من العراق كلّ يوم ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك وله بناحية سراة[٦] أكثر ممّا ذكر، وشيّد داراً بالمدينة بناها بالآجر والجصّ والساج.

---

(١) صحيح البخاري: ١١٢٨/٣، ١١٣٩ ح ٢٩٦١.

(٢) ذكره شرّاح البخاري، راجع فتح الباري: [٢٣٣/٦]، إرشاد الساري [٥٠/٧]، عمدة القاري [٥٣/١٥ ح ٣٧]، شذرات الذهب: ٤٣/١ [٢٠٨/١ حوادث سنة ٣٦ هـ].

(٣) البداية والنهاية : ٢٧٨/٧ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٤) الطبقات الكبرى: ٣ / ١١٠.

(٥) مروج الذهب: ٢ / ٣٥٠.

(٦) بين تهامة ونجد أدناها الطائف وأقصاها قرب صنعاء [معجم البلدان: ٢٠٥/٣].

وعن محمد بن إبراهيم قال: كان طلحة يغلُّ بالعراق ما بين أربعمائة ألف إلى خمسمائة ألف، ويغلُّ بالسراة عشرة آلاف دينار أو أكثر أو أقلّ.

وقال سفيان بن عيينة: كان غلّته كلّ يوم ألف وافٍ، والوفي وزنه وزن الدينار، وعن موسى بن طلحة: أنّه ترك ألفي درهم ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار، وكان ماله قد اغتيل.

وعن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال: كان قيمة ما ترك طلحة من العقار والأموال وما ترك من الناض[1] ثلاثين ألف ألف درهم؛ ترك من العين ألفي ألف ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار والباقي عروض.وعن سعدي أُمّ يحيى بن طلحة: قتل طلحة وفي يد خازنه ألفا ألف درهم ومائتا ألف درهم، وقوّمت أُصوله وعقاره ثلاثين ألف ألف درهم.

وعن عمرو بن العاص: أنّ طلحة ترك مائة بُهار في كلّ بُهار ثلاثة قناطير ذهب، وسمعت أنّ البُهار[2] جلد ثور.

وفي لفظ ابن عبد ربّه من حديث الخشني؛ وجدوا في تركته ثلاثمائة بُهار من ذهب وفضة.وقال ابن الجوزي: خلّف طلحة ثلاثمائة جمل ذهباً[3].

وأخرج البلاذري من طريق موسى بن طلحة قال: أعطى عثمان طلحة في خلافته مائتي ألف دينار.

---

(١) الناضّ: الدرهم والدينار.

(٢) البُهار يساوي ثلاثمائة رطل. وقيل: هو ما يحمل على البعير بلغة أهل الشام. أُنظر النهاية: ١/١٦٦.

(٣) الطبقات الكبرى: ٣/٢٢١ ـ ٢٢٢، مروج الذهب: ٢/٣٥٠، العقد الفريد: ٤/١٢٩، الرياض النضرة: ٣/٢٢٧ ـ ٢٢٨، دول الإسلام: ص٢٢، ٢٣ حوادث سنة ٣٥هـ خلاصة الخزرجي: ٢/١٢ رقم ٣١٩٥، طبقات ابن سعد: ٣ / ١٥٨ طبع ليدن، الأنساب للبلاذري: ٥ / ٧، مروج الذهب: ١ / ٤٣٤، العقد الفريد: ٢ / ٢٧٩، الرياض النضرة: ٢ / ٢٥٨، دول الإسلام للذهبي: ١ / ١٨، الخلاصة للخزرجي ص: ١٥٢.

وسيأتي عن عثمان قوله: ويلي على ابن الحضرمية ـ يعني طلحة ـ أعطيته كذا وكذا بُهاراً ذهباً، وهو يروم دمي يحرّض على نفسي.

ومنهم: عبدالرحمن بن عوف الزهري:

قال ابن سعد: ترك عبدالرحمن ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس ترعى بالبقيع. وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً.

وكان فيما خلّفه ذهب قُطّع بالفؤوس حتى مجلت[1] أيدي الرجال منه، وترك أربع نسوة فأصاب كلّ امرأة ثمانون ألفاً.

وعن صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن قال: صالحنا امرأة عبدالرحمن التي طلّقها في مرضه من ربع الثمن بثلاثة وثمانين ألفاً.

وقال اليعقوبي: ورّثها عثمان فصولحت عن ربع الثمن على مائة ألف دينار.

وقال المسعودي: ابتنى داره ووسّعها وكان على مربطه مائة فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف من الغنم، وبلغ بعد وفاته ثمن ماله أربعة وثمانين ألفاً[2].

ومنهم: سعد بن أبي وقّاص، قال ابن سعد: ترك سعد يوم مات مائتي ألف وخمسين ألف درهم، ومات في قصره بالعقيق. وقال المسعودي: بنى داره بالعقيق فرفع سمكها ووسّع فضاءها وجعل أعلاها شرفات[3].

ومنهم: يعلى بن أُميّة[4]: خلّف خمسمائة ألف دينار، وديوناً على الناس

---

(١) أي: صلُبت وثخُن جلدها من أثر العمل.

(٢) الطبقات الكبرى: ١٣٦/٣، مروج الذهب: ٣٥٠/٢، تاريخ اليعقوبي: ١٧٠/٢، صفة الصفوة: ٣٥٥/١ رقم ٨، الرياض النضرة: ٢٧٢/٤، طبقات ابن سعد: ٣ / ٩٦ طبع ليدن، مروج الذهب: ١ / ٤٣٤، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٤٦، صفة الصفوة لابن الجوزي: ١ / ١٣٨، الرياض النضرة لمحبّ الطبري: ٢ / ٢٩١.

(٣) الطبقات الكبرى: ١٤٨/٣ ـ ١٤٩، مروج الذهب: ٢ / ٣٥٠.

(٤) في المصدر: يعلى بن منية.

وعقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته مائة[١] ألف دينار، كذا ذكره المسعودي في مروج الذهب[٢].

ومنهم: زيد بن ثابت قال المسعودي: خلّف من الذهب والفضّة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلّف من الأموال والضياع، بقيمة مائة ألف دينار. مروج الذهب[٣].

هذه نبذ ممّا وقع فيه التفريط المالي على عهد عثمان، ومن المعلوم أنّ التاريخ لم يُحصِ كلّ ما كان هناك من عظائم، شأنه في أكثر الحوادث والفتن ولا سيّما المتدرّجة منها في الحصول.

بينما نلاحظ من الامور العقائدية التربوية في سيرة محمد واهل بيته عليهم السلام المتقين التضحيات المستمرة لهم وزهدهم وعفتهم وتركهم للدنيا.

فأصبحت هذه المسألة من الدلائل علىٰ صدق رسالة محمد صلى الله عليه وآله. ولو كان رسول الله صلى الله عليه وآله واهل بيته من اللاهثين خلف الدنيا والساعين نحو لذاتها وسرابها لشكك الكثير من الناس بدينهم ورسالتهم.فتحمل الاذى وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما أُوذي نبيٌّ مثل ما أُوذيت[٤].

وقدم ارحام النبي حمزة وطالبا وجعفرا ابنى أبي طالب وابا عبيدة وعليا عليهم السلام وحسنا وحسينا عليهما السلام قرابين في طريق الاسلام .

---

(١) في المصدر: ثلاثمائة.

(٢) مروج الذهب: ٢ / ٣٥١.

(٣) مروج الذهب: ٢ / ٣٥١.

(٤) كشف الغمة، الاربلي ٣ / ٣٤٦.

ومات رسول الله ﷺ ولم يشبع من خبز بر[١].

وقال النبي ﷺ: «الدنيا جيفة وطلابها كلاب»[٢].

ورفض النبي ﷺ الاغراءات الدنيوية المتمثلة بتنصيبه ملكاً عليهم، وجعله اكثرهم مالاً، وافضلهم نساءاً رفضها النبي متمثلاً في قوله ﷺ: والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته[٣].

وقال سعد بن ابي وقاص: يا هذا على ما تَشتِم عليَّ بنَ أبي طالب؟

الم يكن أوّلَ من أسلَم؟

ألم يكن أوّلَ من صلّىٰ مع رسول الله؟

ألم يكن أزهد الناس؟

ألم يكن أعلمَ الناس؟

وذكر حتّىٰ قال: ألم يكن صاحِبَ راية رسولِ الله في غَزَواته[٤].

وقال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: وانت اقرأهم لكتاب الله، واعلمهم بسنن الله، واشجعهم قلباً، واجودهم كفاً، وازهدهم في الدنيا، واشدهم اجتهاداً، واحسنهم خلقاً، واصدقهم لساناً، واحبهم الى الله والي، وستبقى بعدي ثلاثين سنة تعبد الله، وتصبر على ظلم قريش[٥].

وحصل هؤلاء على أموال الدولة:

(١) الطبقات الكبرى ١ / ٤٠١، تهذيب الكمال، المزي ١ / ٢٣٠.

(٢) كنز العمال ٣ / ٧١٩، فيض القدير ١ / ١٤٧، كشف الخفاء، العجلوني ١ / ٤٠٩.

(٣) مناقب آل ابي طالب، ابن شهر آشوب ١ / ٥٣، البحار ١٨ / ١٨٢، دلائل النبوة، الأصبهاني ١٩٧.

(٤) مستدرك الحاكم ٣/ ٥٠٠، حياة الصحابة ٢/ ٥١٤.

(٥) ميزان الاعتدال، الذهبي ٢/ ٢٦٣، مجمع الزوائد ٦/ ٢٣٩، مستدرك الصحيحين ٣/ ١٣٩، تاريخ بغداد ٨/ ٣٤٠، كنز العمال ١١/ ٢٩٢، البداية والنهاية ٧/ ٣٣٨.

الأعلام	الدرهم
آل الحكَم	٢٠٢٠٠٠٠٠
الحكَم	٣٠٠٠٠٠
الحارث	٣٠٠٠٠٠
سعيد	١٠٠٠٠٠
الوليد	١٠٠٠٠٠
عبدالله	٣٠٠٠٠٠
عبدالله	٦٠٠٠٠٠
أبو سفيان	٢٠٠٠٠٠
مروان	١٠٠٠٠٠
طلحة	٢٢٠٠٠٠٠
طلحة	٣٠٠٠٠٠٠٠
الزبير	٥٩٨٠٠٠٠٠
ابن أبي وقّاص	٢٥٠٠٠٠
عثمان الخليفة	٣٠٥٠٠٠٠٠

المجموع ١٢٦/٧٧٠/٠٠٠ مائة وستة وعشرون مليوناً وسبعمائة وسبعون ألف درهم.

بقي هنا أن نسأل الخليفة عن علّة قصر هذه الأثرة على المذكورين ومن جرى مجراهم من زبانيته؛ هل خلقت الدنيا لأجلهم؟ أو أنّ الشريعة منعت عن الصلاة وإعطاء الصدقات للصلحاء الأبرار من أُمّة محمد ﷺ كأبي ذرّ الغفاري، وعمّار بن ياسر، وعبدالله بن مسعود إلى نظرائهم؟ فيجب عليهم أن يقاسوا الشدّة، ويعانوا

البلاء، ويشملهم المنع بين منفيّ ومضروب ومهان، وهذا سيّدهم أمير المؤمنين يقول: «إنّ بني أُميّة ليُفوّقُونني تراث محمدﷺ تفويقاً»[1] أي يعطونني من المال قليلاً.

فبكى أبو ذر ﷺ ـ وكان شيخاً كبيراً ـ وقال: رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول اللهﷺ، مالي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم، إنّي ثقلتُ على عثمان بالحجاز كما ثقلتُ على معاوية بالشام، وكره أن أُجاور أخاه وابن خاله بالمصرين[2] فأفسد الناس عليهما، فسيّرني إلى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلّا الله، والله ما أُريد إلّا الله صاحباً، وما أخشى مع الله وحشة.

ورجع القوم إلى المدينة فجاء عثمان إلى عليﷺ فقال له: ما حملك على ردّ رسولي وتصغير أمري؟

فقال عليﷺ: «أمّا رسولك فأراد أن يردّ وجهي فرددته، وأمّا أمرك فلم أصغّره».

قال: أما بلغك نهيي عن كلام أبي ذر؟

قالﷺ: «أوَ كلّما أمرت بأمر معصية أطعناك فيه؟».

قال عثمان: أقد مروان من نفسك.

قال: «مِمّ ذا؟» قال: من شتمه وجذب راحلته.

قالﷺ: «أمّا راحلته فراحلتي بها، وأمّا شتمه إيّاي فوالله لا يشتمني شتمة إلّا شتمتك مثلها لا أكذب عليك».

---

(١) نهج البلاغة: ١ / ١٢٦ [ص ١٠٤ خطبة ٧٧]. (المؤلف)

(٢) يعني مصر والبصرة، كان والي مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح أخا عثمان من الرضاعة، وكان على البصرة عبدالله بن عامر ابن خاله كما مرّ: ص ٢٩٠. (المؤلف)

فغضب عثمان وقال: لِمَ لا يشتمك؟ كأنّك خير منه؟ قال عليّ عليه السلام: «إي والله ومنك»، ثمّ قام فخرج، فأرسل عثمان إلى وجوه المهاجرين والأنصار وإلى بني أُميّة يشكو إليهم عليّاً عليه السلام.

فقال القوم: أنت الوالي عليه وإصلاحه أجمل قال: وددت ذاك. فأتوا عليّاً عليه السلام فقالوا: لو اعتذرت إلى مروان وأتيته فقال: «كلّا أمّا مروان فلا آتيه ولا أعتذر منه، ولكن إن أحبّ عثمان أتيته».

فرجعوا إلى عثمان فأخبروه، فأرسل عثمان إليه فأتاه ومعه بنو هاشم، فتكلّم عليّ عليه السلام فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: «أمّا ما وجدت عليّ فيه من كلام أبي ذر ووداعه فوالله ما أردت مساءتك ولا الخلاف عليك ولكن أردت به قضاء حقّه. وأمّا مروان فإنّه اعترض يريد ردّي عن قضاء حقّ الله عزّوجل فرددته، ردّ مثلي مثله، وأمّا ما كان منّي إليك فإنّك أغضبتني فأخرج الغضب منّي ما لم أرده».

فتكلّم عثمان فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: أمّا ما كان منك إليّ فقد وهبته لك، وأمّا ما كان منك إلى مروان فقد عفا الله عنك، وأمّا ما حلفت عليه فأنت البرُّ الصادق، فأدنِ يدك فأخذ يده فضمّها إلى صدره، فلمّا نهض قالت قريش وبنو أُميّة لمروان: أأنت رجل جبهك عليٌّ وضرب راحلتك؟ وقد تفانت وائل في ضرع ناقة، وذبيان وعبس في لطمة فرس، والأوس والخزرج في نسعة[1] أفتحمل لعليّ عليه السلام ما أتاه إليك؟

فقال مروان: والله لو أردت ذلك لما قدرت عليه.

فقال ابن أبي الحديد[2]: واعلم أنّ الذي عليه أكثر أرباب السيرة وعلماء

---

(١) النسعة ـ بكسر النون ـ: حبل عريض طويل تشدّ به الرحال. (المؤلف)

(٢) شرح نهج البلاغة: ٨ / ٢٥٥ خطبة ١٣٠.

الأخبار والنقل أنّ عثمان نفى أبا ذر أوّلاً إلى الشام ثمّ استقدمه إلى المدينة لمّا شكا منه معاوية، ثمّ نفاه من المدينة إلى الربذة لمّا عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام.

أصل هذه الواقعة: أنّ عثمان لمّا أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال واختصّ زيد بن ثابت بشيء منها، جعل أبو ذر يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع: بشّر الكانزين[1] بعذاب أليم، ويرفع بذلك صوته ويتلو قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**.

فرفع ذلك إلى عثمان مراراً وهو ساكت، ثمّ إنّه أرسل إليه مولى من مواليه أن انتهِ عمّا بلغني عنك.

فقال أبو ذر: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى، وعيب من ترك أمر الله تعالى؟ فوالله لأن أُرضي الله بسخط عثمان أحبّ إليّ وخير لي من أن أُسخط الله برضا عثمان، فأغضب عثمان ذلك وأحفظه فتصابر وتماسك، إلى أن قال عثمان يوماً والناس حوله: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال شيئاً قرضاً فإذا أيسر قضى؟

فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك.

فقال أبو ذر: يابن اليهوديين أتعلّمنا ديننا؟

فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتولّعك بأصحابي، إلحق بالشام، فأخرجه إليها، فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها فبعث إليه معاوية يوماً ثلاثمائة دينار، فقال أبو ذر لرسوله: إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا أقبلها، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها، وردّها عليه.

---

(١) في النسخة: الكافرين. والصحيح كما مرّ عن البلاذري [في الأنساب: ٥/ ٥٢]. (المؤلف)

ثمّ بنىٰ معاوية الخضراء بدمشق فقال أبو ذر: يا معاوية إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهي الإسراف.

وكان أبو ذر يقول بالشام: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنّة نبيّه ﷺ، والله إنّي لأرى حقّاً يُطفأ، وباطلاً يُحيا، وصادقاً مكذّباً، وأثرةً بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه.

فقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية: إنّ أبا ذر لمفسد عليكم الشام فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة.

وروى شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب السفيانيّة عن جلام بن جندل الغفاري قال: كنت غلاماً لمعاوية على قنسرين والعواصم في خلافة عثمان، فجئت إليه يوماً أسأله عن حال عملي إذ سمعت صارخاً على باب داره يقول:

أتتكم القطار تحمل النار، اللهمّ العن الآمرين بالمعروف التاركين له، اللهمّ العن الناهين عن المنكر المرتكبين له.

فازبأرّ[1] معاوية وتغيّر لونه وقال: يا جلام أتعرف الصارخ؟

فقلت: اللهمّ لا.

قال: من عَذيري من جندب بن جنادة يأتينا كلّ يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت، ثمّ قال: ادخلوه عليّ، فجيء بأبي ذر بين قوم يقودونه حتى وقف بين يديه.

فقال له معاوية: يا عدوّ الله وعدوّ رسوله تأتينا في كلّ يوم فتصنع ما تصنع، أما إنّي لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمد من غير إذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك

(١) ازبأرّ الرجل ازبئراراً: تهيّأ للشرّ.

ولكنّي أستأذن فيك.

قال جلام: وكنت أُحبُّ أن أرى أبا ذر لأنّه رجل من قومي. فالتفتُّ إليه فإذا رجل أسمر ضرب[١] من الرجال خفيف العارضين في ظهره حناء[٢]، فأقبل على معاوية وقال:

ما أنا بعدوّ الله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوّان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر، ولقد لعنك رسول الله ﷺ ودعا عليك مرّات أن لا تشبع، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا ولي الأُمة الأعيَن[٣] الواسع البلعوم الذي يأكل ولا يشبع فلتأخذ الأُمّة حذرها منه»[٤].

فقال معاوية: ما أنا ذاك الرجل.

قال أبو ذر: بل أنت ذلك الرجل أخبرني بذلك رسول الله ﷺ وسمعته يقول وقد مررت به: «اللهمّ العنه ولا تشبعه إلّا بالتراب». وسمعته ﷺ يقول: «است معاوية في النار». فضحك معاوية وأمر بحبسه، وكتب إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: أن احمل جندباً إليّ على أغلظ مركب وأوعره، فوجّه به مع من سار به الليل والنهار وحمله على شارف ليس عليها إلّا قتب حتى قدم به المدينة وقد سقط لحم فخذيه من الجهد.

فلمّا قدم بعث إليه عثمان: إلحق بأيّ أرض شئت.

---

(١) الضرب: الرجل الماضي الندب.

(٢) كذا في الطبعة التي اعتمدها المؤلف، وفي الطبعة المعتمدة لدينا: في ظهره جنأ والجنأ: إشراف الكاهل على الصدر.

(٣) في لفظ الحديث سقط كما لا يخفى [والأعيَن هو واسع العين، ويبدو أن سياق الحديث متماسك].

(٤) وفي حديث علي ﷺ: «لا يذهب أمر هذه الأمّة إلّا على رجل واسع السرم، ضخم البلعوم».

ذكره ابن الأثير في النهاية: ١/١١٢ [٢/٣٦٢]. لسان العرب: ١٤/٣٢٢ [٦/٢٤٨]، تاج العروس: ٨/٢٠٦.

قال: بمكّة؟

قال: لا.

قال: بيت المقدس؟

قال: لا.

قال: بأحد المصرين؟

قال: لا، ولكني مسيّرك إلى الربذة، فسيّره إليها، فلم يزل بها حتى مات.

وفي رواية الواقدي: أنّ أبا ذر لمّا دخل على عثمان قال له:

لا أنعمَ اللهُ بقَينٍ عينا   نعم ولا لقّاه يوماً زينا

تحيّة السخط إذا التقينا

فقال أبو ذر: ما عرفت اسمي قيناً قطُّ. وفي رواية أُخرى: لا أنعم الله بك عيناً يا جنيدب.

فقال أبو ذر: أنا جندب وسمّاني رسول الله ﷺ عبدالله، فاخترت اسم رسول الله ﷺ الذي سمّاني به على اسمي.

فقال له عثمان: أنت الذي تزعم أنّا نقول: يد الله مغلولة وأنّ الله فقير ونحن أغنياء؟

فقال أبو ذر: لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عباده، ولكنّي أشهد أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، ودينه دخلاً».

فقال عثمان لمن حضر: أسمعتموها من رسول الله؟

قالوا: لا.

قال عثمان: ويلك يا أبا ذر أتكذب على رسول الله؟

فقال أبو ذر لمن حضر: أما تدرون أنّي صدقت؟

قالوا: لا والله ما ندري.

فقال عثمان: ادعوا لي عليّاً فلمّا جاء قال عثمان لأبي ذر: اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص فأعاده.

فقال عثمان لعلي عليه السلام: أسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: «لا وقد صدق أبو ذر» فقال: كيف عرفت صدقه؟

قال: لأنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر» فقال من حضر: أمّا هذا فسمعناه كلّنا من رسول الله.

فقال أبو ذر: أحدّثكم أنّي سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله فتتّهموني؟ ما كنت أظنُّ أنّي أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله.

وروى الواقدي في خبر آخر بإسناده عن صهبان مولى الأسلميين، قال: رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان فقال له: أنت الذي فعلت وفعلت؟

فقال أبو ذر: نصحتك فاستغششتني ونصحت صاحبك فاستغشّني.

قال عثمان: كذبت ولكنّك تريد الفتنة وتحبّها وقد أنغلت الشام علينا.

قال له أبو ذر: اتّبع سنّة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام.

فقال عثمان: مالك وذلك لا أُمّ لك؟

قال أبو ذر: والله ما وجدت لي عذراً إلّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فغضب عثمان وقال: أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذّاب، إمّا أن أضربه أو

أحبسه أو أقتله، فإنّه قد فرّق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام، فتكلّم عليّ عليه السلام وكان حاضراً فقال: «أُشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون: **﴿وإن يكُ كاذِباً فعليهِ كذبهُ وإن يكُ صادِقاً يُصبكُم بعضُ الذي يَعدُكم إنّ اللهَ لا يهدي من هو مُسرِفٌ كذّاب﴾**. فأجابه عثمان بجواب غليظ وأجابه عليّ عليه السلام بمثله ولم نذكر الجوابين تذمّماً منهما.

قال الواقدي: ثمّ إنّ عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر ويكلّموه فمكث كذلك أياماً ثمّ أُتي به فوقف بين يديه، فقال أبو ذر: ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأيت أبا بكر وعمر؟ هل هديك كهديهم؟ أما إنّك لتبطش بي بطش جبّار.

فقال عثمان: اخرج عنّا من بلادنا فقال أبو ذر: ما أبغض إليّ جوارك! فإلى أين أخرج؟ قال: حيث شئت قال: أخرج إلى الشام أرض الجهاد قال: إنّما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها، أفأردّك إليها؟

قال: أفأخرج إلى العراق؟ قال: لا، إنّك إن تخرج إليها تقدم على قوم أُولي شقّة[1] وطعن على الأئمّة والولاة.

قال: أفأخرج إلى مصر؟ قال: لا.

قال: فإلى أين أخرج؟ قال: إلى البادية. قال أبو ذر: أصير بعد الهجرة اعرابيّاً؟

قال: نعم.

قال أبو ذر: فأخرج إلى بادية نجد. قال عثمان: بل إلى الشرق الأبعد أقصى

(١) في شرح النهج: أولي شُبَه.

فأقصى، إمض على وجهك هذا فلا تَعدُوَنّ الربذة، فخرج إليها.

وروىٰ الواقدي أيضاً عن مالك بن أبي الرجال، عن موسى بن ميسرة: أنّ أبا الأسود الدؤلي قال: كنت أُحبُّ لقاء أبي ذر لأسأله عن سبب خروجه إلى الربذة، فجئته فقلت له: ألا تخبرني أخرجت من المدينة طائعاً أم أُخرجت كرهاً؟

فقال: كنت في ثغرٍ من ثغور المسلمين أغني عنهم فأُخرجت إلى المدينة، فقلت: دار هجرتي وأصحابي، فأُخرجت من المدينة إلى ما ترى، ثمّ قال: بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد على عهد رسول الله ﷺ إذ مرّ بي ﷺ فضربني برجله وقال: «لا أراك نائماً في المسجد».

وما كان أبو ذر يمنع عن جلب الثروة من حقّها، ولا يبغي سلب السلطة عمّن ملك شيئاً ملكاً مشروعاً، لكنه كان ينقم على أهل الأثرة على اغتصابهم حقوق المسلمين، وخضمهم مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، وما كان يتحرّى إلّا ما أراد الله سبحانه بقوله عزّ من قائل:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وما جاء به رسول الله ﷺ في الجهات الماليّة.

أخرج أحمد في مسنده[1] من طريق الأحنف بن قيس قال: كنت بالمدينة فإذا أنا برجل يفرّ الناس منه حين يرونه، قال: قلت: من أنت؟

قال: أنا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ. قال: قلت: ما يفرّ الناس منك؟

قال: إنّي أنهاهم عن الكنوز بالذي كان ينهاهم عنه رسول الله.

وفي لفظ مسلم في صحيحه[2] قال الأحنف بن قيس: كنت في نفر من قريش

(١) مسند أحمد: ٢٠٦/٦ ح ٢٠٩٤٠، ص ٢٢٤ ح ٢١٠٢٤.

(٢) صحيح مسلم: ٢ / ٣٨٥ ح ٣٥.

فرّ أبو ذر ﷺ وهو يقول: بشّر الكانزين بكيٍّ في ظهورهم يخرج من جنوبهم، وبكيٍّ من أقفيتهم يخرج من جباههم قال: ثمّ تنحّى فقعد إلى سارية، فقلت: من هذا؟

قالوا: هذا أبو ذر، فقمت إليه فقلت: ما شيء سمعتك تقول قُبَيْلُ؟ قال: ما قلت إلّا شيئاً سمعته من نبيّهم ﷺ قال: قلت: ما تقول في هذا العطاء؟ قال: خذه فإنّ فيه اليوم معونة، فإذا كان ثمناً لدينك فدعه[1].

وأخرج أبو نعيم في الحلية[2] من طريق سفيان بن عيينة بإسناده عن أبي ذر، قال: إنّ بني أميّة تُهدّدني بالفقر والقتل؛ ولَبطن الأرض أحبّ إليّ من ظهرها، ولَلفقر أحبّ إليّ من الغنى.

فقال له رجل: يا أبا ذر مالك إذا جلست إلى قوم قاموا وتركوك؟ قال: إنّي أنهاهم عن الكنوز.

وفي فتح الباري[3] نقلاً عن غيره: الصحيح أنّ إنكار أبي ذر كان على السلاطين الذين يأخذون المال لأنفسهم ولا ينفقونه في وجهه. وتعقّبه النووي بالإبطال لأنّ السلاطين حينئذ كانوا مثل أبي بكر وعمر وعثمان وهؤلاء لم يخونوا.

وفي هذا التعقيب تدجيل ظاهر، فإنّ يوم هتاف أبي ذر بعناويه لم يكن العهد لأبي بكر وعمر، وإنّما كان ذلك يوم عثمان المخالف لهما في السيرة مخالفة واضحة، والمبائن للسيرة النبويّة في كلّ ما ذكرناه؛ ولذلك كلّه كان سلام الله عليه ساكتاً عن هتافه في العهدين وكان يقول لعثمان: ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله ﷺ

---

(١) سنن البيهقي: ٦ / ٣٥٩.

(٢) حلية أبي نعيم: ١ / ١٦٢.

(٣) فتح الباري: ٣ / ٢٧٥.

ورأيت أبا بكر وعمر؟ هل رأيت هذا هديهم؟ إنّك تبطش بي بطش جبّار، ويقول: اتّبع سنّة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام.

ولم يكن لأبي ذر منتدح من ندائه والدعوة إلى المعروف الضائع، والنهي عن المنكر الشائع، وهو يتلو آناء الليل وأطراف النهار قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

قال ابن خراش: وجدت أبا ذر بالربذة في مظلّة شعر فقال: ما زال بي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يترك الحقّ لي صديقاً[2].

وكان ينكر مع ذلك على معاوية المتّخذ شناشن الأكاسرة والقياصرة بالترفّه والتوسّع والاستئثار بالأموال، وكان في العهد النبويّ صعلوكاً لا مال له ووصفه به رسول الله ﷺ[3] وفي لفظ: إنّ معاوية ترب خفيف الحال[4].

فما واجب أبي ذر عندئذٍ؟ وقد أمره النبيّ الأعظم في حديث[5] السبعة التي أوصاه بها، بأن يقول الحقّ وإن كان مرّاً، وأمره بأن لا يخاف في الله لومة لائم. وما الذي يجديه قول عثمان: مالك وذلك؟ لا أمّ لك؟ ولأبي ذر أن يقول له كما قال: والله

(١) آل عمران: ١٠٤.

(٢) الأنساب: ٥/٥٥، ومرّ مثله من طريق آخر: ص٢٩٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب النكاح والطلاق: ١٩٥/٤ [٢٩٠/٣ ح٣٦]، سنن النسائي: ٧٥/٦ [٢٧٤/٣ ح٥٣٥٢]، سنن البيهقي: ١٣٥/٧.

(٤) صحيح مسلم: ١٩٩/٤ [٢٩٥/٣ ح٤٨].

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات: ص١٦٤ [٢٢٩/٤] من طريق عبدالله بن الصامت عن أبي ذر قال: أوصاني خليلي بسبع: [أمرني] بحبّ المساكين والدنوّ منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني أن لا اسأل أحداً شيئاً، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن أقول الحقّ وإن كان مُرّاً، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أُكثِر من لا حول ولا قوّة إلّا بالله، فإنّهنّ من كنز تحت العرش.

ما وجدت لي عذراً إلاّ بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولم تكن لما رفع به أبو ذر عقيرته جدّة ليس لها سلف من العهد النبويّ، فلم يهتف إلّا بما تعلّمه من الكتاب والسُنّة، وقد أُخذه من الصادق الكريم من فَلق فيه، ولم يكن ﷺ يسلب ثروة أحد من أصحابه وكان فيهم تجّار وملّاك ذوو يسار، ولم يأخذ منهم زيادة على ما عليهم من الحقوق الإلهيّة، وعلى حذوه حذا أبـو ذر في الدعوة والتبليغ.

كان ﷺ أخبره بما يجري عليه من البلاء والعناء وما يُصنع به من طرده من الحواضر الإسلامية: مكّة، والمدينة، والشام، والبصرة، والكوفة. ووصفه عند ذلك بالصلاح وأمره بالصبر وأنّ ما يصيبه في الله، فقال أبو ذر: مرحباً بأمر الله يأبى أن يكون ما جرّ إليه ذلك البلاء غير مشروع.

وإن كان ذلك خلاف الصالح العام ولم تكن فيه مـرضاة الله ورسـوله لوجب عليه ﷺ أن ينهاه عمّا سينوء به من الإنكار وهو يعلم أنّ تلك الدعوة تجرّ عـليه الأذى والبلاء الفادح، وتشوّه سمعة خليفة المسلمين، وتسوّد صحيفة تاريخه، وتبقىٰ وصمة عليه إلى الأبد.

ومن هؤلاء المستفيدين من أموال الدولة دون حقّ الزبـير بـن العـوام الذي خلّف إحدىٰ عشرة داراً بالمدينة وداريـن بـالبصرة وداراً بـالكوفة وداراً بمـصر وكان له أربع نسوة فأصاب كلّ امرأة بعد رفع الثلث ألف ألف ومائتا ألف.

قال البخاري: فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف. وقال ابن الهائم: بل

الصواب أنّ جميع ماله حسبما فرض: تسعة وخمسون ألف ألف وثمانمائة ألف[1] وصرّح ابن بطّال والقاضي عياض وغيرهما: بأنّ الصواب ما قاله ابن الهائم، وأنّ البخاري غلط في الحساب.

كذا نجدها في البخاري وغيره من المصادر غير مقيّدة بالدرهم أو الدينار، غير أنّ في تاريخ ابن كثير[2] قيّدها بالدرهم.

وقال ابن سعد في الطبقات[3] كان للزبير بمصر خطط، وبالإسكندرية خطط، وبالكوفة خطط، وبالبصرة دور، وكانت له غلّات تقدم عليه من أعراض المدينة.

وقال المسعودي وغيره[4] خلّف ألف فرس وألف عبد وألف أمة وخططاً.

ومنهم: طلحة بن عبيدالله التيمي: ابتنىٰ داراً بالكوفة تُعرف بالكناس بدار الطلحتين، وكانت غلّته من العراق كلّ يوم ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك وله بناحية سراة[5] أكثر ممّا ذكر، وشيّد داراً بالمدينة بناها بالآجر والجصّ والساج.

وكان طلحة يغلُّ بالعراق ما بين أربعمائة ألف إلى خمسمائة ألف، ويغلّ بالسراة عشرة آلاف دينار.

وقال سفيان بن عيينة: كان غلّته كلّ يوم ألف وافٍ. والوافي وزنه وزن الدينار، وعن موسىٰ بن طلحة: أنّه ترك ألفي ألف درهم ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار.

---

(١) ذكره شرّاح البخاري، راجع فتح الباري ٦ / ٢٣٣، إرشاد الساري ٧ / ٥٠، عمدة القارى، ١٥ / ٥٣ ح ٣٧، شذرات الذهب: ١ / ٤٣، ١ / ٢٠٨ حوادث سنة ٣٦هـ.

(٢) البداية والنهاية: ٧ / ٢٧٨ حوادث سنة ٣٥، هـ.

(٣) الطبقات الكبرىٰ: ٣ / ١١٠ طبعة ليدن.

(٤) مروج الذهب: ٢ / ٣٥٠.

(٥) بين تهامة ونجد أدناها الطائف وأقصاها قرب صنعاء معجم البلدان: ٣ / ٢٠٥.

وكان قيمة ما ترك طلحة من العقار والأموال وما ترك من الناضّ[1] ثلاثين ألف ألف درهم وترك من العين ألفي ألف ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار والباقي عروض.

وقتل طلحة وفي يد خازنه ألفا ألف درهم ومائتا ألف درهم، وقوّمت أصوله وعقاره ثلاثين ألف ألف درهم.

وترك مائة بُهار في كلّ بُهار ثلاثة قناطير ذهب. وسمعت أنّ البُهار[2] جلد ثور. وفي لفظ ابن عبدربّه من حديث الخشني: وجدوا في تركته ثلاثمائة بُهار من ذهب وفضّة. وقال ابن الجوزي: خلّف طلحة ثلاثمائة جمل ذهباً.

وأخرج البلاذري من طريق موسىٰ بن طلحة قال: أعطىٰ عثمان طلحة في خلافته مائتي ألف دينار[3].

وسيأتي عن عثمان قوله: ويلي على ابن الحضرميّة ـ يعني طلحة أعطيته كذا وكذا بُهاراً ذهباً، وهو يروم دمي يحرّض على نفسي.

ومنهم: عبدالرحمن بن عوف الزهري: قال ابن سعد: ترك عبدالرحمن ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس ترعىٰ بالبقيع، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً.

وقال: كان فيما خلّفه ذهب قُطّع بالفؤوس حتى مجلت[4] أيدي الرجال منه،

---

(١) الناضّ: الدرهم والدينار.

(٢) البُهار يساوي ثلاثمائة رطل. وقيل: هو ما يحمل على البعير بلغة أهل الشام. أنظر النهاية: ١ / ١٦٦.

(٣) الطبقات الكبرىٰ: ٣ / ٢٢١ ـ ٢٢٢، مروج الذهب: ٢ / ٣٥٠، العقد الفريد: ٤ / ١٢٩، الرياض النضرة: ٣ / ٢٢٧ ـ ٢٢٨، دول الإسلام: ص: ٢٢، ٢٣ حوادث سنة ٣٥ هـ، خلاصة الخزرجي: ٢ / ١٢ رقم ٣١٩٥.

(٤) أي صلُبت وخَن جلدها من أثر العمل.

وترك أربع نسوة فأصاب كلّ امرأة ثمانون ألفاً. وصالحوا امرأة عبدالرحمن التي طلّقها في مرضه من ربع الثمن بثلاثة وثمانين ألفاً.

وقال اليعقوبي: ورّثها عثمان فصولحت عن ربع الثمن على مائة ألف دينار. وقيل: ثمانين ألف.

وقال المسعودي: ابتنىٰ داره ووسّعها وكان على مربطه مائة فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف من الغنم، وبلغ بعد وفاته ثمن ماله أربعة وثمانين ألفاً[1].

ومنهم: سعد بن أبي وقاص، قال ابن سعد: ترك سعد يوم مات مائتي ألف وخمسين ألف درهم، ومات في قصره بالعقيق. وقال المسعودي: بنىٰ داره بالعقيق فرفع سمكها ووسّع فضاءها وجعل أعلاها شرفات[2]. بينا أحرق عمر باب قصره في زمنه!

ومنهم يعلىٰ بن أمية[3]: خلّف خمسمائة ألف دينار، وديوناً على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته مائة[4] ألف دينار. كذا ذكره المسعودي في مروج الذهب[5].

ومنهم: زيد بن ثابت اليهودي السابق، قال المسعودي خلّف من الذهب والفضّة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلّف من الأموال والضياع، بقيمة مئة ألف

(١) الطبقات الكبرى: ٣ / ١٣٦، مروج الذهب: ٢ / ٣٥٠، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٧٠، صفة الصفوة: ١ / ٣٥٥ رقم ٨، الرياض النضرة: ٤ / ٢٧٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ٣ / ١٤٨ ـ ١٤٩، مروج الذهب: ٢ / ٣٥٠.

(٣) في المصدر: يعلى بن منية.

(٤) في المصدر: ثلاثمائة.

(٥) مروج الذهب: ٢ / ٣٥١.

دينار[1].

قال الأميني: هذه نبذ ممّا وقع فيه التفريط المالي على عهد عثمان، ومن المعلوم أنّ التاريخ لم يُحصِ كلّ ما كان هناك من عظائم، شأنه في أكثر الحوادث والفتن ولا سيّما المتدرجة منها في الحصول.

عطايا عثمان

أعطىٰ عثمان بن عفان خالد بن أسيد القرشي ستّمائة ألف، قال عبدالله بن عمر كم ستّين ألفاً. قال خالد بن أسيد: مائة ألف ومائة ألف ومائة الف ست مرّات، فقال له ابن عمر: اسكت فما أسود عثمان[2].

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يأخذ في السنة الواحدة خمسة آلاف درهم!!!

وكان عثمان قد أعطىٰ خمس افريقيا مرّة لعبدالله بن أبي سرح وفي غزوة أُخرىٰ لمروان بن الحكم، فقال: أسلم بن أوس الساعدي المانع من دفن عثمان في البقيع مع بقيّة المسلمين:

وأعطيت مروان خمس العباد ظلماً لهم وحميت الحمي[3]

وأعطىٰ عثمان لسعيد بن العاص مائة ألف دينار فأنكر الناس عليه[4].

---

(١) مروج الذهب: ٢ / ٣٥١.

(٢) البحار ٣١ / ٤٥٢.

(٣) تاريخ الطبري طاوريا قسم ١ ص ٢٨١٨، تاريخ الخلفاء، السيوطي ١٥٦، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٧١، فتوح أفريقيا، ابن عبدالحكم ٥٨، ٦٠، أنساب الأشراف، البلاذري ٥ / ٢٥، ٢٧، ٢٨، البداية والنهاية ٧ / ١٥٢، الأغاني ٦/٥٧، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام، ابن الدمشقي ٢ / ١٧٥.

(٤) الصراط المستقيم ٣ / ٣٢.

ونفىٰ عثمان أبا ذر إلى الشام فدعا هناك إلى مساعدة الفقراء والامتناع عن كنز الأموال فأعاده معاوية إلى المدينة وحمله على قتب فسقط لحم فخذيه، ولمّا دخل على عثمان قال له: لا أنعم الله بك عيشاً يا جندب أنت الذي تزعم أنّا نقول: يد الله مغلولة، وأنّ الله فقير ونحن أغنياء؟ فقال: لو كنتم لا تزعمون ذلك لأنفقتم مال الله على عباده أشهد لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا بلغ بنو العاص أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً ودين الله دخلاً. فقال عثمان للجماعة: هل سمعتم هذا من النبي ﷺ؟

فقال علي ؑ والجماعة سمعناه ﷺ يقول: ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر فنفاه عثمان إلى الربذة وقال لعلي ؑ بفيك التراب فقال علي ؑ: بل بفيك التراب وسيكون، قال جماعة: فلقد رأينا عثمان مقتولاً وبفيه التراب[1].

وقد أحدث عثمان بن عفان في المدينة فتنة عظيمة بأعماله في قتل المؤمنين ونفيهم وقطع مواردهم المالية وإنفاق بيت المال على بني أمية دون حقّ، وتعيين فسقة بني أمية على رقاب المسلمين وإدارتهم الأمور دون شريعة بعيداً عن الإسلام.

وقد قال رسول الله ﷺ: من أحدث في المدينة حدثاً أو آوىٰ محدثاً فعليه لعنة الله[2]، وقال الواقدي: قسّم عثمان مال البصرة بين ولده وأهله بالصحاف، ووهب إبلاً من الصدقة للحارث بن الحكم بن أبي العاص، وولّىٰ الحكم بن أبي

(١) الأربعين، القمي الشيرازي ٥٨٧، الصراط المستقيم ٣ / ٣٢.

(٢) سنن البخاري الجزء الرابع، أوّل الكراس الثاني، الجمع بين الصحيحين، الحميدي ١٨، الصراط المستقيم ٣ / ٣١-٣٢.

العاص على صدقات قضاعة فبلغت ثلاثمائة ألف فوهبها له. وأعطى عثمان ثلاثمائة ألف لعبدالله بن أسيد بن أبي العاص بن أمية ومائة ألف لكلّ واحد من رفيقيه في السفر فامتنع عبدالله بن الأرقم خازن بيت المال من إعطائهم ذلك المبلغ الكبير، فقال له عثمان: إنّما أنت خازن لنا فما حملك على ما فعلت؟

قال ابن الأرقم: كنت أرى أنّي خازن للمسلمين فاستقال من وظيفته.

فأرسل عثمان زيد بن ثابت برشوة إلى عبدالله بن الأرقم بثلاثمائة ألف درهم قائلاً له: إنّا شغلناك عن التجارة ولك ذو رحم أهل حاجة ففرّق هذا المال فيهم واستعن به على عيالك. فقال عبدالله بن الأرقم: ما لي إليه حاجة[1].

وأعطى عثمان سعيد بن العاص مائة ألف درهم[2]، وأعطى عثمان مائة ألف درهم للأشعث بن قيس الكندي ولمّا ولي الإمام علي عليه السلام الحكم أمره بإحضارها فامتنع قائلاً: لم أصبها في عملك، فقال الإمام عليه السلام: والله لئن أنت لم تحضرها بيت مال المسلمين لأضربنّك بسيفي هذا أصاب منك ما أصاب. فأحضرها وأخذها منه وصيّرها في بيت مال المسلمين وتتبّع عمّال عثمان فأخذ منهم كلّ ما أصابه قائماً في أيديهم وضمّنهم ما أتلفوا، وقال علي عليه السلام في خطبته: ألا وكلّ قطعة أقطعها عثمان أو مال أعطاه من مال الله فهو ردّ على المسلمين في بيت مالهم فإنّ الحقّ لا يذهبه الباطل والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لو وجدته قد تزوّج به النساء وتفرّق في البلدان لرددته على أهله، فإنّ في الحقّ والعدل لكم سعة ومن ضاق به العدل فالجور به أضيق[3].

---

(١) الصراط المستقيم ٣ / ٣٢، الشافي، المرتضى ٤ / ٢٧٣.

(٢) أنساب الأشراف، البلاذري ٥ / ٢٥، ٢٨، شرح النهج ٣ / ٣٥.

(٣) دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي ١ / ٣٩٦.

وأعطىٰ عثمان لصهره مروان بن الحكم أيضاً ٥٠٠,٠٠٠ ألف دينار ذهب و ١٠٠,٠٠٠ درهم فضّة، وأعطىٰ لعبدالله بن أبي سرح أيضاً ١٠٠,٠٠٠ دينار، وأعطىٰ لطلحة بن عبدالله ٢٠٠,٠٠٠ مع ثلاثين مليون درهم مرّة ومليونين ومئتين ألف درهم فضّة، وأعطىٰ لعبدالرحمن بن عوف ٢,٥٦٠,٠٠٠ دينار، وأعطىٰ عثمان ليعلي بن أمية نصف مليون دينار وأعطىٰ زيد بن ثابت (اليهودي السابق) مائة ألف دينار، فقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في عثمان:

قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثليه ومعتلفه وقام معه بنو أبيه (أمية) يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث فتله وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته[1]. ولمّا أمر عثمان بنفي أبي ذر إلى الربذة دخل أبو ذر عليه يوماً عليلاً متوكّئاً على عصاه وبين يدي عثمان مائة ألف درهم قد حملت إليه من بعض النواحي وأصحابه حوله ينظرون إليه ويطمعون أن يقسّمها فيهم.

فقال أبو ذر لعثمان ما هذا المال؟ فقال عثمان مائة ألف درهم حملت إليّ من بعض النواحي أريد أن أضمّ إليها مثلها ثمّ أرىٰ فيها رأيي، فقال أبو ذر: يا عثمان أيّما أكثر مائة ألف درهم أو أربعة دنانير؟ فقال: بل مائة ألف درهم. فقال أبو ذر: أما تذكر إنّي أنا وأنت دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وآله عشاءاً فرأيناه كئيباً حزيناً فسلّمنا عليه فلم يردّ علينا السلام[2]. فلمّا أصبحنا أتيناه فرأيناه ضاحكاً مستبشراً فقلنا له بآبائنا وأمّهاتنا دخلنا عليك البارحة فرأيناك كئيباً حزيناً وعدنا إليك اليوم فرأيناك ضاحكاً مستبشراً فقال صلى الله عليه وآله: نعم كان قد بقي عندي من فيء المسلمين

(١) البحار ٣١ / ٢٢٣.

(٢) لا يفعل النبي هذا لانه قال رد السلام واجب.

أربعة دنانير وقد قسّمتها اليوم فاسترحت[1].

وقال هلال بن سالم الجحدري سمعت جدّي عن جدّه قال: شهدت علي بن أبي طالب ﵇ وقد أتي بمال عند المساء فقالوا: قد أمسينا فأخّره إلى غد، فقال ﵇: وما ذاك بأيدينا قال ﵇: فلا تؤخّروه حتى تقتسموه[2].

ودفع عثمان إلى أزواج بناته الأربعة أربعمائة ألف دينار[3].

وسيطر المسلمون على جواهر كسرى في زمن عمر فبقي في بيت المال ولمّا جاء عثمان حَلّى به بناته[4]، ولمّا مات عثمان خلّف ثلاث زوجات فأصاب كلّ واحدة منهنّ ثلاثة وثمانون ألف دينار فجملة المتروك أضعافها[5].

نظرية عثمان في الأموال

قال النبي ﷺ: إنّ رجالاً يخوضون في مال الله بغير حقّ فلهم النار يوم القيامة[6].

ولكن عثمان بن عفان وهب إلى أبي سفيان مائتي ألف من بيت المال[7].

وأعطى صهره الحارث بن الحكم (المتزوّج من ابنته عائشة بنت عثمان)

---

(١) مستدرك الوسائل، النوري ١١ / ٩٥، قصص الأنبياء ٣١٨، البحار ٢٢ / ٤٣٢ ح ٤٢.

(٢) مستدرك الوسائل، النوري ١١ / ٩٦، تفسير العياشي ٢ / ٦٢ ح ٥٨.

(٣) الصراط المستقيم ٣ / ٣٢.

(٤) شرح النهج، المعتزلي ٩ / ١٦ ـ ١٧.

(٥) الصراط المستقيم ٣ / ٣٢، الاستيعاب ٢ / ٣٩٦.

(٦) صحيح البخاري ٥ / ١٧.

(٧) شرح نهج البلاغة ١ / ٦٧.

ثلاثمائة ألف درهم[١].

ووردت إبل الصدقة فوهبها له[٢]، وأقطعه سوقاً في يثرب يعرف بتهروز بعد أن تصدّق به رسول الله ﷺ على جميع المسلمين[٣].

وأعطى عبدالله بن أبي سرح (أخاه من الرضاعة) جميع ما أفاء الله به من فتح أفريقية بالمغرب[٤].

وعزل زيد بن الأرقم عن أمانة بيت المال لإنكاره على عثمان إعطائه الأموال لبني أمية دون حق[٥].

وأعطى أبا سفيان مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال بعد أن زوّجه ابنته أمّ أبان وأعطى مروان خُمس الغنيمة.

وأتاه أبو موسى الأشعري بأموال جليلة من العراق فقسّمها في بني أميّة، وأنكح الحرث بن الحكم ابنته عائشة فأعطاه مائة ألف من بيت المال[٦].

وردّ الحكم بن أبي العاص وابنه مروان وأعطاه مائة ألف بعد أن نفاه رسول الله ﷺ عن المدينة، وافتتحت أرمينية في زمنه فأخذ خمسها كلّه ووهبه لصهره مروان[٧].

---

(١) أنساب الأشراف ٥ / ٥٢.
(٢) المصدر السابق ٥ / ٢٨.
(٣) شرح نهج البلاغة ١ / ٦٧.
(٤) شرح النهج ١ / ١٩٩.
(٥) تقريب المعارف، الحلبي ٢٣٠.
(٦) شرح النهج ١ / ٦٦.
(٧) الاستيعاب بهامش الإصابة ٢ / ٤١٤ الملل والنحل ٣٢، النهاية ٣ / ٣٨٩، شرح النهج ١ / ١٩٩.

الفصل الثالث:

عزل عثمان لبعض ولاة عمر

ومن الأعمال الخطيرة التي ارتكبها عثمان هـي عـزل بـعض الرؤوس المـهمّة والماكرة عن الولايات وهم من زعماء الحزب القرشي.

فعزل عمرو بن العاص سنة ٢٧ هجرية وعيّن بدله أخاه من الرضاعة عبدالله بن سعد بن أبي سرح[1].

وعزل أبا موسى الأشعري سنة ٢٩ هجرية عن البصرة وولّى بدله ابن خاله عبدالله بن عامر[2].

وعزل سعد بن أبي وقاص وعزل المغيرة بن شعبة.

ورغم الأعمال الفاضحة والفاسقة المرتكبة من قبل الوليد بن عقبة الأموي في الكوفة فقد عزله بأموي أكثر فسقاً منه وهو سعيد بن العاص[3].

---

(١) تاريخ خليفة ١ / ١٦٤، البداية والنهاية ٧ / ١٧٣.

(٢) تاريخ خليفة ١ / ١٦٧، البداية والنهاية ١٧٣.

(٣) تاريخ خليفة ١ / ١٦٩.

فأضحت المشكلة عويصة ولا مخرج منها؛ لأنّ ولاة عمر من زعماء الحـزب القرشي ومن أشدّ الناس مكراً وخداعاً ولا يتورّعون عن ارتكاب الكبائر المحرّمة في سبيل مصالحهم وأهوائهم.

وعندها اهتزّت أركان الحـزب القرشي الذي اعتمد عليه أبو بكر وعـمر في رئاستهما.

ومن الجانب الآخر تنكّر عثمان للأنصار وباقي المسلمين في المناصب الحكومية وفي قضية توزيع الأموال فساءت أحوال الدولة.

المغيرة بن شعبة

كان من أهل الدنيا وأهل السلطة زائغاً عن الحقّ منحرفاً عن الشرع بـائعاً دينه بأبخس الأسعار. فهو الذي دعا لترك جـثمان رسـول الله ﷺ والتـوجّه إلى السقيفة لاغتصاب السلطة[١].

فهو من الأشخاص المغمورين في زمن الحكم النـبوي والمـعروفين في زمـن حكم الحزب القرشي! وهو الذي أيّد عمر بن الخطّاب في مـنحاه لقـتل أبي بكـر والإستئثار بالسلطة.

وهو الذي حرّض عمر على الوصية لابنه عبدالله بن عمر فقال له عمر: قاتلك الله والله ما أردت الله بها ءأستخلف رجلاً لم يحسن أن يطلّق امرأته[٢].

ولمّا بايع عبدالرحمن بن عوف عثمان قال المغيرة لعثمان: لو بـايع عـبدالرحمـن

(١) راجع كتاب السقيفة للمؤلّف موضوع أحداث السقيفة.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣٤، البحار ٣١ / ٣٩٤، الشافي ٤ / ٢٠٢ـ٢٠٣، ٣ / ١٩٧.

غيرك ما رضينا. فقال عبدالرحمن: كذبت يا أعور! لو بايعت غير عثمان لبايعته ولقلت هذه المقالة[١].

بقي المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة، في سنة ٢٤، ٢٥، هجرية وفي سنة ٢٥ هجرية صدر أمر عثمان بإقالته من الولاية وتعيين الوليد بن عقبة بن أبي معيط، اليهودي الأصل[٢]، الذي نزلت في حقه آية:

﴿إِذَا جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾.

فأصبح المغيرة بن شعبة من المعادين لحكم عثمان بن عفان والساعين للإطاحة به،

ولمّا كان عمرو بن العاص من المطرودين من الولاية أيضاً في سنة ٢٧ هجرية فقد اجتمع هذان الماكران لإيجاد الفتنة في البلاد، والقضاء على عثمان.

ولم يخلد في ذهن هذا الماكر الكيد العثماني الأموي به بهذه الصورة المزرية لصالح أفراد بني أمية فقرر الانتقام.

فساهم المغيرة في قتل عثمان لاجل الدنيا الفانية لا لاجل المبادئ!

وختم أيامه بسبب أمير المؤمنين علي ﷺ حين كان واليا على الكوفة لمعاوية!

ثم استأجر المغيرة جماعة من الرجال بعثهم إلى معاوية يدعوهم إلى بيعة ابنه يزيد، فعرف معاوية مرام المغيرة وهو مثله وعلى منهجه فقال لابن المغيرة:

بكم اشترى أبوك دينهم؟[٣]

---

(١) البحار ٣١ / ٤٠٤.

(٢) البداية والنهاية ٧ / ١٧٣.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢١٤، تاريخ الطبري ٦ / ١٦٩.

موقف محمّد بن مسلمة الأنصاري

وكان وزيرا مهما في حكومة عمر الا أن عثمان عزله عن السلطة .

ذكر الثقفي في تاريخه، أنّ محمّد بن مسلمة الأنصاري قال يوم قتل عثمان: ما رأيت يوماً قطّ أقرّ للعيون ولا أشبه بيوم بدرٍ من هذا اليوم[1].

ولمّا قُتل عثمان كان عماله على الأمصار على مكّة علي بن عدي الأموي، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي، وعلى صنعاء يعلي بن منية، وعلى الجند عبدالله بن أبي ربيعة، وعلى البصرة عبدالله بن عامر بن كريز، وعلى الكوفة سعيد بن العاص، أُخرج منها فلم يدخلها، وكان يستخلف زيد بن ثابت على المدينة عند الحج[2]، ويولّيه القضاء.

وعلى مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح قدم على عثمان وغلب محمّد بن أبي حذيفة عليها، وكان عبدالله بن سعد استخلف على مصر السائب بن هشام بن عمرو العامري فأخرجه محمّد بن أبي حذيفة، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان.

وكتب السّري: مات عثمان وعلى الكوفة على صلاتها أبو موسىٰ وعلى خراج السواد جابر بن فلان المزني، وعلى آذر بيجان الأشعث بن قيس وعلى همذان النسير، وعلى الري سعيد بن قيس وعلى إصبهان السائب بن الأقرع وعلى قضاء عثمان زيد بن ثابت[3].

وكان عمر قد طلب منه إبقاء ولاته سنة في أماكنهم واستخدام سعد بن أبي

---

(١) البحار ٣١ / ٢٩١.

(٢) تاريخ خليفة العصفري ١٠٦.

(٣) تاريخ ابن جرير الطبري ٣ / ٤٤٥، ٤٤٦ حوادث سنة ٣٥ هجرية الكامل في التاريخ، بن الأثير ٣ / ١٨٦، ١٨٧.

وقّاص[١].

وطلب عمر من الخليفة القادم تولية سعد بن أبي وقّاص يعني تواطؤ عمر وعثمان وسعد على تولية عثمان الخلافة؛ لأنّ الإمام عليّاً لا يولي سعد على مصر من الأمصار وعثمان يوليه، وهذا دافع لسعد لمبايعة عثمان.

وهذا الشرط العمري يخلّ بحريّة البيعة وشعبيّتها ويجعلها مؤامرة مثل مؤامرة السقيفة!

ولكن عثمان عزل سعد بن أبي وقّاص في سنة ٢٥ هجرية وعيّن بدله الوليد بن عقبة، ثمّ عزل عثمان عمرو بن العاص في سنة ٢٧ هجرية وعيّن بدله عبدالله بن أبي سرح وكان أخا عثمان من الرضاعة[٢].

وفي سنة ٢٩ هجرية عزل عثمان أبا موسى الأشعري[٣] عن البصرة واستعمل عبدالله بن عامر وهو ابن خال عثمان[٤].

وفي سنة ٣٠ هجرية عزل عثمان الوليد بن عقبة وولّى بدله سعيد بن العاص الأموي.

وكان عمر قد قال في عثمان: والله لو فعلت (أي خلّفت عثمان) لجعل بني أبي معيط على رقاب الناس، يعملون فيهم بمعصية الله[٥].

وقال عمر مرّة أخرى عن عثمان: كلفٌ بأقاربه[٦]، ورغم ذلك عيّنه خليفة على

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ٧٩.
(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ٨٨.
(٣) الأثير ٣ / ٨٨.
(٤) المصدر السابق.
(٥) الاستيعاب ٣ / ٢١٦.
(٦) المبسوط، السرخسي ١١ / ٥٣، كنز العمال ٥ / ٧٣٨.

المسلمين!

وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمّه، وكان عامله على الكوفة فصلّى بهم الصبح أربع ركعات وهو سكران ثمّ التفت إليهم فقال: وإن شئتم زدتكم! فقامت عليه البيّنة بذلك عند عثمان، فقال لطلحة: قم فاجلده.

قال: لم أكن من الجالدين، فقام إليه عليّ عليه السلام فجلده[1].

قال ابن حجر: وخبر صلاته بهم وهو سكران، وقوله: أأزيدكم بعد أن صلّى الصبح أربعاً مشهور من حديث الثقات[2].

فكان من الطلقاء المستهزئين بالإسلام ومن أصل يهودي ومصرّاً على شرب الخمر علناً ونزلت فيه الآية القرآنية ﴿إِذَا جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[3].

وكان الأشعث بن قيس والياً لعثمان على آذر بيجان[4].

وقد أعطاه آذر بيجان طعمة له ولذريّته وأبطل ذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام[5].

وولّاه عثمان بعدما زوج ابنه من بنت الأشعث، وكانت ولايته من الأشياء التي عتب الناس فيها على عثمان[6].

وعزل عثمان بن عفان عمير بن سعد عن حمص وجمع الشام لمعاوية الأموي ونزع عمرو بن العاص عن مصر وأمّر عليها عبدالله بن أبي سرح الذي كان النبي صلى الله عليه وآله قد أفتى بقتله في فتح مكّة وإن كان متعلّقاً في أستار الكعبة، وعيّن مروان

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربه ٤ / ٢٨٨، مروج الذهب، المسعودي ٢ / ٣٦٩.

(٢) تهذيب التهذيب ٨ / ١٦٠.

(٣) الحجرات ٦.

(٤) العقد الفريد، ٤ / ٣٠٧.

(٥) البداية والنهاية ٧ / ٢٥٤.

(٦) الأخبار الطوال ١٥٦.

بن الحكم وزيراً له مطلق الصلاحيّات. فأصبح النظام الحاكم بيد الأمويين يديرونه مثلما تشتهي أهواؤهم وتدعوا له نزواتهم، فعاثوا في الأرض فساداً، وأكثروا في الناس قتلاً وظلماً فعادت إلى الأذهان أفعال أمية وأبي سفيان وأبي جهل وبعد ما فشل أبو سفيان الأموي في قتل المقداد بن عمرو وأبي ذر وابن مسعود في مكّة تمكّن عثمان من قتلهم في العصر الإسلامي!

فكثرت الشكوى وازداد البلاء وانتشرت المصائب الواردة بيد الأمويين، وضاعت حقوق المؤمنين، وأخليت خزينة المسلمين وخرّب الولاة الأمويون الأمصار الإسلامية فثار الناس في المدينة والكوفة، ومصر وحاصر الثوّار قصر عثمان بن عفان.

وكلّما ازداد الثوار في مطاليبهم أصّر عثمان على عناده، فلم يعزل لهم والياً أموياً ولم يُنحِّ مروان عن وزارته، ولم يعاقبهم، فعظمت الفتنة بأيدي الأمويين، وحاول معاوية استغلال الفتنة ورغب في مقتل عثمان ليكون ولي الدم.

فشجّع معاوية الداهية عثمان على رفض مطاليب الثوّار وفاتت على عثمان مكائد معاوية فلم يبق عند الثوّار إلّا طريقاً واحداً، فأقدموا عليه وهو قتل عثمان.

ولمّا قتلوا عثمان هاج معاوية ومروان وابن عقبة وسعيد بن العاص مطالبين بالثأر وهم الذين تسبّبوا في مقتله في الواقع.

وقد اتهم عبدالله بن أبي سرح والوليد بن عقبة معاوية بالتآمر لقتل عثمان.

والمرء يُعرف بأصحابه وهي قضية عقلية منطقية، فلا يمكن للرئيس التحلّي بالعدل والأخلاق وولاته يهضمون مال الله، ويقتلون عباد الله، ويخرّبون بلاد الله، وينسفون شريعة الله، بل يعتبر ذلك منه مكراً وخداعاً.

ومعظم السلاطين يتّصفون بهذه الصفات المتلوّنة والمنبوذة فالمسلمون لم يصبروا على قبائح ابن أبي سرح ومعاوية والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وعبدالله بن عامر ومروان وحمامات الدم التي أجروها وعثمان مصرّ على تربّع هؤلاء على رقاب المؤمنين.

ولم يتحمّل الصحابة قيادة عبدالله بن أبي سرح لأفريقيا كلّها وهو المدّعي لتحريف القرآن، والسارق لخمس المسلمين والظالم لحقوقهم، والمحارب لدينهم.

وبعد ثورة المسلمين عليه في مصر ومجيئهم إلى المدينة بقيادة محمّد بن أبي بكر تعهّد لهم عثمان بعزل ابن أبي سرح عن أفريقيا وفي السرّ كتب له رسالة بإبقائه في عمله ودعوته إيّاه لقتل محمّد بن أبي بكر وأصحابه.

ووقوع تلك الرسالة بيد الثوّار واعتراف حاملها غلام عثمان بذلك كان اسفيناً في نعش الدولة العثمانية.

فبنوا تيم يطالبون عثمان بدم أبي بكر وينتظرون منه التعويض عن ذلك، وإذا به يدبّر مؤامرة أخرىٰ لقتل ابنه محمّد بن أبي بكر، فطار صواب طلحة بن عبيدالله وعائشة وعبدالرحمن ومحمّد أولاد أبي بكر من أثر الصدمة.

فأفتت عائشة بقتله وذاعت الأحاديث النبوية في حقّه مثل تسمية الرسولﷺ له بنعثل اليهودي، وقاد طلحة الحصار عليه وختم أعماله بإرساله غلاميه إلى عثمان فذبحاه.

وأدرك مروان بن الحكم (صهر عثمان ووزيره) مؤامرة طلحة فصمّم على الثأر منه وفي معركة الجمل كان الإثنان في جيش الجمل يطالبان بدم عثمان! فسنحت

فرصة لمروان في المعركة فقتل طلحة[١].

وكان عمر بن الخطّاب قد قرّب زيد بن ثابت بصورة خطيرة فلمّا ذهب إلى الشام استخلفه على المدينة وكتب له من هناك رسالة مخالفة للعرف الإداري إذ قدّم اسم زيد بن ثابت على اسمه جاء فيها:

إلى زيد بن ثابت من عمر بن الخطّاب[٢].

أبو موسى الأشعري

أسلم أبو موسى الأشعري متأخّراً في السنة الثامنة الهجرية، وأصلة من اليمن[٣].

ويعتبر الأشعري من أعمدة الحزب القرشي الذين نجحوا في الوصول إلى الحكم في السقيفة، ولأنّه من غير قريش فلم يطمع في الخلافة وكان عنصراً فعّالاً في حكومة عمر بن الخطّاب إذ بقي والياً على البصرة طيلة مدّة حكم عمر ثم عزله عثمان فأصبح معارضا للنظام ثم أعاده الى ولاية الكوفة .

والأشعري أحد رجال العقبة الساعين لقتل رسول الله ﷺ في حملة تبوك[٤].

وقد فضحه بذلك عمّار بن ياسر وحذيفة بن اليمان.

ولأجل أعمال الأشعري المشهودة في دعم الحزب القرشي وقهر أعدائه المتمثّلين في أهل البيت ﷺ والأنصار فقد ولّاه عمر على البصرة.

---

(١) تاريخ خليفة العصفري ١٠٨، تهذيب التهذيب ٥ / ٢١، تاريخ الطبري ٣ / ٥١٩.

(٢) تاريخ خليفة ١ / ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥.

(٣) تاريخ دمشق، ٣٣ / ٨٣.

(٤) كنز العمال ١٤ / ٨٦ ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

وكانت البصرة تشمل خوزستان وفارس والمناطق الجنوبية من إيران.

وأظهرت قضية العقبة تضلّع الأشعري في عمليّات الاغتيال وعدم خوفه من ارتكاب الأفعال المنكرة.

وقال حذيفة نفسه: عندي أسرار لو قلتها لقتلوني قبل وصول يدي إلى فمي.

ولمّا فضح حذيفة بن اليمان أبا موسى الأشعري وأصحابه في قضية العقبة فقد عرّض نفسه للقتل وقد قال رسول الله ﷺ: يا حذيفة إنّك مقتول[1].

وفعلاً حدث ما قاله رسول الله ﷺ إذ قتل والي الكوفة أبو موسى الأشعري حذيفة بن اليمان.

وقال ابن عبد البر: روىٰ حذيفة في الأشعري كلاماً كرهت ذكره والله يغفر له، والكلام فيه أنّه عدو لله ورسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وكان حذيفة عارفاً بالمنافقين أعلمه النبي ﷺ أسماءهم[2].

وروىٰ الأشعري حديث الرسول ﷺ: لا ينفعك امر أمّتي حتى يبعثوا حكمين يَضِلان ويُضلان[3].

وكان علي ؑ يلعنهم اللهم العن معاوية أولاً وعمراً وأبا الأعور السلمي ثالثاً وأبا موسى الأشعري رابعاً[4].

وهو عند المعتزلة من أرباب الكبائر وحكمه حكم من واقع كبيرة ومات

(١) رجال الكشي ٧٧.

(٢) شرح النهج، المعتزلي: ١٣ / ٣١٥.

(٣) شرح النهج ١٣ / ٣١٥.

(٤) شرح النهج: ١٣ / ٣١٥.

عليها[١].

كان أبو موسىٰ قد قدم مكّة في الجاهلية، وحالف سعيد بن العاص بن أُميّة، وجاء مع قومه إلى المدينة أثناء وجود الرسول ﷺ في خيبر ليعلن اسلامه.

وكان من المقرّبين إلى عمر لذلك عيّنه والياً على البصرة ثمّ أوصىٰ إلى خليفته بابقاء أبي موسىٰ والياً على البصرة، ولكنّ عثمان لم يعمل بوصيّة عمر.

إذ جاء: «وعزله عن البصرة، وولاها عبدالله بن عامر بن كريز، فنزل أبو موسى حينئذٍ بالكوفة وسكنها، فلمّا دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص، ولّوا أبا موسى، وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يولّيه، فأقرّه عثمان على الكوفة إلى أن مات، وعزله علي عليه السلام عنها فلم يزل واجداً منها على علي»[٢].

وكان أبو موسىٰ قد جاء بأموال جليلة من العراق، فقسّمها كلّها عثمان في بني أُميّة[٣] ولم يعترض أبو موسىٰ علىٰ ذلك، في حين استعفىٰ زيد بن أرقم من عمله كأمين بيت المال احتجاجاً على إعطاء عثمان أموال كثيرة لأفراد بني أُميّة.

هذا في المدينة، وفي الكوفة استقال عبدالله بن مسعود لنفس السبب[٤].

وقد أفنىٰ أبو موسىٰ الأشعري (عبدالله بن قيس) عمره للعمل لصالح الحزب القرشي.

ووصفه معاوية بن أبي سفيان: بأنّه دعي الأشعريين[٥]. وقال عقيل بن أبي

(١) المصدر السابق.

(٢) الاستيعاب بهامش الاصابة، ابن عبد البر: ٣٧٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٩٩.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ٦٦، طبع مصر. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ٦٧.

(٥) السقيفة، سليم بن قيس: ١٧٦. العمال: ١٤ / ٨٦، المتقي الهندي طبع مؤسسة الرسالة ـ بيروت. والدعي هو اللقيط والمنتمي إلى قبيلة ليس منها.

طالب عنه: ابن السرّاقة[١].

وقد قال الإمام علي عليه السلام عنه: صُبغَ في العلم صبغة ثمّ خرج منه، وكان أبو موسى الأشعري من المنحرفين عن الإمام علي عليه السلام وقد جاء في مبغض علي عليه السلام من الحديث ما جاء[٢].

ولما جاء نبأ مقتل عثمان إلى أهل الكوفة قال هاشم (بن عتبة بن أبي وقاص) لأبي موسى الأشعري: تعال يا أبا موسى بايع لخير هذه الأمّة علي فقال: لا تعجل. فوضع هاشم يده على الأخرى فقال: هذه لعلي وهذه لي.

وقد بايعت الناس علياً عليه السلام وأنشده:

أبايع غير مكترث علياً	ولا أخشى أميراً أشعرياً
أبايعه واعلم أن سأرضي	بذاك الله حقاً والنبيا[٣]

وفي موضوع حذيفة بن اليمان ومعرفته بأسماء المنافقين وأحوالهم، ذكر حذيفة اسمه وأحواله فيهم، إذ ذكر العالم الأندلسي ابن عبدالبر في الاستيعاب قائلاً: «فقد روي فيه (الأشعري) لحذيفة كلام كرهت ذكره، والله يغفر له»[٤].

واستمرّ أبو موسىٰ معادياً لعلي عليه السلام فقد ثبّط الناس عن الحرب مع علي عليه السلام في معركة الجمل، ودعا إلى خلعه عليه السلام في قضية الحكمين[٥].

وقد خلعه الإمام علي عليه السلام عن ولاية الكوفة لنفاقه، وقال له الأشتر: وكتب إليه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أيضاً: «فإنك امرؤ ضلّلك الهوىٰ، واستدرجك

---

(١) البحار: ٣٨ / ١١٣، وقد كانت أمّه معروفة بالسرقة.

(٢) يا علي لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق، صحيح مسلم، كتاب الايمان: ١ / ١٢٠.

(٣) الإصابة، ابن حجر العسقلاني: ٣ / ٥٩٢.

(٤) الاستيعاب بهامش الاصابة، ابن عبد البر: ٣٧٢.

(٥) تاريخ الطبري: ٤ / ٤٩، ٥٠.

الغرور»[١]. فوالله إنّك لمن المنافقين قديماً[٢]

وقال الأشعث بن قيس ومن ارتد بعد ذلك إلى رأي الخوارج: رضينا نحن بأبي موسى الأشعري.

فقال علي ﷺ: قد عصيتموني في أوّل هذا الأمر فلا تعصوني الآن، إني لا أرى أولي أبا موسى الأشعري.

فقال الأشعث ومن معه: لا نرضى إلّا بأبي موسى الأشعري.

قال ﷺ: ويحكم هو ليس بثقة، قد فارقني وخذّل الناس منّي وفعل كذا وكذا وذكر أشياء فعلها أبو موسى، ثمّ إنّه هرب شهوراً حتى أمنته[٣]. وكان يعمر يحبّه رغم هذا.

عن الشعبي: كتب عمر في وصيته لا يقرّ لي عامل أكثر من سنة، واقرّ الأشعري على البصرة أربع سنين[٤].

وقال ابن الكلبي: ولّاه عمر على صدقات جهينة، وقال غيره: كان عند عمر معد لكشف الأمور المعضلة في البلاد وعندما أبطأ خبر عمر على أبي موسى الأشعري، ذهب الأشعري إلى امرأة في بطنها شيطان ليسألها عن عمر[٥].

عمرو بن العاص

كان ابن العاص من أعمدة الحزب القرشي في الجاهلية وسفيرهم إلى ملك

---

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربه الاندلسي: ٤ / ٣٢٥.

(٢) تاريخ الطبري: ٣ / ٥٠١.

(٣) مروج الذهب، المسعودي: ٢ / ٣٩١.

(٤) الاصابة: ٢ / ٣٦٠، الطبقات ابن سعد: ٥ / ٤٥.

(٥) تاريخ السيوطي: ص ١٢١.

الحبشة وهو من الجناح العمري الأموي في الحزب القرشي.

وكان ابن العاص وأبوه من أشدّ المحاربين لله ورسوله في الجاهلية والإسلام.

وكان قائداً لأحد جيوش الشام.

ولم يحصل على وظيفة أعلى من ذلك في زمن حكومة أبي بكر فكان من المترقّبين والمنتظرين وفاة أبي بكر لترتفع منزلته في الدولة.

ولمّا نجح الحزب العمري في اغتيال أبي بكر في سنة ١٣ هجرية وصل ابن العاص إلى مرتبة حكومية عالية تمثّلت في ولايته لأفريقيا!

ولو وصل أبو سفيان وأبو جهل إلى زعامة الدولة لمّا أعطي ابن العاص منزلة أعلى من تلك الوظيفة الراقية وقد فتحت مصر في سنة ٢٠ هجرية[١].

وبقي حاكماً على أفريقيا طيلة بقاء عمر بن الخطاب في السلطة ممّا تسبّب في زيادة تعلّقه بتلك القارة!

واستمراراً لوصية عمر بن الخطّاب فقد أبقاه عثمان والياً على أفريقيا في سنوات ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧ هجرية[٢].

ولمّا استتبّ الحكم لعثمان قرّر عزل ولاة الحزب القرشي لصالح الأمويين، وفعلاً صدر القرار العثماني بعزل ابن العاص وتولية عبدالله بن سعد بن أبي سرح والياً على أفريقيا.

ولا يختلف ابن سرح وابن العاص في محاربتهما السابقة للنبيﷺ ودخولهما المزيّف في الإسلام.

واشترك عمرو بن العاص في إجهاض زينب ربيبة رسول اللهﷺ أثناء

---

(١) إعانة الطالبين، الدمياطي ٣ / ٣١٣.

(٢) شذرات الذهب ١ / ١٨٨.

هجرتها إلى المدينة[1].

ثمّ ساهم ابن العاص في الهجوم على فاطمة بنت محمّد ﷺ بعد حادثة السقيفة متسبّباً في مصرعها وإجهاض ابنها محسن[2].

وهاجم ابن العاص الأنصار بعد حادثة السقيفة فكرّر مواقفه السابقة في معاداته أهل البيت ﷺ والأنصار واستمرّ في مواقفه المنكرة إلى نهاية عمره الطويل[3].

ولمّا طرد عثمان عمرو بن العاص من ولاية أفريقيا استشاط عمرو غضباً وانضمّ إلى صفوف المعارضة الداعين إلى عزل عثمان وقتله!

ومن الطبيعي إقدام ابن العاص على هذه الأفعال التي اعتادت عليها نفسه والعتب ليس عليه بل على عمر وعثمان الذين عملا سنوات طويلة معه في مكّة والمدينة وولّياه وظيفة رفيعه المستوى.

فمثل ابن العاص لا يعمل الأفعال الطيّبة ولا يفي لأصحابه بل اعتادت سريرته على الغدر والخيانة بحقّ أقرب مقرّبيه.

وكانت نفوس رجال الحزب القرشي مجبولة على معاداة الإسلام وبغض محمّد وآل محمّد ﷺ والحقد على الأنصار وزعيمهم سعد بن عبادة ومتعوّدة على كره المخلصين مثل أبي ذر، وعمّار، والمقداد، وسلمان الفارسي، وعبدالله بن مسعود، وحذيفة، وخالد بن سعيد، وأُبيّ بن كعب.

وسوف تقرأ في صفحات هذا الكتاب إقدام عثمان على قتل هؤلاء بعد اغتيال

(١) شرح النهج ٦ / ٢٨٢.

(٢) وقعة صفين، المنقري ١٦٣.

(٣) المعارف، ابن قتيبة ١٢٥.

عمر لأبي بكر.

ولمّا عزل عثمان عمرو بن العاص سكن الأخير في المدينة وفيها بدأ تخطيطه لعزل عثمان وقتله بالتعاون مع رموز الحزب القرشي المعارضين لعثمان مثل المغيرة بن شعبة وعائشة وطلحة بن عبيدالله.

ولمّا أفلحوا في اغتيال عثمان في بيته قال عمرو بن العاص: إنّي إذا نكأت قرحة أدميتها[1].

وذكر الثقفي في تاريخه: جاء عمرو بن العاص فقال لعثمان: إنّك ركبت من هذه الأمّة النّهابير وركبوها بك، فاتّق الله وتب إليه.

فقال: يا بن النابغة قد تبتُ إلى الله وأنا أتوب إليه، أما إنّك ممّن يؤلب عليّ ويسعى في الساعين، قد لعمري أضرمتها، فأسعر وأضرم ما بدا لك، فخرج عمرو حتى نزل في أدنى الشام[2].

وقال ابن العاص عن عثمان: إنّه استأثر بالفيء فأساء الإثرة، واستعمل أقواماً لم يكونوا بأهل العمل من قرابته وآثرهم على غيرهم، فكان في ذلك سفك في دمه وانتهاك حرمته.

ومن معاجز سيد الرسل ﷺ انه فضح عثمان وآله المنتمين الى أبي العاص وبين طغيانهم الخطير على الامة وفتنتهم المدهشة .

قال خاتم الرسل ﷺ: لو بلغ آل أبي العاص (عائلة عثمان) ثلاثين رجلاً اتّخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً ودينه دخلاً[3].

---

(١) تقريب المعارف ٢٤٣.

(٢) تقريب المعارف ٢٨٢، البحار ٣١ / ٢٩٠.

(٣) دولاً أي يكون لناس دون ناس. والخول الخدم والعبيد، والدخل العيب والفساد والغش والفشي والمراد هنا إدخالهم في

وذكر الواقدي في تاريخه: إنّ عثمان عزل عمرو بن العاص عن مصر واستعمل عليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح، فقدم عمرو المدينة، فجعل يأتي عليّاً عليه السلام فيؤلبه على عثمان، ويأتي الزبير ويأتي طلحة، وإذا لقي الركبان يخبرهم بأحداث عثمان، فلمّا حصر عثمان الحصار الأوّل خرج إلى أرض فلسطين، فلم يزل بها حتى جاءه خبر قتله، فقال:أنا أبو عبدالله، إنّي إذا أحلّ قرحةً نكأتها، إنّي كنتُ لأُحرّض عليه، حتى أنّي لأُحرّض عليه الراعي في غنمه، فلمّا بلغه بيعة الناس عليّاً عليه السلام كره ذلك وتربّص حتى قُتل طلحة والزبير، ثمّ لحق بمعاوية[1].

اعتراض ابن العاص وابن مسلمة

قال ابن مسعود لعبدالرحمن في أحداث عثمان: هذا ممّا عملت.

فقال عبدالرحمن: قد أخذت إليكم بالوثيقة فأمركم إليكم.

وقال علي عليه السلام لعبدالرحمن بن عوف: هذا عملك.فقال عبدالرحمن: فإذا شئت فخذ سيفك وآخذ سيفي[2]، وجاء عمرو بن العاص فقال لعثمان: إنّك ركبت من هذه الأمّة النهابير[3]. وركبوها بك، فاتّق الله وتب إليه.

فقال: يا ابن النابغة! قد تبت إلى الله وأنا أتوب إليه، أمّا إنّك ممّن يؤلّب علـيّ

الدين أموراً لم تجرّبها السنّة، النهاية ابن الأثير، مسند أحمد بن حنبل ٣ / ٨، من مسند أبي سعيد الخدري، كنز العمال ١١ / ١٦٥، البحار ٢٢ / ٤٢٧، العمدة، بن بطريق ٤٧٢ ح ٩٩٣، الفائق ١ / ٤٢٠.

(١) تقريب المعارف ٢٨٣، البحار ٣١ / ٢٩١.

(٢) أخرجه البلاذري في الأنساب ٥ / ٥٧، وقريب منه ما ذكره أبو الفداء في تاريخه ١ / ١٦٦، وابن عبدالبرّ العقد الفريد ٢ / ٢٥٨، ٢٦١، ٢٧٢، وانظر ما أورده الطبري ٥ / ١١٣، وابن الأثير، الكامل ٣ / ٧٠، وابن كثير في تاريخه ٧ / ٢٠٦ وابن أبي الحديد في شرحه ١ / ٣٥، ٦٣، ٦٦، ١٦٦، وابن قتيبة في المعارف: ٢٣٩.

(٣) النهابير: المهالك، الواحدة نهبرة ونهبورة، قاله في القاموس ٢ / ١٥١.

ويسعىٰ في الساعين، قد ـ لعمري ـ أضرمتها فاسعر وأضرم ما بدا لك.

فخرج عمرو حتىٰ نزل في أداني الشام[1].

وإنّ عمرو بن العاص ذكر عثمان، فقال: إنّه استأثر بالفيء فأساء الإثرة واستعمل أقواماً لم يكونوا بأهل العمل من قرابته وءاثرهم على غيرهم، فكان في ذلك سفك دمه وانتهاك حرمته. وقام عمرو إلى عثمان، فقال: اتّق الله يا عثمان! إمّا تعدل وإمّا أن تعتزل!.. فلمّا أن نشب الناس في أمر عثمان تنحّىٰ عن المدينة وخلف ثلاثة غلمة له ليأتوه بالخبر، فجاء إثنان بحصر عثمان، فقال: إنّي إذا نكأت قرحة أدميتها، وجاء الثالث بقتل عثمان وولاية علي عليه السلام، فقال: واعثماناه! ولحق بالشام.

وذكر الواقدي في تاريخه أنّ عثمان عزل عمرو بن العاص عن مصر واستعمل عليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح، فقدم عمرو المدينة فجعل يأتي عليّاً عليه السلام فيؤلبه على عثمان، ويأتي الزبير ويأتي طلحة ويلقىٰ الركبان يخبرهم بإحداث عثمان. فلمّا حصر عثمان الحصر الأوّل خرج إلى أرض فلسطين، فلم يزل بها حتىٰ جاءه خبر قتله، فقال: أنا أبو عبدالله أني إذا أحلّ قرحة نكأتها، إنّي كنت لأحرص عليه حتىٰ أنّي لأحرص عليه من الراعي في غنمه، فلمّا بلغه بيعة الناس عليّاً عليه السلام كره ذلك وتربّص حتىٰ قتل طلحة والزبير ثمّ لحق بمعاوية.

---

(١) وقد أورده باختلاف في التعبير الطبري في تاريخه ٥ / ١١٠، ١١٤، والبلاذري في الأنساب ٥ / ٧٤، وابن عبدالبرّ في الاستيعاب في ترجمة عثمان، وابن الأثير في الكامل ٣ / ٦٨، وابن أبي الحديد في شرحه ٢ / ١١٣، والزمخشري في الفائق ٢ / ٢٩٦، وابن الأثير في النهاية ٤ / ١٩٦، وابن كثير في التاريخ ٧ / ١٥٧، وابن خلدون في تاريخه ٢ / ٣٩٦، والزبيدي في تاج العروس ٣ / ٥٩٢، وابن منظور في لسان العرب ٧ / ٩٨.

الباب الثاني:

وقائع الثورة



الفصل الأوّل:

المواقف والرسائل

رسالة الصحابة الخطيرة لعثمان

كتب المقداد بن عمرو وعمار بن ياسر وطلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وآخرون من صحابة رسول الله ﷺ رسالة إلى عثمان بن عفّان بيّنوا فيها أخطاءه وخوّفوه ربه وأعلموه أنّهم مواثبوه إن لم يقلع عن أفعاله، وبيّنوا مخالفاته لرسول الله ﷺ. فأخذ عمار الكتاب وأتاه به فقرأ صدراً منه، فقال له عثمان: أعليّ تقدم من بينهم؟ فضربه عثمان بنفسه وفتق بطنه![1]

وكتابة هذه الرسالة الحادّة والمحذّرة من قبل جماعة مختلفة الأفكار والأهداف يبيّن عظم الخطب الذي عاشته الأمّة الإسلامية آنذاك وفداحة الأمر الذي لولاه ما اجتمع صحابة رسول الله. ويظهر هذا نضج الحالة السياسية عند الصحابة الدافع لهم نحو نصح الرئيس وتحذيره من خطورة الواقع.

---

(١) أنساب الأشراف، البلاذري ٥ / ٤٩، شرح النهج ١ / ٢٣٩، الإمامة والسياسة ١ / ٢٩، العقد الفريد ٢ / ٢٧٢.

لكنّ عثمان لم يأبه بإنذارهم ولم يهتمّ لمشروعهم وتصرّف معهم تصرّف قيادات مكّة مع المسلمين الجدد.

فقُتل أولئك الرؤساء وقُتل عثمان بأيدٍ واحدة في قرن زمني واحد!!

ومنهم: أبو أيّوب الأنصاري البدري، فقد ذكر له أصحاب السير[1] خطبة شريفة أشاد فيها بأبي الحسن سلام الله عليه وذمّ فيها من سبقه.

ومنهم: قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري البدري. فقد أورد له الطبري[2]، خطبة بمصر في أخذ البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام. وفيها: الحمد لله الذي جاء بالحقّ وأمات الباطل، وكبت الظالمين. أيّها الناس! إنّا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمّد نبيّنا صلى الله عليه وآله.. وله رسائل مع معاوية، ومحاورات مع صحبه، وخطب في صفين كلّها صريحة في هذا[3].

ومنهم: فروة بن عمرو بن ودقة البياضي الأنصاري البدري، وكان ممّن أعان على قتل عثمان، وقد أخرج له مالك في الموطّأ حديثاً في باب العمل في القراءة باسم البياضي[4].

ومنهم: محمّد بن عمرو بن حزم أبو سليمان الأنصاري، قال أبو عمرو في الاستيعاب في ترجمته: يقال: إنّه كان أشدّ الناس على عثمان المحمّدون؛ محمّد بن أبي بكر، محمّد بن أبي حذيفة، محمّد بن عمرو بن حزم.

ومنهم: عبدالله بن عباس حبر الأمّة، وقد كان في واقعة الدار أميراً للحاجّ في

---

(١) كما في جمهرة الخطب ١ / ٢٣٦، والإمامة والسياسة ١ / ١١٢.

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ٢٢٨، وابن الأثير في الكامل ٣ / ١١٥، وابن أبي الحديد في الشرح ٢ / ٢٣.

(٣) كتاب صفين لابن مزاحم: ٥١١، الإمامة والسياسة ١ / ٩٤(١ / ٨٣، جمهرة الخطب ١ / ١٩٠، شرح ابن أبي الحديد ٢ / ٢٣، ٢٥، ٢٩٨، تاريخ الطبري ٥ / ٢٢٧، ٢٣١، الكامل لابن الأثير ٣ / ١١٦، النجوم الزاهرة ١ / ٩٩.

(٤) وترجمه في أسد الغابة ٤ / ١٧٩، والإصابة ٣ / ٢٠٤، وشرح الموطّأ للزرقاني ١ / ١٥٢.

سنته تلك، ومع ذلك فهو ممّن قال فيه معاوية ـ كما في شرح النهج لابن أبي الحديد ٤ / ٥٨: لعمري لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضا، وأن يكون رأياً صواباً، فإنّك من الساعين عليه، والخاذلين له، والسافكين دمه.. وانظر جوابه له، وما ذكره أبو عمر في الاستيعاب في ترجمة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في عثمان عندما سئل عنه قال: ألهته نومته عن يقظته، بل لم يحرض الحاج على نصرة الخليفة عندما حوصر في الدار واستنجد بهم واستغاث في كتاب قرأه عليهم نافع بن طريف، وكأنّ عائشة شعرت منه ذلك فقالت يوم مرّ بها ابن عباس في منزل من منازل الحجّ: يا ابن عباس! إنّ الله قد آتاك عقلاً وبياناً، فإيّاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية[1].

ومنهم: عمرو بن العاص! فقد كان والياً لعثمان على مصر فعزله[2].

ولنختم القول فيه بما أورده الطبري في تاريخه ٥ / ٢٣٤، من طريق الواقدي قال: لمّا بلغ عمرواً قتل عثمان قال: أنا أبو عبدالله قتلته وأنا بوادي السباع، من يلي هذا الأمر من بعده؟ إن يله طلحة فهو فتىٰ العرب سيباً، وإن يليه ابن أبي طالب فلا أراه إلّا سيستنظف الحقّ! وهو أكره من يليه إليّ.

ومنهم: أبو الطفيل عامر بن واثلة الصحابي[3].

---

(١) الطبقات، ابن سعد ٥ / ٢٥، والأنساب، البلاذري، والإمامة والسياسة، وتاريخ الطبري، وابن عساكر، وأبي الفداء، والعقد الفريد ٢ / ٢٦٧ وغيره من مصادر مرّت في نكيرها لعثمان.

(٢) وأخرج الطبري في تاريخه ٥ / ١٠٨، ٢٠٣، والبلاذري في الأنساب ٥ / ٧٤، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١ / ٤٢، وابن عبدالبرّ في الاستيعاب في ترجمة عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وابن أبي الحديد في شرحه ١ / ٦٣، والإصابة ٣ / ٣٨١، وأجمله ابن كثير في تاريخه ٧ / ١٧٠، وغيرهم محاورة له مع الخليفة جديرة بالمراجعة لمعرفة بواطن الأمور وسرائر القوم. وله ترجمة مفصّلة في الغدير ٢ / ١١٧ ـ ١٧٦.

(٣) فقد ذكر المسعودي في مروج الذهب ٢ / ٦٦، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١ /ج ١٥٨، وابن عساكر في تاريخه ٧ / ٢٠١، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ١٣٣ وغيره موقف رائع له مع معاوية.

ومنهم: مالك الأشتر بن الحارث.

ومنهم: عبدالرحمن بن أبي بكر.

ومنهم: المسوّر بن مخرمة. فقد ذكر البلاذري في الأنساب ٥ / ٤٦، ما كتبه عثمان لهؤلاء الثلاثة وأصحابهم داعيهم للطاعة وترك الفرقة، وجوابهم له بعنوان: الخليفة المبتلىٰ الخاطىء الحائد عن سنّة نبيّه، النابذ لحكم القرآن وراء ظهره.

ومنهم: أبو القاسم محمّد بن أبي حذيفة العبشمي، وكان من أشدّ الناس تأليباً على عثمان، وكان يقول: يا أهل مصر! إنّا خلّفنا الغزو وراءنا، يعني غزو عثمان.. إلى غير ذلك ممّا أورده البلاذري[1].

ومنهم: كميل بن زياد بن نهيك النخعي.

ومنهم: عمرو بن زرارة النخعي فقد أورد البلاذري[2]. أنّهما أوّل من دعا إلى خلع عثمان، وقال الأخير: أيّها الناس إنّ عثمان قد ترك الحقّ وهو يعرفه، وقد أغرىٰ بصلحائكم يولي عليهم شراركم، وهو ممّن سيّره عثمان من أهل الكوفة إلى دمشق، وصرّح بذلك[3].

ومنهم: عبادة بن الصامت الأنصاري[4]. في حديث طويل جاء في آخره.. فلم يفجأ عثمان إلّا وهو قاعد في جنب الدار، فالتفت إليه فقال: يا عبادة بن الصامت! ما لنا ولك!، فقام عبادة بين ظهري الناس، فقال: سمعت رسول الله أبا القاسم محمّداً ﷺ يقول: إنه سيلي أموركم بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون وينكرون

(١) الأنساب، البلاذري ٥ / ٤٩ ـ ٥١، وابن كثير في تاريخه ٧ / ١٥٧، والطبري في تاريخه ٥ / ١٠٩، وابن عبدالبرّ في الاستيعاب ١ / ٢٣٣، وابن الأثير في الكامل ٣ / ٦٧، وابن حجر في الإصابة ٣ / ٣٧٣، وغيرهم.

(٢) الأنساب، البلاذري ٥ / ٣٠.

(٣) أسد الغابة ٤ / ١٠٤، والإصابة ١ / ٥٤٨ و ٢ / ٥٣٩ وغيرهم.

(٤) روىٰ أحمد بن حنبل في مسنده ٥ / ٣٢٥.

عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصىٰ الله تبارك وتعالىٰ. ويكون عبادة كأبي ذرّ رحمهما الله من القوّالين بالحقّ الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ولم تأخذهم في الله لومة لائم أبداً. وقد أُوذوا في سبيل الله وظلموا ظلماً شديداً.

ومنهم: صعصعة بن صوحان. فقد روىٰ ابن عساكر في تاريخه ٦ / ٤٢٤ اعتراضه على عثمان، وأنّه مال عن الحقّ.

ومنهم: حكيم بن جبلّة العبدي. كان أحد زعماء الثائرين على عثمان من أهل البصرة، وممّن يعيب على عثمان[1].

ومنهم: هشام بن الوليد المخزومي. صرّح ابن حجر في الإصابة ٣ / ٦٠٦ بمناوءته للسلطة الحاكمة، وإنشاده الشعر في الخليفة، ودفاعه عن عمّار عند ضربه.

ومنهم: حجر بن عديّ الكوفي وصحبه رضوان الله عليهم. وهم القائلون عن عثمان أنّه: هو أوّل من جار في الحكم وعمل بغير الحقّ،كما جاء في واقعة طويلة[2].

ومنهم: جهجاه بن سعيد الغفاري الصحابي ممّن بايع تحت الشجرة، وقد خاطبه في المسجد بأبشع القول وأقذع الكلام، وسمّاه: نعثلاً[3].

ومنهم: قيس بن قهدان، وهو القائل:

أقسم بالله ربّ البيت مجتهداً ... أرجو الثواب به سرّاً وإعلاناً

---

(١) مروج الذهب ٢ / ٧، ودول الإسلام للذهبي ١ / ٧، وكتاب صفين: ٨٢، والاستيعاب ١ / ١٢١، وشرح ابن أبي الحديد ١ / ٢٥٩.

(٢) ذكرها الطبري في تاريخه ٦ / ١٤١ ـ ١٦٠، وابن عساكر في تاريخه ٢ / ٣٧٠ ـ ٣٨١، وابن الأثير في الكامل ٣ / ٢٠٢ ـ ٢١٠، وابن كثير في تاريخه ٨ / ٤٩ ـ ٥٥، وأبو الفرج في الأغاني ٢١٦ وغيرهم.

(٣) كما صرّح بذلك البلاذري في الأنساب ٥ / ٤٧، وذكر ذلك في ترجمته في الاستيعاب، والإصابة ١ / ٢٥٣، وتاريخ الخميس ٢ / ٢٦٠، والرياض النضرة ٢ / ١٢٣، ونصّ عليه أهل السير والتاريخ كابن الأثير في الكامل ٣ / ٧٠، والطبري في التاريخ ٥ / ١١٤، وابن كثير في كتابه ٧ / ١٧٥.

لأخـــلعنّ أبـــا وهب وصـــاحبه　　　كهف الضلالة عثمان بـن عـفّانا[١]

ثمّ أطبق أهل الأمصار وقطان المدينة من المـهاجرين والأنـصار ـ إلّا النـفر الذين اختصّهم عثمان لنفسه وآثرهم بالأموال كزيد بن ثابت وحسّان بـن ثـابت وسعيد بن العاص وعبدالله بن الزبير ومروان وعبدالله بن عمر ـ على حـصره في الدار ومطالبته بخلع نفسه من الخلافة أو قتله إلى أن قتلوه عـلى الإصرار إلى مـا أنكروا عليه ومن ظفروا به في الحال من أعوانه. وأقام ثلاثاً لا يتجاسر أحد من ذويه أن يصلّي عليه ولا يدفنه خوفاً من المسلمين إلى أن شـفّعوا إلى عـليّ عليه السلام في دفنه. فأذن في ذلك على شرط أن لا يدفنوه في مقابر المسلمين. فـحمل إلى حَشّ كوكب مقبرة اليهود. ولمّا أراد النفر الذين حملوه الصـلاة عـليه مـنعهم مـن ذلك المسلمون ورجموهم بالأحجار. فدفن بغير صلاة. ولم يزل قبره منفرداً من مـقابر المسلمين إلى أن ولي معاوية فأمر بأن يدفن الناس من حوله حتىٰ اتّصل المـدفن بمقابر المسلمين. ولم يسأل عنه أحد من بعد القتل من وجوه المهاجرين والأنصار كعلي عليه السلام وعمار ومحمد بن أبي بكر وغيرهم وأماثل التابعين إلّا قال: قتلناه كافراً.

وهذا الذي ذكرناه من اعتراض الصحابة والتابعين على عثمان موجود في جميع التواريخ وكتب الأخبار. ولا يختلف في صحّة مخالط الأهل والسـير والآثـار. وإنّ أحسن الناس كان فيه رأياً من أمسك عن نصرته ومـعونة المـطالبين له بـالخلع. وكفّ عن النكير عنه وعنهم كما ذكرناه من مواليه وبني أميّة. ومن عداهم بين قاتل ومعاون بلسانه أو بيده أو بهما. ومعلوم تخصّص قاتليه بـولاية عـلي عليه السلام وكـونهم بطانة له وخواصّاً كمحمّد بن أبي بكر وعمار بن يـاسر والأشـتر وغـيرهم مـن

(١) أسد الغابة ٤ / ١٠٤، والإصابة ١ / ٥٤٨، والأنساب ٥ / ٣٠.

المهاجرين والأنصار وأهل الأمصار، وتولّي الكافة لهم تولّي الصالحين والمنع منهم بالأنفس والأموال وإراقة الدماء في نصرتهم والذّب عنهم ورضاهم بعليّ‌عليه السلام مع علمهم برأيه في عثمان والتأليب عليه وتولّي الصلاة ـ وهو محصور ـ بغير أمره، واتّخاذه مفاتيح لبيوت الأموال، واتّخاذ قتلته أولياء خاصّة أصفياء، وإطباقهم على اختياره وقتالهم معه والدفاع عنه وعنهم، واستفراغ الوسع في ذلك، وعدم نكير من أحد من الصحابة أو التابعين يعتدّ بنكيره، ثمّ اشتهر التديّن بتكفير عثمان بعد قتله وكفر من تولّاه من عليّ‌عليه السلام وذريته وشيعته ووجوه الصحابة والتابعين إلى يومنا هذا، وحفظ عنهم التصريح بذلك بحيث لا يحتاج إلى ذكره، غير أنّ في ذكره إيناساً للبعيد عن سماع العلم، وتنبيهاً للغافل من سنة الجهل.

فمن ذلك ما رووه من طرقهم[1]. أنّ علياً‌عليه السلام خطب الناس بعد قتل عثمان فذكر أشياءً قد مضىٰ بيانها، من جملتها قوله‌عليه السلام سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همّته بطنه وفرجه، ويله! لو قصّ جناحاه وقطع رأسه كان خيراً له، شغل عن الجنّة والنار أمامه.

وسأل رجل علياً‌عليه السلام عن عثمان، فقال: وما سؤالك عن عثمان؟ إنّ لعثمان ثلاث كفرات، وثلاث غدرات، ومحلّ ثلاث لعنات، وصاحب بليّات، لم يكن بقديم الايمان ولا ثابت الهجرة، وما زال النفاق في قلبه، وهو الذي صدّ الناس يوم أحد..

وذكر الثقفي في تاريخه، قال: أتيت علياً‌عليه السلام في الرحبة، فقلت: يا أمير المؤمنين! حدّثنا عن عثمان؟

قال: أدن. فدنوت، قال: ارفع صوتك. فرفعت صوتي، قال: كان ذا ثلاث

---

(١) أنظر لمزيد الاطّلاع كتاب الغدير ٩ / ٦٩ـ ٧٧.

كفرات، وثلاث غدرات، وفعل ثلاث لعنات، وصاحب بليّات، ما كان بقديم الإيمان ولا حديث النفاق، يجزي بالحسنة السيّئة[1].

وذكر في تاريخه، عن حكيم بن جبير، عن أبيه، عن أبي إسحاق ـ وكان قد أدرك عليّاً ـ، قال: ما يزن عثمان عند الله ذباباً. فقال: ذباباً؟! فقال: ولا جناح ذباب، ثمّ قال: ﴿وَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[2].

قال: سمعت عليّاً يقول: أنا يعسوب المؤمنين وعثمان يعسوب الكافرين.

وقال هبيرة بن مريم، كنّا جلوساً عند علي، فدعا ابنه عثمان، فقال له: يا عثمان! ثمّ قال: إنّي لم أسمّه باسم عثمان الشيخ الكافر، إنّما سمّيته باسم عثمان بن مظعون.

وذكر في تاريخه، من عدّة طرق، أنّ عليّاً كان يستنفر الناس ويقول: انفروا إلى أئمّة الكفر وبقيّة الأحزاب وأولياء الشيطان، انفروا إلى من يقول كذب الله ورسوله، انفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا، والله إنّه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيء[3].

وعن عمر بن هند عن علي، أنّه قال: لا يجتمع حبّي وحبّ عثمان في قلب رجل إلّا اقتلع أحدهما صاحبه.

وروىٰ فيه من طرق: أنّ جيفة عثمان بقيت ثلاثة أيّام لا يدفن، فسأل عليّاً رجال من قريش في دفنه فأذن لهم على أن لا يُدفن مع المسلمين في مقابرهم ولا يصلّىٰ عليه، فلمّا علم الناس بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة، فخرجوا به

(١) هذا استمرار كلام أبي الصلاح الحلبي في تقريب المعارف (في الكلام) من القسم الذي لم يطبع.

(٢) الكهف: ١٠٥.

(٣) قريب ممّا ذكره أبو الصلاح في التقريب عن الثقفي ما أورده ابن أبي الحديد في شرحه للنهج ١ / ١٧٩، أربع مجلّدات.

يريدون به حشّ كوكب مقبرة اليهود، فلمّا انتهوا به إليهم رجموا سريره.

وروىٰ فيه من طرق، عن علي عليه السلام، أنّه قال: من كان سائلاً عن دم عثمان فإنّ الله قتله وأنا معه.

وقال: كان الحسن بن علي عليهما السلام يقول: معشر الشيعة! علّموا أولادكم بغض عثمان، فإنّه من كان في قلبه حبّ لعثمان فأدرك الدجّال آمن به، فإن لم يدركه آمن به في قبره.

ورووا عن الحسين بن علي عليهما السلام، قال:: إنّا وبني أمية تعادينا في الله فنحن وهم كذلك إلى يوم القيامة، فجاء جبرئيل عليه السلام براية الحقّ فركّزها بين أظهرنا وجاء إبليس براية الباطل فركزها بين أظهرهم، وإنّ أوّل قطرة سقطت على وجه الأرض من دم المنافقين دم عثمان بن عفّان.

وروىٰ فيه عن الحسين عليه السلام: أنّ عثمان جيفة على الصرط من أقام عليها أقام على أهل النار، ومن جاوزه جاوز إلى الجنّة.

وروىٰ فيه عن حكيم بن جبير، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله: أنّ عثمان جيفة على الصراط يعطف عليه من أحبّه ويجاوزه عدوّه.

وعن محمّد بن بشر، سمعت محمّد بن الحنفية يلعن عثمان ويقول: كانت أبواب الضلالة مغلقة حتىٰ فتحها عثمان.

وقال لا تكون حرب سالمة حتىٰ يُبعث قائمنا ثلاثة أراكيب في الأرض تمون مماليك أهل الذمّة، وركب يردّون المظالم، وركب يلعنون عثمان.

وقال: سمعت عمار بن ياسر يقول: ثلاث يشهدان على عثمان بالكفر وأنا الرابع.

وقال: قلت لزيد بن أرقم: بأيّ شيء كفرّتم عثمان؟. قال: بثلاث، جعل المال دولة بين الأغنياء، وجعل المهاجرين بمنزلة من حارب الله ورسوله ﷺ، وعمل بغير كتاب الله.

ومن طريق آخر، قال: كفّرناه بثلاث: فرّق كتاب الله ونبذه في الحشوش[1]، وإنزال المهاجرين بمنزلة من حارب الله ورسوله ﷺ، وجعل المال دولة بين الأغنياء، فمن ثمّ كفرناه وقتلناه.

وجاء أنّ أبا صادق قال: والله ما يسرّني أنّ في قلبي مثقال حبّة خردل حبّاً لعثمان، ولو أنّ لي أحداً ذهباً، وهو شرّ عندي من حمار مجدّع لطحان، فقال زيد: صدق أبو صادق.

وقال مصرف الإمامي: يأبى قلبي إلّا حبّ عثمان، فحكيت ذلك لإبراهيم النخعي، فقال: لعن الله قلبه.

ورووا عن إبراهيم أنّه قال: إن عثمان عندي شرّ من قارون.

وقال الحسن البصري، سألته فقلت: أيّهما أفضل، عثمان. عمر بن عبدالعزيز؟. قال: ولا سواء من جاء إلى أمر فاسد فأصلحه خيراً ومن جاء إلى أمر صالح فأفسده.

وعن الضحّاك، قال: قال لي: يا جويبر! اعلم إنّ شرّ هذه الأمّة الأشياخ الثلاثة، قلت: من هم؟.

قال: عثمان وطلحة والزبير.

---

(١) قال ابن الأثير في نهايته ١ / ٣٩٠: إنّ هذه الحشوش محتضرة.. يعني الكنف ومواضع قضاء الحاجة، الواحد حشّ ـ بالفتح ـ، وأصله من الحشّ: البستان؛ لأنّهم كانوا كثيراً ما يتغوّطون في البساتين، ومنه حديث عثمان أنّه دفن في حشّ كوكب، وهو بستان بظاهر المدينة خارج البقيع.

وجاء أمّا عجل هذه الأمّة فعثمان، وفرعونها معاوية، وسامريها أبو موسى الأشعري، وذو الثدية وأصحاب النهر ملعونون.

وقال الأعمش: والله لوددت أنّي كنت وجأت عثمان بخنجر في بطنه فقتلته.

وقال سعيد بن جبير، يرفع عثمان وأصحابه يوم القيامة حتىٰ يبلغ بهم الثريّا، ثمّ يطرحون علىٰ وجوههم.

وجاء والله لا تكون الأرض سلماً سلماً حتىٰ يلعن عثمان ما بين المشرق والمغرب لا ينكر ذلك أحد.

وقال عبدالرحمن بن حنبل الجمحي ـ وكان بدريّاً ـ.

ذق يا أبا عمرو بسوء الفعل	وذق صنع كافر ذي جهل
لمّا سددت باب كلّ عدل	ورمت نقص حقّنا بالبطل[1]
غداً عليك أهل كلّ فضل	بالمشرفيّات[2] القضاب[3] الفصل
فذقت قتلاً لك أيّ قتل	كذاك نجزي كلّ عاتٍ وغلّ[4]

في أمثال هذه الأقوال المحفوظة عن الصحابة والتابعين ذكر جميعها يخرج عن الغرض، وفي بعض ما ذكرناه كفاية في المقصود، والمنّة لله.

---

(١) قال الفيروزآبادي في القاموس ٣ / ٣٣٥، بطل بطلاً وبطولاً وبُطلاناً ـ بضمّه ـ: ذهب ضياعاً وخُسراً.

(٢) جاء في الصحاح ٤ / ١٣٨٠، والمشرفية: سيوف، قال أبو عبيدة: نسبت إلى مشارف، وهي قرىٰ من أرض العرب تدنو من الشريف، يقال سيف مشرفي.

(٣) سيف قاضب وقضيب.. أي قطاع والجمع قواضب وقضب، كما في الصحاح ١ / ٢٠٣. أقول: القضاب إمّا جمع القضيب ـ ككرام وكريم ـ أو جمع قاضب ـ كطالب وطلّاب.

(٤) ومرّت له قصيدته التي أوّلها:

إن تقتلوني فأنا ابن حنبل	أنا الذي قد قلت فيكم نعثل

وقد جاءت في تاريخ الطبري ٦ / ٢٥، وتاريخ اليعقوبي ٢ / ١٠٥، والاستيعاب ٢ / ٤١٠، والإصابة ٢ / ٣٩٥، وشرح ابن أبي الحديد ١ / ٦٦.

وقال ﷺ في موضع آخر[١]: تناصر الخبر من طريق الشيعة وأصحاب الحديث بأنّ عثمان وطلحة والزبير وسعداً وعبدالرحمن من جملة أصحاب العقبة الذين نفّروا برسول الله ﷺ.

وأمّا عثمان وطلحة القائلان: أينكح محمّد نساءنا ولا ننكح نساءه؟!.. والله لو قد مات لأجلبنا على نسائه بالسهام، وقول عثمان: لأتزوّجن أمّ سلمة، فأنزل الله سبحانه[٢].

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً﴾[٣].

وقول عثمان يوم أحد: لألحقنّ بالشام، فإنّ لي بها صديقاً يهوديّاً. وقول طلحة: لألحقنّ بالشام فإنّ لي بها صديقاً نصرانياً، ومن الثوار عبدالله بن حسان العنزي الكوفي القائل في عثمان: هو أوّل من فتح أبواب الظلم وأرتج أبواب الحقّ[٤].

ومن الثوّار هاشم المرقال القائل في عثمان في صفين: إنّما قتله أصحاب محمّد وقرّاء الناس حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب والعجيب أنّ السلفية تكفّر قتلة عثمان أي الصحابة وتبرّأ ساحة عثمان من الخطأ والظلم والإنحراف.

ثمّ تدافع عن الصحابة تحت عنوان نظرية الصحابة العدول. فكيف يجتمع هذا التضاد بين عثمان وقاتليه الصحابة، فواحد من الإثنين على باطل ولا يجتمعان على الحقّ أبداً.

---

(١) لا زال الكلام لأبي الصلاح ﷺ في تقريب المعارف ـ القسم الذي لم يطبع منه مع الأسف ـ، فراجع.

(٢) انظر مثالاً: تفسير القرطبي ١٤ / ٢٢٨، وفيض القدير ٤ / ٢٩٠، وتفسير ابن كثير ٣ / ٥٠٦، وتفسير البغوي ٥ / ٢٢٥، وتفسير الخازن ٥ / ٢٢٥، وتفسير الآلوسي ٢٢ / ٧٤.

(٣) الأحزاب: ٥٣.

(٤) الأغاني ١٦ / ١٠، تاريخ الطبري ٦ / ١٥٥، تاريخ ابن عساكر ٢ / ٣٧٩، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٠٩.

رسالة عثمان إلى معاوية وابن عامر

فكتب نسخة واحدة إلى معاوية وعبدالله بن عامر، أمّا بعد: فإنّ أهل السفه والبغي والعدوان من أهل العراق ومصر والمدينة أحاطوا بداري ولن يرضيهم منّي دون خلعي أو قتلي، وأنا ملاقي الله قبل أن أتابعهم على شيء من ذلك فأعينوني.

فلمّا بلغ كتابه ابن عامر، قام وقال: أيّها الناس! إنّ أمير المؤمنين عثمان ذكر أنّ شرذمة من أهل مصر والعراق نزلوا بساحته فدعاهم إلى الحقّ فلم يجيبوا، فكتب إليّ أن أبعث إليه منكم ذوي الرأي والدين والصلاح لعلّ الله أن يدفع عنه ظلم الظالم وعدوان المعتدي.

فلم يجيبوه إلى الخروج.

ثمّ إنّه قيل لعليّ عليه السلام أنّ عثمان قد مُنع الماء فأمر بالروايا[1]، فعُكمت[2] وجاء الناس عليّ عليه السلام فصاح بهم صيحة انفرجوا.. فدخلت الروايا، فلمّا رأى عليّ عليه السلام اجتماع الناس دخل على طلحة بن عبيدالله ـ وهو متّكيء على وسائد ـ، فقال: إنّ الرجل مقتول فامنعوه. فقال: أمَ والله دون أن تعطي بنو أمية الحقّ من أنفسها.

من كلام للإمام عليّ عليه السلام لمّا اجتمع الناس عليه وشكوا ما نقموه على عثمان، وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم، دخل عليه، فقال: إنّ الناس ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم، ووالله ما أدري ما أقول لك؟، ما أعرف شيئاً تجهله ولا أدلّك على أمر لا تعرفه، إنّك لتعلم ما نعلم ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ولا

---

(١) الروايا من الإبل: الحوامل للماء، واحدتها: راوية قاله في النهاية ٢ / ٢٧٩، وفي الأمالي: الروايا بدون باء.

(٢) قال في القاموس ٤ / ١٥٣: عكم المتاع يعكمه: شدّه بثوب.

خلونا بشيء فنبلغكه، وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله ﷺ كما صحبنا، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب بأولى بعمل الحقّ منك، فالله الله في نفسك فإنّك والله ما تبصر من عميّ ولا تعلّم من جهل، وإنّ الطرق لواضحة وإنّ أعلام الدين لقائمة، فاعلم أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدي وهدىٰ فأقام سنّة معلومة وأمات بدعة مجهولة، وإنّ السنن لنيّرة لها أعلام، وإنّ البدع لظاهرة لها أعلام، وإنّ شرّ الناس عند الله إمام جائر ضلّ وضُلّ به، فأمات سنّة مأخوذة وأحيىٰ بدعة متروكة، وأنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: يُؤتىٰ يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيُلقىٰ في جهنّم فيدور فيها كما تدور الرحىٰ، ثمّ يرتبط في قعرها، وإنّي أنشدك الله أن تكون إمام هذه الأمّة المقتول، فأنّه كان يقال يُقتل في هذه الأمّة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، وتلبس أمورها عليها ويبثّ الفتن فيها فلا يُبصرون الحقّ من الباطل يموجون فيها موجاً ويمرجون فيها مرجاً، فلا تكونن لمروان سيّقةً يسوقك حيث شاء بعد جلال السنّ وقضاء العمر.

فقال له عثمان: كلّم الناس في أنّ يؤجّلوني حتىٰ أخرج إليهم من مظالمهم.

فقال علي ﷺ: ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه[1].

وعن عبدالله بن جعفر، قال: كنت مع عثمان وهو محصور، فلمّا عرف أنّه مقتول بعثني وعبدالرحمن بن أزهر إلى أمير المؤمنين ﷺ ـ وقد استولىٰ طلحة بن عبيدالله

(١) وانظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ / ٢٦١، وشرح ابن ميثم البحراني ٣ / ٣٠٢، ومنهاج البراعة ٢ / ١٢٧ ـ ١٣٢

على الأمر ـ، فقال: انطلقا فقولا له: أما إنّك أولىٰ بالأمر من ابن الحضرمية[1] فلا يغلبنّك على أمّة ابن عمّك.

وعن ميسرة بن جدير[2]، قال: كنت عند الزبير عند أحجار الزيت وهو آخذ بيدي، فأتاه رجل يشتدّ، فقال: يا أبا عبدالله! إنّ أهل الدار قد حيل بينهم وبين الماء، فسمعته يقول: دبروا بها دبروا:

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾[3].

وقيل لطلحة: هذا عثمان قد منع الطعام والشراب، فقال: إمّا تعطيني بنو أمية الحقّ من أنفسها، وإلّا فلا[4].

وقال عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ: رأيت طلحة يرامي في أهل الدار وهو في خرقة[5]، وعليه الدرع وقد كفّر عليها بقباء فهم يرامونه فيخرجونه من الدار ثمّ يخرج فيراميهم حتىٰ دخل عليه من قبل دار ابن حزم فقتل.

وعن مسروق، قال: دخلت المدينة فبدأنا بطلحة، فخرج مشتملاً بقطيفة له حمراء، فذكرنا له أمر عثمان فصيح القوم[6]، فقال: قد كاد سفهاؤكم أن يغلبوا حلماءكم على المنطق، قال: أجئتم معكم بحطب وإلّا فخذوا هاتين الحزمتين فاذهبوا بهما إلى بابه، فخرجنا من عنده وأتينا الزبير، فقال مثل قوله، فخرجنا حتىٰ أتيانا

---

(١) الكافية للشيخ المفيد: ٧ ـ ٨ الرسالة الثانية من المجلّد السادس من طبعة المؤتمر العالمي.

(٢) الكافية: ١١ حديث ٦.

(٣) سبأ: ٥٤.

(٤) الكافية في توبة الخاطئة للشيخ المفيد: ٨ حديث ٢.

(٥) الكافية: ٨ / ٩ حديث ٣.

(٦) الكافية للشيخ المفيد: ٩ / ١٠ حديث ٤.

عليّاً عليه السلام عند أحجار الزيت فذكرنا أمره، فقال: استتيبوا الرجل ولا تعجلوا، فإن رجع ممّا هو عليه وتاب فأقبلوا منه[١].

واستولىٰ طلحة بن عبيدالله على أمر عثمان وصارت المفاتيح بيده[٢]، وأخذ لقاحاً[٣] كانت لعثمان، وأخذ ما كان في داره، فمكث بذلك ثلاثة أيّام.

موقف معاوية من عثمان

كان معاوية بن أبي سفيان من دهاة العرب لا يتورّع عن فعل شيءٍ في سبيل نيل أهدافه الدنيويّة.

وقد دخل في الإسلام قهراً في فتح مكّة ولم يدخل فيه رغبة ومحبّة مثل باقي طلقاء مكّة وبقي حاقداً على الإسلام والمسلمين.

وقد فضحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيّن فساده الأخلاقي وانحرافه الديني ولعنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سبعة مواطن[٤]، وكان معاوية يصبوا لنيل الخلافة الإسلامية العظمىٰ خصوصاً بعد حصوله على ولاية الشام في زمن حكومتي عمر وعثمان.

ولمّا كان المسلمون لا يسمحون لرجل طليق في الوصول إلى الخلافة ذهب

---

(١) أقول: قال البلاذري في الأنساب ٥ / ٣٠: إنّ أوّل من دعا إلى خلع عثمان والبيعة لعليّ عمرو بن زرارة بن قيس النخعي وكميل بن زياد بن نهيك النخعي، فقام عمرو بن زرارة، فقال: أيّها الناس! إنّ عثمان قد ترك الحقّ وهو يعرفه، وقد أغرىٰ بصلحائكم يولي عليهم شراركم.. إلى آخره، وقد جاء في أسد الغابة ٤ / ١٠٤، والإصابة ١ / ٥٤٨، و٢ / ٥٣٦، وغيرهما.

(٢) الكافية في توبة الخاطئة للشيخ المفيد: ١٠ حديث ٥.

(٣) قال في النهاية: ٤ / ٢٦٢: اللِقحة ـ بالكسر والفتح ـ الناقة القريبة العهد بالنتاج، والجمع لقح، وناقة لقوح: إذا كانت غزيرة اللبن.. واللقاح: ذوات الألبان.

(٤) شرح النهج، المعتزلي ٣ / ٢، ١٠٢، أسد الغابة ٣ / ١١٦.

معاوية للتخطيط للوصول إلى الحكم بالطرق الغير طبيعية.

ولمّا حاصر المسلمون عثمان سارع الأخير لطلب النجدة من معاوية، وغالبية الجيوش معه فوجد عثمان الفرصة سانحة أمامه للوصول إلى أغراضه الجاهلية.

فلو أرسل معاوية قواته إلى المدينة وقضى على الثورة لاستتبّ الأمن وهدأت الأوضاع تحت حِراب جنوده، وهذا ما يريده عثمان، وهو في غير صالح معاوية.

لذا أرسل معاوية أربعة آلاف مقاتل مع يزيد بن أسد بن كرز البجلي على أن يستقرّوا في نقطة على الطريق بين مكّة والمدينة بانتظار أوامر معاوية!

رغبة معاوية بقتل عثمان

أرسل عثمان رسالة إلى معاوية يستمدّه، فبعث معاوية يزيد بن أسد جدّ خالد القسري وقال له: إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. قال معاوية أنا الشاهد وأنت الغائب. فأقام بذي خشب حتى قُتل عثمان فقالوا: لجويرية؟ لِمَ صنع هذا؟

قال: صنعه عمداً ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه[١].

وقدم المسور بن مخرمة على معاوية يوماً فقال معاوية وعنده أهل الشام: هذا من قتلة عثمان. فقال المسور: إنّي والله ما قتلت عثمان ولكن قتلته سيرة أبي بكر وعمر، وكتب يستمدّك بالجند فحبستهم عنه حتى قتل وهم بالزرقاء[٢].

وقال محمّد بن أبي حذيفة الأموي لمعاوية: أنت قتلت عثمان[٣].

(١) تاريخ المدينة، ابن شبه ٤ / ١٢٨٩.

(٢) تاريخ المدينة ٤ / ٢٨٩، والزرقاء موضع بالشام بناحية معان (ياقوت).

(٣) الاستيعاب، ابن عبدالبرّ ٢٢٣، الغارات، الثقفي. أنساب الأشراف ٨٧.

ولو لم يُقتل عثمان لوصل الحكم إلى مروان بن الحكم؛ لأنّ مروان صهر عثمان على ابنته.

وثانياً: إنّ عثمان ومروان من عائلة أبي العاص الأموية بينما معاوية بن أبي سفيان بن حرب. فحقّق معاوية في قضية وصوله إلى السلطة فلم يجد منفذاً لها إلّا مقتل عثمان ومطالبته بالخلافة في الشام فلم يرسل جنده إلى المدينة للدفاع عن عثمان، وتحقّق مشروعه السياسي.

الفصل الثاني:

عثمان - الصحابة

موقف الصحابة من عثمان

معظم الصحابة كانوا معارضين لعثمان بن عفان سواء كانوا من المهاجرين أم من الأنصار إلّا النزر القليل المستفيد مادّياً وسياسياً من عثمان والذين كانوا مع عثمان هم حسان بن ثابت واليهود السابقون مثل عبدالله بن سلام وابن عقبة وزيد بن ثابت وكعب الأحبار اليهودي وكعب بن مالك.

وكان معه أيضاً أبو موسىٰ الأشعري والأمويون وعلى رأسهم أبو سفيان وعارضه معظم الصحابة مثل أبي ذر وعمار والمقداد وعبدالله بن مسعود وأُبيّ بن كعب والزبير وطلحة وعبدالرحمن بن أبي بكر وعبدالرحمن بن عوف وزيد بن الأرقم وعموم الأنصار والمهاجرين وعبدالله بن بديل الخزاعي وخلعه عمار بن ياسر وباقي الصحابة . وخلعه عبدالرحمن بن عوف وهو الذي عيّنه[1].

(١) تقريب المعارف، الحلبي ٢٨١.

القيادات الجماهيرية المخالفة لعثمان

القيادات الثائرة على عثمان والقادمة للمدينة المنوّرة هم محمّد بن أبي بكر قائد جيش مصر وعبدالرحمن بن عديس البلوي وحكيم بن جبلة العبدي وكنانة بن بشر والأشتر النخعي قائد جيش الكوفة وعبدالله بن بديل زعيم قبيلة خزاعة.

وشارك جيش البصرة في الثورة الجماهيرية الكبرىٰ على عثمان. ومن زعماء الثورة في المدينة الزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله وعبدالرحمن بن أبي بكر وعائشة بنت أبي بكر.

الغلط الفاحش الذي وقع فيه عثمان بن عفان هو استهانته بالمعارضة واستكباره عليها وهم زعماء البلدان ورؤساء الأمصار ورؤوس القبائل.

وهي نفس سياسة طغاة قريش في الجاهلية، وقد فشلوا فيها وخابت ظنونهم، فكيف تنجح هذه السياسة في الإسلام بعدما تثقّف الناس بالثقافة الإسلامية وتعوّدوا على السماحة المحمّدية.

وكان أعوان عثمان في السلطة من الطلقاء المحاربين الله ورسوله والمعارضين لسياسة الحكم الإسلامية.

عداء عثمان لعمار

لمّا وصل رسول الله ﷺ المدينة، استقبله الناس وقالت النساء والولدان شعراً جاء فيه:

طلع البدر علينا   من ثنيّات الوداع

وجب الشكـــر عـلينا مـــا دعـــا لله داع

أيّـــها المـــبعوث فـينا جئت بالأمر المطاع[١]

ورويت روايات في رقص وغناء المستقبلين للنبي ﷺ في المدينة[٢] لا تصحّ مخالفة لعفّة وحياء رسول الله ﷺ، بل هي مخالفة لخُلُق أشراف عرَب الجاهلية.

وكان رسول الله ﷺ حرَّم الرقص والغناء[٣].

لقد سار الأنصار مسافة طويلة للقاء منقذهم وزعيمهم، واستقبال النـاس لخاتم الأنبياء ﷺ المدينة يبيّن الآمال المعقودة على مجيئه المشرق إليهـم، والحبّ الصادق منهم إليه والاستعداد الكامل للتضحية في سبيله.

وتركوا وراء ظهورهم رئيسهم المتروك والمنبوذ عبدالله بن أُبي يتعثّر بأخطائه وفتنه.

ولمّا وصل رسول الله ﷺ المدينة ركب ناقته وأرخىٰ لها الزمام فجعلت لا تمرّ بدار من دور الأنصار إلّا دعاه أهلها إلى النزول عندهم، وقالوا له: هلمّ يا رسول الله إلى العدد والعُدّة والمنعة فيقول النبي ﷺ لهم:

خلّوا زمامها فإنّها مأمورة، حتّى انتهت إلى موضع مسجده اليوم فبركت على باب المسجد[٤]. فعوّضه الله تعالىٰ محبّة الأنصار بدل بغض قريش.

---

(١) دلائل النبوّة، البيهقي ٢ / ٢٣٣، فتح الباري ٧ / ٢٠٤، السيرة الحلبية ٢ / ٥٤، تاريخ الخميس ١ / ٣٤١، ٣٤٢.

(٢) تاريخ الخميس ١ / ٣٤١، البداية والنهاية ٣ / ٢٠٠، فتح الباري ٧ / ٢٠٤، دلائل النبوّة، البيهقي ٢ / ٢٣٤، ٢٣٥، السيرة الحلبية ٢ / ٦١.

(٣) تفسير الآلوسي ٢١ / ٧٦، سنن البيهقي ١٠ / ٢٢١، الدرّ المنثور ٢ / ٣٢٤، إرشاد الساري ٩ / ١٦٣، نيل الأوطار ٨ / ٢٦٤، السيرة الحلبية ٢ / ٦٣، تفسير الطبري ٢١ / ٣٩، تفسير ابن كثير ٣ / ٤٤٢، سنن الترمذي كتاب ١٢ / باب ٥١، تفسير الخازن ٣ / ٣٦، تفسير القرطبي ١٤ / ٥١، المستدرك، الحاكم ٢ / ٤١١، تاريخ البخاري ٤ قسم ١ ص ٢٣٤.

(٤) سيرة ابن هشام ٢ / ١٤٠.

وكان موضع مسجد النبي ﷺ لبني النجّار وكان فيه نخل وحرث وقبور من قبور الجاهلية فقال لهم رسول الله ﷺ: ثامنوني به.

فقالوا: لا نبتغي به ثمناً إلّا ما عند الله، فأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقطع، وبالحرث فأفسد وبالقبور فنبشت. وتولّى بناء مسجده ﷺ هو بنفسه وأصحابه من المهاجرين والأنصار[1] وكانت القبور دارسة.

ولمّا أثقلوا عمار بن ياسر باللّبن لبناء المسجد قال: يا رسول الله قتلوني يحمّلون عليّ ما لا يحملون.

فنفض النبي ﷺ وفرته بيده وهو يقول: ويح ابن سُميّة ليسوا بالذين يقتلونك، إنّما تقتلك الفئة الباغية[2].

وكانت مشادّة حدثت بين عمار بن ياسر وعثمان بن عفان في غبار نال عثمان من بناء المسجد بعد ما مرّ وهو واضع كمّه على أنفه.

فقال عليّ بن أبي طالب:

لا يستوي من يبتني المساجدا ... يظلّ فيها راكعاً وساجداً

كمن يمرّ بالغبار حائداً ... يعرض عنه جاهداً معانداً

وارتجز بالشعر عمار بن ياسر.

فقال عثمان بن عفان: قد سمعت ما قلت اليوم يا ابن السوداء إيّاي تعني؟

والله إنّي لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك وفي يده عصا.

فغضب رسول الله ﷺ ثمّ قال: ما لهم ولعمّار يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ١١٦، ١١٧.

(٢) الروض الأنف ٤ / ٢٣٥، سيرة ابن هشام ٢ / ١٤٢.

النار إنّ عمّاراً جلدة ما بين عيني وأنفي[1].

فكفّ الناس عن ذلك ثمّ قالوا لعمّار: إنّ النبي ﷺ قد غضب فيك، ونخاف أن ينزل فينا القرآن.

فأخذ رسول الله ﷺ بيده ومسح وفرته[2] وطاف به في المسجد.

ثمّ أتىٰ عثمانُ رسولَ الله ﷺ فقال له: لم ندخل معك لتُسبّ أعراضنا.

فقال له رسول الله ﷺ: قد أقلتك إسلامك فاذهب، فأنزل الله تعالىٰ:

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ الله يَمُنُّ عَلَيْكُم أَنْ هَدَاكُم لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[3].

وكان أوّل من بنىٰ مسجداً عمار بن ياسر[4].

وهذه الحادثة بين عثمان وعمار تُبيّن قِدَم الصراع بين أتباع أهل البيت ﷺ وأفراد الحزب القرشي العائد إلى أيّام مكّة، والمنفجر بعد وصول المسلمين إلى المدينة انفجاراً حادّاً.

وقد وقف النبي ﷺ إلى جانب عمار ووصفه بإمام من أئمة الجنّة ووصف عدوّه بإمام من أئمة جهنّم.

ووقوف النبي ﷺ إلى جانب أتباعه المعروفين مثل عمار وأبي ذر وسلمان والمقداد وحذيفة ظاهرة معروفة للجميع.

---

(١) تاريخ الخميس ١ / ٣٤٥، السيرة الحلبية ٢ / ٧٢، وفاء الوفاء ١ / ٣٢٩، الروض الأنف ٤ / ٢٣٥، ٢٣٦، سيرة ابن هشام ٢ / ١٤٢، وقد ذكر ابن إسحاق اسم الرجل عثمان بن عفان وسمّاه ابن هشام رجلاً خوفاً من افتضاح أمره منذ الأيّام الأولىٰ لوصول المسلمين إلى المدينة.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الحجرات ١٧، البحار ٢٠ / ٢٤٣، تفسير القمّي ٢ / ٣٢٢.

(٤) البحار ٢٠ / ٢٤٣، تفسير القمي ٢ / ٣٢٢.

واستمرّت هذه الحالة من الخصام إلى أيّام رئاسة عثمان بن عفان الذي أعاد الكرّة على عمار رغم إنذار رسول الله ﷺ له فوطأ عماراً بنفسه وفتق بطنه[1]!

وبعد بناء المسجد والصلاة والوعظ الديني فيه انتشر الإسلام في المدينة المنوّرة بصورة سريعة في السنة الأولىٰ من وصول رسول الله ﷺ إليها فأسلم أهلها إلّا ما كان من خطمة وواقف ووائل وأُميّة وتلك أوس الله وهم حي من الأوس فإنّهم أقاموا على شركهم[2]، ثمّ أسلموا.

وبعدما حارب القرشيون الإسلام وآذوا رسول الله ﷺ فتح الله تعالىٰ عليه بابين من أبواب رحمته:

الباب الأوّل هو الحبشة التي عاش فيها المسلمون في رغد وأمان يتعلّمون فيها طقوس دينهم من القرآن والحديث ويتعبّدون بنصوصه ويعبدون الله عزّ وجل في أرضه.

والباب الثاني يثرب التي تنوّرت بنور الإسلام فأصبحت المدينة المنوّرة مصداق من مصاديق الوعود الإلهيّة بالنصر.

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

فعاصرت قريش حدثين مهمّين في الهجرة إلى الحبشة ويثرب، أصبح فيها ملك الحبشة وأهل يثرب في صف رسول الله ﷺ في صراعه مع جبهة الكفر.

وتحوّل ملك الحبشة وأهالي يثرب إلى جبهة المسلمين دليلاً على عظمة الدين الإسلامي وكماله. فهؤلاء نظروا إلى هذا الدين من باب خال من التعصّب فوجدوه

---

(١) نهج الحق، العلّامة الحلي ٢٩٧، وهاتان الحادثتان تبيّن إقدام عثمان على قتل أعدائه بعصاه وقدمه ويده.

(٢) الروض الأنف ٤ / ٢٣٩.

(٣) الروم ٤٧.

مشروعاً متكاملاً وشاملاً فاعتنقه ملك الحبشة وأهالي يثرب.

أمّا القرشيون فكانوا يزدادون تعصّباً وجهلاً مع كلّ معجزة إلهيّة تشاهدها أعينهم وتصحّحها نفوسهم! مستمرّين في طريق الكفر والفساد.

ومن العبر العجيبة في رحلة قريش مع الإسلام مخالفة معظمهم له رغم معايشتهم له على مدى ثلاث وعشرين سنة، ولم تنفعهم مبايعتهم رسول الله ﷺ في فتح مكّة فارتدّوا بعد شهادة النبي ﷺ فأمرهم سهيل بن عمرو باتّباع سبيل الرشاد وهدّدهم بجيش المدينة فعادوا إلى الدين!

إنّ نظرة أهالي يثرب الصحيحة للإسلام أرشدتهم للهداية واليقين، ونظرة أهالي قريش الباطلة له منعتهم من ذلك ودفعتهم إلى الكفر.

البيعة

وقد بيّن الامام علي عليه السلام قواعد البيعة الإسلامية الصحيحة نظرياً وعمليّاً بأنّها لا تكون خلسة وسرّية، بل تكون عامّة وعلنية، لا يتوسّل فيها بالقهر والقوّة والبطش والإغراء، بل تتمتّع بالحريّة والاختيار التام، وأن لا تتبعها صفقات سياسيّة ولا مؤامرات قائمة على الاحتيال.

وبينما قتلت الحكومتان السابقتان لعثمان المعارضين لبيعتها مثل فاطمة عليها السلام وسعد بن عبادة وخالد بن سعيد الأموي ونفت أبا بريدة والبراء بن عازب ترك علي عليه السلام الممتنعين عن بيعته مثل عبدالله بن عمر وسعد بن أبي وقّاص وعبدالله بن سلام ومحمّد بن مسلمة وغيرهم، وأعطى الحريّة السياسية لمعارضيه مثل الزبير وطلحة وابن ملجم وغيرهم.

وبينما طرحت دولة السقيفة صفقتين سياسيّتين على العباس بن عبد المطلب وأبي سفيان لم يفعل علي بن أبي طالب ﷺ ذلك، وكان معاوية مستعداً لإجراء صفقة سياسية، وكذلك الزبير وطلحة أي لإعطاء بيعتهم وإخلاصهم مقابل مناصب حكومية.

وبينما كانت بيعة السقيفة بيعة سرّية لا تعلم بها جماهير الأنصار والمهاجرين رفض علي ﷺ هكذا بيعة من قبل العباس، ولو رضي لكانت أقوىٰ حجّة من بيعة السقيفة.

وبعد ما جرّب المسلمون البيعات المختلفة القائمة على الإنقلاب العسكري (إنقلاب السقيفة) والوصية المزوّرة والعلنية (من أبي بكر لعمر) جاءت الوصية السرية من عمر إلى ابن عوف والمتمثّلة ببيعة عثمان ثمّ عاد المسلمون إلى البيعة الحرّة والجماهيرية في سنة ٣٥ هجرية، فبايعوا علياً ﷺ مثلما بايعوه سنة ١٠ هجرية في الغدير[١].

نداءات أبي ذر الخالدة وشهادته

أسلم أبو ذر الغفاري في مكّة قبل أبي بكر وعمر وعثمان بسنوات عديدة، ثمّ ذهب إلى قبيلته لنشر الإسلام فيها.

وكان من المقرّبين لرسول الله ﷺ في مكّة والمدينة، وقد مدحه النبي ﷺ بأحاديث كثيرة.

لكن أبا ذر عارض السياسة العثمانية في جمع الأموال وبذلها للمقرّبين من

---

(١) تاريخ الإسلام، الخطيب البغدادي ٢٣٢، مسند أحمد ٤ / ٢٨١، التمهيد في أصول الدين، الباقلاني ١٧١.

النظام وللعائلة الأموية.

كان أبو ذر الغفاري (جندب بن جنادة) في الشام ينكر على معاوية جمع المال ويتلو قوله تعالى:

﴿وَالَّذِيْنَ يَكْنِزُوْنَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُوْنَها فِي سَبِيْلِ اللهِ﴾[١].

فكتب معاوية يشكوه، فكتب إليه عثمان أن اقدم المدينة، فقدم المدينة، واجتمع الناس عليه، فصار يذكر ذلك ويكثر الشناعة على من كنز الذهب والفضة، فنفاه عثمان إلى الربذة، فكانت وفاته هناك سنة إحدى وثلاثين[٢].

وكان عثمان قد أمر معاوية بحمل أبي ذر الغفاري من الشام إلى المدينة بغير وطاء ونفاه من المدينة إلى الربذة على الوجه الشنيع[٣]، متسبّباً في موته.

وحمل الإنسان العجوز من الشام إلى المدينة بغير وطاء ولا رعاية لحاله بالاستراحة والطعام كافية لقتله وهذا ما يريده عثمان ومعاوية.

وقد قال رسول الله ﷺ في أبي ذر: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر[٤].

وأعجب العجب ما نقله ابن الأثير في الدفاع عن عثمان في تعذيبه وقتله لأبي ذر قائلاً: ولو صحّ لكان ينبغي أن يُعتذر عن عثمان، فإنّ للإمام أن يؤدّب رعيّته[٥].

وأين هذه الأقوال المبنية على الأهواء من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ

---

(١) التوبة ٣.

(٢) تاريخ أبي الفداء، عماد الدين أبي الفداء ١ / ٣٣٣.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ١١٤.

(٤) سنن الترمذي ٥ / ٣٣٤، أنساب الأشراف ٥ / ٥٤.

(٥) المصدر السابق.

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَالِمِيْن﴾[٢].

فابن الأثير يعتبر أقوال أبي ذر في دعوته للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهيّجة لمشاعر السلطان وحاشيته اللئام.

وكيف تسوّل نفس عثمان له قتل امرءٍ مسلم يحارب كنز الأموال من قبل معاوية وأمثاله؛ وقد قال الله تعالىٰ في قتل النفس المسلمة.

﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيْعاً وَمَنْ أَحْيَاها فَكَأَنَّما أَحْيا النَّاسَ جَمِيْعاً﴾[٣].

وكان كفار مكّة ومنهم معاوية يضربون أبا ذر في الكعبة بعد نداءاته لعبادة الرحمن وترك عبادة الأوثان إلى حدّ الموت، فيعيد أبو ذر الكرّة ثانية ويعيدون.

وعندما تربّع عثمان ومعاوية على الزعامة والولاية أرادا الانتقام من أبي ذر لأفعاله السابقة واستهانته بالحزب القرشي فصمّما على قتله فقتلاه!

فكانت عمليّات القتل التي نفّذها عثمان بحقّ المؤمنين إكمالاً لعمليّات القتل التي ارتكبها زعماء مكّة.

فعثمان أرجع الحكم بن أبي العاص طريد رسول الله ﷺ وعدوّه إلى المدينة.

وأغناه بأموال المسلمين وهو العدوّ اللدود للنبي ﷺ في مكّة، وطرد أبا ذر عن المدينة وهو حبيب رسول الله ﷺ وناصره!

فحصل الحكم وأبو ذر من قبل عثمان على نفس المعاملة التي كانا يتلقّيانها من

---

(١) الزلزلة ٨.

(٢) المائدة ٥١.

(٣) المائدة ٣٢.

قبل أبي سفيان وأبي جهل في مكّة!

وقد صدق رسول الله ﷺ في قوله لأبي ذر: تعيش وحدك وتموت وحدك وتدخل الجنّة وحدك يسعد بك قوم من أهل العراق يتولّون غسلك وتجهيزك ودفنك[1].

وفعلاً مات أبو ذر شهيداً بيد عثمان وقد قال قبل موته لامرأته وغلامه في وسط الصحراء: أن اغسلاني وكفّناني وضعاني على قارعة الطريق فأوّل ركب يمرّ بكم فقولوا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه، فلمّا مات فعلا ذلك به ثمّ وضعاه على قارعة الطريق وأقبل عبدالله بن مسعود في نفر من أهل العراق عُمّاراً فقال الغلام: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه فاستهلّ عبدالله بن مسعود يبكي ويقول صدق رسول الله ﷺ في قوله لأبي ذر: تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثمّ نزل هو وأصحابه فواروه[2].

وفجّر موت أبي ذر بهذه الطريقة المفجعة الأوضاع على عثمان فحكم الصحابة بخروجه من الدين وقالت عائشة: اقتلوا نعثلاً فقد كفر.

وبينما طرحت جنازة عثمان على مزابل المسلمين ودفنت في مقبرة اليهود نادى الأحرار في كلّ مكان بقيادة أبي ذر وزهده وعفّته، وكلّ جمعية حرّة الآن تدّعي السير على نهجه واستقامته وتفدي أرواحها لإحياء ذكره وتخليد اسمه.

صمود عبدالله بن مسعود وشهادته

وهو من المسلمين الأوائل في مكّة المكرّمة وكان يقرأ القرآن في جوف الكعبة

---

(١) شرح النهج ٢ / ٣٧٥ ط ١: مصر.

(٢) سيرة الصحابة، الكاندهلوي ٣ / ٤٦٤.

فيضربه الكافرون حتىٰ يغمىٰ عليه فيعيد الكرّة ثانية فيضربونه مرّة أخرىٰ وهكذا.

وهو من المهاجرين إلى المدينة المنوّرة والمشتركين في المعارك الإسلامية وهو الذي جلس على صدر أبي جهل ليحتزّ رأسه فقال له أبو جهل: لقد جلست مجلساً عالياً يا رويعي الغنم ثمّ احتزّ رأسه[1].

ثمّ بايع في بيعة الرضوان لذا كان ينكر على عثمان فراره عن بدر وأُحد وبيعة الرضوان!

وكان عبدالله بن مسعود أميناً لبيت مال المسلمين ولمّا أمره عثمان بإعطاء الأموال لأفراد بني أمية رفض العمل له وأعاد إليه مفاتيح بيت المال قائلاً للوليد: من غيّر غيّر الله ما به، ومن بدّل أسخط الله عليه وما أرىٰ صاحبكم إلّا غيّر وبدّل[2].

ثمّ فضح أعمال عثمان وذكر سوابقه المرّة في زمن خاتم الأنبياء ﷺ، فردّ عليه عثمان بالقول والفعل، وقطع رزقه من بيت مال المسلمين فحرم بناته من العيش مثل باقي الناس.

وضربه ضرباً مبرّحاً حتىٰ كسر أضلاعه ومات من ذلك.

وقبل موته من الضرب زاره عثمان وأخبره بقرب إعطائه من بيت المال فرفض ابن مسعود ذلك وقال: إنّي علّمت بناتي سورة الواقعة فلا حاجة لنا في بيت المال وهو لك.

وقال عبدالله بن مسعود عن عثمان:

---

(١) فتح الباري ٧ / ٢٣٠، الفائق في غريب الحديث، الزمخشري ١ / ٥ ٤٠، الثقات، ابن حبّان ١ / ١٧٣.

(٢) أنساب الأشراف ٥ / ٣٦، شرح النهج ٣ / ٤٢.

أهلكه الشحّ، وبطانة السوء[1].

وقال عبدالله بن مسعود: لوددتُ أنّي وعثمان برمل عالج، فنتحاثى التراب حتىٰ يموت الأعجز.

وقال: لا يعدل عثمان عند الله جناح بعوضة[2].

وسمع عبيدة السلماني عبدالله بن مسعود يلعن عثمان، قال: فقلت له في ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يشهد له بالنار[3].

وقال عبدالله بن مسعود: بينا نحن في بيت ـ ونحن إثنا عشر رجلاً ـ نتذاكر أمر الدجّال وفتنته، إذ دخل رسول الله ﷺ فقال:

ما تتذاكرون من أمر الدجّال، والذي نفسي بيده إنّ في البيت لَمَن هو أشدّ على أمّتي من الدجال، وقد مضىٰ من كان في البيت يومئذٍ غيري وغير عثمان[4].

وعن علقمة: دخلت على عبدالله بن مسعود فقال: صلىٰ هؤلاء جمعتهم؟

قلت: لا.

قال: إنّما هؤلاء حُمُر، إنّما يصلّي مع هؤلاء المضطرّ ومَن لا صلاة له، فقام بيننا فصلى بغير أذان ولا إقامة[5].

اغتيال حذيفة بن اليمان

لقد فتح الله تعالىٰ باب علوم الغيب لنبيّه على مصراعيه فأخبر رسول

---

(١) تقريب المعارف ٢٧٥، الإيضاح. ابن شاذان ٥٦، البحار ٣١ / ١٨٧، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٧.

(٢) تقريب المعارف ٢٧٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تقريب المعارف ٢٧٥، البحار ٣١ / ٣٨٤.

(٥) تقريب المعارف ٢٧٥.

الله ﷺ بعض أصحابه بمقتلهم إذ قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: أتدري من أشقى الآخرين؟

قال علي عليه السلام: لا.

قال ﷺ: قاتلك الذي يضربك على هذه وأشار إلى جبينه ورأسه[١].

وقال النبي ﷺ عن الحسين بن فاطمة عليها السلام: يقتل ابني الحسين في أرض تسمّىٰ كرب وبلا[٢].

وقال النبي ﷺ أيضاً لعمّار بن ياسر: يا عمّار تقتلك الفئة الباغية وآخر شربة لك من الدنيا اللبن[٣].

وقال ﷺ لحذيفة بن اليمان صاحب أسرار النبي ﷺ: يا حذيفة إنّك مقتول[٤].

وكانت أسرار حذيفة خطيرة وكبيرة يُقتل في العادة من يحملها فهو عارف بأسماء الجماعة المهاجمة لرسول الله ﷺ في العقبة لقتله وهم أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري وأبو سفيان وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة[٥].

فكان من مصلحة عثمان قتل حذيفة في أيّ فرصة ممكنة، فنفىٰ حذيفة إلى المدائن[٦]، وهي تابعة للكوفة إدارياً ووالي الكوفة أبو موسى الأشعري أحد رجال

---

(١) جواهر المطالب، ابن الدمشقي ٢ / ٨٦، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٥٤٦، شواهد التنزيل، الحسكاني ٢ / ٤٣٦.

(٢) البحار ٣٣ / ٢٦٧.

(٣) المحلّى، ابن حزم ١١ / ٩٧، سبل السلام، ابن حجر ١ / ٩٥، نيل الأوطار، الشوكاني ٧ / ٢٠٠.

(٤) فهرست رجال الكشي ٧٧.

(٥) المحلّى، ابن حزم الأندلسي ١١ / ٢٢٥.

(٦) تقريب المعارف، الحلبي ٢٣٢.

العقبة، ومن مصلحة الأشعري أيضاً القضاء على حياة حذيفة لطمس الأسرار التي يحملها عن العقبة!

وكانت الأخبار قد انتشرت في الآفاق عن اشتراك عثمان والأشعري في هجوم العقبة من لسان حذيفة وعمار بن ياسر.

وكان حذيفة قد قال: عندي أسرار لو قلتها لقتلوني قبل أن أضع يدي في فمي.

وكان حقد عثمان على حذيفة طائشاً وخارجاً عن الحدّ لمكانته من النبي ﷺ ومعرفته أسراره إلى درجة إقدام عثمان على قتل ابنه عبدالله بن حذيفة لإنكاره عليه أفعاله[1]. فيكون عثمان بذلك قد قتل حذيفة وابنه عبدالله رغبة في إخفاء أعماله الشنيعة والحقائق المرة.

اغتيال المقداد بن عمرو

وهو من المسلمين الأوائل في مكّة وقد أسلم قبل أبي بكر وعمر وعثمان وكان من أصحاب سيّد الرسل ﷺ وبلغت محبّة النبي ﷺ له تزويجه ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطّلب، وكان حليفاً للأسود فسمي المقداد بن الأسود تبعاً لعرف الجاهلية وهو الذي قاتل في بدر على فرس يوم فرّ عثمان وطلحة وسعيد بن العاص وأسيد بن حضير عن حضورها.

وكان من أنصار أهل البيت عليهم السلام والسائرين على نهجهم فعارض السقيفة وبيعتها وعارض بيعة عثمان بن عفان في مجلس الستّة قائلاً: إنّي والله أحبّهم لحبّ رسول الله ﷺ وإنّي أعجب من قريش وتطاولهم على الناس بفضل رسول

(١) تقريب المعارف، الحلبي ٢٣١.

الله ﷺ ثمّ انتزاعهم سلطانه من أهله.

قال عبدالرحمن: أما والله لقد أجهزت نفسي لكم.

قال المقداد: أما والله لقد تركت رجلاً من الذين يأمرون بالحقّ وبه يعدلون، أما والله لو أنّ لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إيّاهم ببدر وأحد[1].

وفي زمن حكم عثمان لم يصلّ المقداد وعمار خلفه[2].

ولمّا عارض المقداد بن عمرو بيعة عثمان بن عفان توعّده عثمان بالقتل وفعلاً وفىٰ عثمان بوعده وقتل المقداد[3].

اغتيال أُبيّ بن كعب الأنصاري

لقد اعتمد أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية في سياستهم على الشدّة والمكيدة في التعامل مع الناس لاعتقادهم بهذا المبدأ المرفوض إسلامياً، فقتلوا الكثير من المعارضين لنظامهم دون مبرّر قانوني وشرعي ولم يسيروا على نظرية رسول الله ﷺ في التعامل مع المعارضين له.

فلقد أعطىٰ سيد الرسل ﷺ الزكاة لإرضاء معارضيه وحينما جابهه أعرابي بمجابهة جاهلية عنيفة جاذباً إيّاه من ردائه يأمر النبي ﷺ بقتله.

وكذلك فعل علي عليه السلام رافضاً رغبة أنصاره في قتله قائلاً لهم:

إنّه قول بقول.

---

(١) كتاب الأربعين، القمّي الشيرازي، البحار ٣١ / ٤٠٣.

(٢) تقريب المعارف ٢٧٨.

(٣) الكافي ٨ / ٣٣١، البحار ٢٢ / ٤٣٨، ٣١ / ٢٨٥. وراجع تاريخ الطبري ٥ / ٣٧، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩، شرح النهج ١ / ٦٥، مروج الذهب ١ / ٤٤٠.

والقسوة إذا كانت في أماكنها في القانون فهي جيّدة للمحافظة على الأمن وإذا لم تكن في محلّها في القانون توجد الهرج والمرج كما حدث ذلك في زمن عثمان بن عفان.

قال رسول الله ﷺ: أمراء يكونون من بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنّون بسنّتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يَرِدُون عليَّ حوضي، ومن لم يصدّقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك منّي وأنا منهم[1].

وبدأت نظرية البطش في زمن أبي بكر في قتل كلّ فرد أو قبيلة معارضة لدعوة بعض تلك القبائل لبيعة علي عليه السلام صاحب نصّ الغدير، واشتدّت حالة البطش في زمن عمر إذ وصفها عثمان نفسه قائلا:

لكنّه (عمر) وطأكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم[2]..

وفي زمن عثمان تفاقمت حالة القتل وسفك الدماء حتىٰ خرجت عن المعقول وطغت على المقبول فَقُتِلَ بها عثمانُ نفسه.

وكان أُبيّ بن كعب الخزرجي (أبو المنذر) قد شهد العقبة وبدراً وما بعدهما من المشاهد.

وهو من الأنصار المخلصين للإسلام والمضحّين في سبيله وهو أحد أنصار أهل البيت عليهم السلام؛ لذلك لم يبايع أبا بكر أوّلاً وخالف بيعته ومال إلى علي عليه السلام[3].

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١ / ٧٩. ط مكتب المطبوعات، حلب.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير ٧ / ١٨٩.

(٣) تاريخ ابن الوردي ١ / ١٣٤.

وبالرغم من تاريخه المشرق لم يستعمله أبو بكر في الدولة واستعمل بدلاً عنه الطلقاء من أمثال عكرمة بن أبي جهل ويزيد بن أبي سفيان.

وفي زمن خلافة عمر بن الخطاب لم تستعمل الدولة أُبيّ بن كعب أيضاً فقال أُبيّ بن كعب لعمر بن الخطاب: ما لك لا تستعملني؟

قال عمر: أكره أن يدنس دينك[1].

وكان لأُبيّ بن كعب مع عمر حوادث كثيرة منها سؤال عمر من أُبي عن كيفية تعلّمه القرآن قال أُبيّ: كان يلهيني القرآن ويلهيك الصفق في الأسواق[2].

وكان عمر يعمل في السوق سمساراً للحمير[3].

ولمّا منع عمر الناس من الحديث استمرّ أُبيّ في ذكر الحديث النبوي إذ قال فتىً من قريش له: أما نهاك أمير المؤمنين عن الفتيا؟

قال: أرقيب أنت عليّ؟ فوالذي نفسي بيده لو وضعتم الصمصامة (سيف) على هذه (وأشار إلى قفاه) ثمّ ظننت أنّي منفذ كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن تجهزوا عليّ لأنفذتها[4].

وتنازع أُبيّ وعمر في جداد نخلٍ، فبكى أُبيّ ثمّ قال: أفي سلطانك يا عمر؟

قال: اجعل بيني وبينك رجلاً.

قال أُبيّ: زيد (بن ثابت).

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٢٠٣، صفة الصفوة ١ / ٢٤٦، البحار.

(٢) كنز العمال ٢ / ٥٦٩، المصنّف، عبدالرزّاق ١٠ / ١٨١، تفسير القرطبي ١٤ / ١٢٦، الدرّ المنثور، السيوطي ٥ / ١٨٣، فتح القدير، الشوكاني ٤ / ٣٦٣، تاريخ دمشق ٧ / ٣٣٩.

(٣) العقد الفريد ١ / ٦٤، شرح النهج ١٢ / ١٤، النهاية، ابن الأثير ٢ / ٨، الصراط المستقيم ٣ ب ١٢ / ٢٨.

(٤) تذكرة الحفّاظ، الذهبي ١ / ١٨.

فانطلقا، حتى دخلا عليه فتحاكما إليه. فقال بيّنتك يا أُبيّ؟

قال: ما لي بيّنة.

قال زيد: فاعفِ أمير المؤمنين من اليمين.

فقال عمر: لا تُعفِ أمير المؤمنين إني رأيتها عليه[١].

بينما ورد: كان عمر يستخلف زيد بن ثابت فما رجع إلّا أقطعه حديقة من نخل[٢].

أي كان عمر يحاكم أُبيّ بن كعب في شيء قليل من النخل، ويمنح زيد بن ثابت اليهودي الأصل بستاناً كاملاً من النخيل!!

وقال ابن سعد:وكان أُبي ممّن شارك في جمع القرآن في زمن عثمان.

واستمرّت علاقة أُبيّ بن كعب سيّئة مع عمر وعثمان، فقطع عثمان عنه عطاءه[٣].وكان عثمان يتلاعب بأرزاق الناس فيقطعها عمّن كره ويفتح بيت المال على مصراعيه لمن أحبّ فأحدث ضجّة في المجتمع الإسلامي كانت عواقبها وخيمة.فالحكم بن أبي العاص وابنه مروان حصلا على خمس أفريقيا البالغ ١٢/٠٠٠/٠٠٠ مليون دينارا وأُبيّ بن كعب وابن مسعود وعمار وابن عوف وام سلمة تُقطع أرزاقهم![٤]

وقال أُبيّ لعثمان: يا ابن الهاوية يا بن النار الحامية أتكتب لبعض آل أبي معيط إلى بيت مال المسلمين بصك بخمسين ألف درهم.

---

(١) أخبار القضاة ١ / ١٠٨، ١٠٩، وتهذيب ابن عساكر ٥ / ٤٥، أعلام النبلاء ٢ / ٤٣٥.

(٢) أعلام النبلاء ٢ / ٤٣٤، أخبار القضاة ١ / ١٠٨، تهذيب ابن عساكر ٥ / ٤٠٥.

(٣) السيرة الحلبية ٢ / ٨٧.

(٤) النجوم الزاهرة ،الاتابكي ١ / ٤٦ ،العواصم من القواصم،ابن عربي ٦١.

فغضب عثمان فقال: لولا أنّي قد نفيتك لفعلت بك كذا وكذا.

وقد مدح رسول الله ﷺ جندب قائلاً: جندب وما جندب؟ والأقطع الخير زيد[1].

وجعل يعيد ذلك ليلته.

فقال له القوم: يا رسول الله، ما زال هذا قولك منذ الليلة.

قال ﷺ: رجلان من أمّتي يقال لأحدهما جندب يضرب ضربة يفرق بين الحقّ والباطل والآخر يقال له زيد يسبقه عضو من أعضائه إلى الجنة، ثمّ يتبعه سائر جسده.

قال علي عليه السلام أمّا جندب فإنّه أتي بساحر عند الوليد بن عقبة وهو يريهم أنّه يسحر، فضربه بالسيف فقتله، وأمّا زيد فقطعت يده في بعض مشاهد المسلمين، ثمّ شهدا جميعاً مع علي عليه السلام، فقُتل زيد يوم الجمل مع علي عليه السلام[2].

وكان جندب بن كعب وجندب بن زهير من المنفيين من الكوفة إلى دمشق في زمن خلافة عثمان.

«ولمّا قَتلَ جندب بن كعب الساحر اليهودي أمر الوليد بن عقبة بقتله.

فدافع عنه رجال الأزد من قبيلته، وعندها دعا مضر فقال شبيب بن ربعي للوليد: لِمَ تدعو مضر، تريد أن تستعين بمضر على قوم منعوا أخاهم منك أن تقتله بعلج ساحر كافر من أهل السواد، لا تجيبك والله مضر إلى الباطل ولا إلى ما لا يحلّ!

قال الوليد: انطلقوا به إلى السجن حتى أكتب فيه إلى عثمان.

---

(١) هو زيد بن صوحان.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٦ / ١٢٣.

قالوا: أمّا السجن فإنّا لا نمنعك أن تحبسه، فلمّا حبس جندب أقبل ليس له عمل إلّا الصلاة الليل كلّه وعامّة النهار، فنظر إليه رجل يدعى دينار ويكنّى أبا سنان، وكان صالحاً مسلماً، وكان على سجن الوليد.

فقال له: يا أبا عبدالله ما رأيت رجلاً قط خيراً منك، فاذهب رحمك الله حيث أحببت فقد أذنت لك.

قال: فإنّي أخاف عليك هذا الطاغية أن يقتلك.

قال أبو سنان: ما أسعدني إن قتلني، انطلق أنت راشداً.

فخرج فانطلق إلى المدينة. وبعث الوليد إلى أبي سنان، فأمر به فأُخرج إلى السبخة فقُتل، وانطلق جندب بن كعب فلحق بالحجاز فأقام بها سنين.

ثمّ إنّ مخنفاً وجندب بن زهير قدما على عثمان فأتيا عليّاً فقصّا عليه قصّة جندب بن كعب[1].

إذاً كان جندب هو الذي تحدّث مع أُبي في المدينة للدفاع عن الحقّ بوجه الظلم الحاصل وبوجه طغيان الأمويين الذين قتلوا ديناراً المسلم دون ذنب.

وعندها صمّم أُبيّ بن كعب على الدفاع عن الحقّ والجهاد في سبيل العدل وصمّم على أن يكون الموعد في صلاة الجمعة.

وفي يوم الخميس أي قبل الموعد بيوم واحد مات أُبي فجأة ممّا يبيّن اغتيال الأمويين له مثلما اغتالوا أبا ذر وابن مسعود ودينار وطلحة بن عبيدالله.

ولم يطالب عثمان بن عفان الوليد بن عقبة بدماء دينار بن دينار.

والظاهر أن جندب بن كعب تفاقمت مشكلته في المدينة إذ وصل إلى الحجاز

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٦ / ١٢٥.

بصعوبة بالغة ثمنها مصرع دينار بن دينار لإيصال صوته إلى خليفة المسلمين، ولكن الأحوال لم تكن كما تصوّر إذ وقف عثمان بن عفان إلى جانب الوليد بن عقبة (أخيه من أمّه) وأصدر أمراً بنفي جندب بن كعب إلى جبل الدخان لقتله الساحر اليهودي[1].

وكان جندب بن كعب قد تكلّم مع أُبي بن كعب في تلك الفترة الحرجة فتأثّر أُبي من نفي جندب بن كعب وجندب بن زهير ومالك الأشتر وأخوانهم المؤمنين إلى الشام.

وكان من أعمال الوليد بن عقبة في الكوفة إمامته صلاة الجماعة سكرانا.

وإدخاله الكفّار إلى المسجد الجامع في الكوفة للسحر والشعوذة.

وبسبب قرار عثمان نفي جندب إلى جبل الدخان، وإبقاء الوليد في منصبه قرّر أُبيّ بن كعب الدفاع عن الحقّ في صلاة الجمعة ولقد تسبّبت حركة المؤمنين المعارضين شرب الخمر وعمل السحر والفساد في مصرع دينار في الكوفة وأُبيّ في المدينة، وبقي الوليد بن عقبة اليهودي الأصل[2]. على وضعه ووظيفته والياً للكوفة بالرغم من أفعاله القبيحة وكان قد نزل قرآن في حقّه:

﴿إِذَا جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾،

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ﴾[3].

وقال جندب: أتيت المدينة ابتغاء العلم، وإذا الناس في مسجد رسول الله ﷺ يتحدّثون، فجعلت أمضي الحلق حتى أتيت حلقة فيها رجل شاحب، عليه ثوبان

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٦/ ١٢٣.

(٢) المعارف، ابن قتيبة ٣١٩.

(٣) السجدة ١٨.

كأنّما قدم من سفر، فسمعته يقول: هلك أصحاب العقدة وربّ الكعبة، ولا آسا عليهم، قالها ثلاث مرّات؛ قال: فجلست إليه يتحدّث بما قُضي له، ثمّ قام، فلمّا قام سألت عنه، قلت: من هذا؟

قالوا: هذا أُبيّ بن كعب سيد المسلمين، فتبعته حتىٰ أتىٰ منزله، فإذا هو رثُّ المنزل، ورثُّ الكسوة يشبه بعضه بعضاً، فسلّمت عليه.

فردّ عليَّ السلام، ثمّ سألني: مَن أنت؟

قلت: من أهل العراق.

قال: أكثر شيء سؤالاً!

قال: فلمّا قال ذلك غضبت، فجثوت على ركبتي، واستقبلت القبلة، ورفعت يديّ، فقلت: اللّهم إنّا نشكوهم إليك، إنّا ننفق نفقاتنا، وننصب أبداننا، ونرحل مطايانا ابتغاء العلم، فإذا لقيناهم تجهّموا وقالوا: لنا.

قال: فبكىٰ أُبيّ وجعل يترضّاني، وقال: ويحك، لم أذهب هناك.

ثمّ قال: إنّي أعاهدك لئن أبقيتني إلى يوم الجمعة لأتكلمنّ بما سمعتُ من رسولِ الله ﷺ ولا أخاف فيه لومة لائم، ثمّ أراه قام.

فلمّا قال ذلك انصرفت عنه وجعلت أنتظر الجمعة لأسمع كلامه.

قال: فلمّا كان يوم الخميس خرجت لبعض حاجاتي فإذا السكك غاصّة من الناس، لا آخذ في سكّة إلّا تلقّاني الناس، قلت: ما شأن الناس؟

قالوا: نحسبك غريباً.

قلت: أجل.

قالوا: مات سيد المسلمين أُبي بن كعب[1].

(١) تاريخ ابن عساكر ٢ / ٢٠٣.

قال الواقدي: أُختلف في موت أُبي بن كعب، وأثبت الأقاويل عندنا أنّه مات سنة ثلاثين وقال ابن سعد: سنة ثلاثين[1].

عن عُتَيّ بن ضمرة قال: قلت لأُبيّ بن كعب: ما شأنكم يـا صـحابة رسـول الله ﷺ نأتيكم من الغُربة نرجو عندكم الخير أن نستفيده عندكم فتهاونون بنا!

فـقال أُبيّ: أمـا والله لئن عشتُ إلى هـذه الجـمعة لأقـولنّ قـولاً لا أبـالي استحييتموني أو قتلتموني.

قال: فلمّا كان يوم الجمعة من بين الأيّام، خرجت من منزلي، فإذا أهل المدينة يؤذّنون في سككها (شوارعها)، فقلت لبعضهم: ما شأن الناس؟

قالوا: وما أنت من أهل البلد؟

قلت: لا.

قال: فإنّ سيد المسلمين مات اليوم.

قلت: من هو؟

قال: أُبيّ بن كعب.

فقلت في نفسي: والله ما رأيت كاليوم في الستر أشدّ ممّا سُتِر هذا الرجل[2].

وذكر المجلسي أيضاً قصّة اغتياله وموته المفاجِىء قبل خطبته في الجمعة[3].

وبينما قال الواقدي وابن سعد مات سنة ٣٠ هجرية[4]، قـال صـاحب الوافي بالوفيات: إنّه تُوفّي في سنة ٣٢ هجرية[5].

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٢٠٤.

(٢) تهذيب الكمال، المزي ١ / ٤٧٠.

(٣) البحار ٣١ / ٣٦٩، البحار ٢٨ / ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ٣١ / ٣٦٩.

(٤) صفة الصفوة ١ / ٢٤٦، تاريخ ابن عساكر ٤ / ٢٠٤.

(٥) الوافي بالوفيات ٦ / ١٩١.

وسنة وفاته في ٣٣ هجرية هي الأصحّ في نظرنا وهي سنة مجـيء جندب بن كعب إلى المدينة وهي سنة تفاعل أُبيّ بن كعب معه ورغبته في الانتقام له من عثمان.

وكان الجهاز الأموي لعثمان بن عفان وعلى رأسه مروان بن الحكم حاقداً على المسلمين السابقين ومنهم أُبيّ بن كعب وراغباً في قتلهم واشتدّت هذه الرغبة مـع إعلان أُبيّ بن كعب عن تصميمه على الإعلان في يوم الجمعة وفي المسجد النبوي عن الانتقام للمنفيين إلى المدينة من أمثال جندب بن جنادة.

وانتشار هذا الخبر في أوساط الصحابة والتحاق أُبيّ بالمعارضين السـياسيين للدولة دفع الدولة إلى قتله قبل ذكره للأسرار النبوية في حقّ عثمان وبطانته، وكانت الدولة تملك عيوناً في كلّ مكان تخبرها بأسرار الناس، وازدادت أعداد الجواسيس في زمن حكم الأمويين، وكان عثمان بن عفان قاسي الأخلاق يعتمد عـلى وزيـره مروان وولاته القساة معاوية والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وعبدالله بن عامر وعبدالله بن أبي سرح وكلّهم من الطغاة الملعونين على لسان رسول الله ﷺ وجميعاً يتّكلون على المكر والمكيدة وعلى رأسها الاغـتيال في خـنق الأنـفاس وتحـديد الحرّيات.

وفي وسط هذا الجوّ المضطرب أعلن أُبي بن كعب عن كلمته الخطيرة في خطبة الجمعة فخافت الحكومة من خطبته الإلهيّة فلم تمكّـنه مـن الوصـول إلى هـدفه المنشود بالإجهاز على حياته قبل يوم الجمعة!

نفي المعارضين

نفى عثمان كلّ من عارض حكمه ولو بعبارة مختصرة فوسع في نظرية النفي كثيراً وقد نفى الصالحين إلى خارج المدينة المنوّرة ووطن المنفيين بأمر رسـول الله ﷺ

مثل الحكم بن أبي العاص وابنه مروان! فكان مخالفاً لأوامر سيّد الرسل ﷺ.

والذين نفاهم عثمان بن عفّان من الصحابة والتابعين هم: ١ ـ نفيُ صاحب النبي ﷺ حذيفة بن اليمان إلى المدائن. ونفي كعب بن عبدة بن الصامت من الشام وغرب كعبا من المدينة الى الري غرب حمران بن أبان الى البصرة وغرب عبد الرحمن الجمحي الى القموس وغرب عمرو بن زرارة الى من الكوفة الى الشام وغرب عبد الرحمن بن حنبل الى خيبر بعد ضربه [(١)]. ٢ ـ نفيُ أبا ذر إلى الشام أوّلاً ثمّ نفاه إلى الربذة ليموت فوق رمال الصحراء الحارقة [(٢)]. ٣ ـ نفيُ مجموعة المؤمنين في الكوفة المعارضين لأعمال الوليد بن عقبة الفاجرة في شربه الخمر علناً وصلاته بالناس سكراناً وإدخاله اليهود المسجد الجامع ومن المنفيين مالك الأشتر وجندب بن جنادة [(٣)]. ٤ ـ نفيُ أبيّ بن كعب الأنصاري قبل قتله [(٤)].

وكان طلحة يرغب في الزواج من عائشة وعثمان يرغب في الزواج من أمّ سلمة [(٥)]. فنزل قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُوْلَ اللهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيْماً﴾** [(٦)].

٥ ـ ونفيُ عامر بن عبد قيس من البصرة إلى الشام ونفي أبا الدرداء [(٧)].

---

(١) الانساب ٥ / ٥٢، طبقات ابن سعد ٤ / ١٤٨، شرح النهج ١ / ٢٤٠، فتح الباري ٣ / ٢١٣، عمدة القاري ٤ / ٢٩١، تاريخ الطبري ٥ / ١٣٧، الرياض النضرة ٢ / ١٤٠.

(٢) تقريب المعارف، الحلبي ٢٣٠.

(٣) تقريب المعارف، الحلبي ٢٣٢.

(٤) تقريب المعارف، الحلبي ٢٦٢.

(٥) تقريب المعارف، الحلبي ٣٥٧.

(٦) الصراط المستقيم، العاملي، ٣ / ٣٢.

(٧) العقد الفريد ٤ / ٢٦٧، العواصم من القواصم، ابن عربي ٦١.

الفصل الثالث:

علاقة عثمان ـ عائشة

العداء الدموي بين الإثنين

بعدما اشترك عثمان في قضية اغتيال أبي بكر ونجح في هذا المجال وزوّر وصيّته إلى عمر ساءت العلاقة بين عائشة وعثمان بل ساءت العلاقة بين عثمان من جهة وأولاد أبي بكر وأرحامه من جهة أخرى.

قال ابن سعد صاحب كتاب الطبقات :كذبوا على عائشة في كيفية مقتل ابي بكر[1]. أي انها عرفت ذلك متأخرا .

فتحوّلت الكدورة إلى عداوات حادّة بين الجانبين تسبّبت في سقوط رؤوس وإزهاق أرواح كثيرة، وبقيت عائشة منتظرة للانتقام لأبيها، فأفتت بقتل عثمان بعد تكفيرها له.

وكان سقوط حكومة عثمان بفتوى عائشة: اقتلوا نعثلاً فقد كفر[2].

---

(١) الطبقات ٣ / ٢٠٧.

(٢) البحار ٣٣ / ١٤٣.

وفي كلّ صلاة جمعة في المسجد النبوي كانت عائشة تخرج قميص رسول الله ﷺ قائلة: هذا قميص رسول الله ﷺ لم يبل وعثمان أبلى شريعته[١].

وتتّهم الأحداث أمّ المؤمنين عائشة بمحاولتها قتل ثلاثة من زعماء المسلمين:

الزعيم الأوّل هو رسول الله ﷺ، بالاشتراك مع حفصة، فنجحت في هذا المضمار إذ جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: فسمّ قبل الموت أنّهما سمّتاه[٢].

فلقد سُقي النبي ﷺ سمّاً بعد أمره بحملة أسامة وأمره لأبي بكر وعمر وعثمان بالتوجّه إلى الشام وإبقائه عليّاً عليه السلام في المدينة تسهيلاً لأمر بيعته.

والمحاولة الثانية مع عثمان بن عفان المذنب بقتل أبيها الذي مات بالسمّ مع صاحبه عتاب بن أسيد، وطبيبه ابن كلدة. وازدادت الدهشة بمقتل طبيب العرب ابن كلدة الذي شخّص مقتل أبي بكر وصاحبه بالسمّ وعمليّات القتل هذه لا تقوى عليها غير الحكومات.

ولقد قادت أمّ المؤمنين عائشة الثورة على عثمان بإدارة عالية، مستغلّة صفتها كأمّ للمؤمنين وغرفتها الموجودة في مسجد النبي ﷺ. ورفدت هذا بروايتها لحديث نبوي يشبه فيه رسول الله ﷺ عثمان بنعثل اليهودي[٣].

ولمّا اشتعلت نار الثورة على عثمان أصدرت عائشة فتوتها الشهيرة بقتله: اقتلوا نعثلاً فقد كفر[٤].

فنجحت في عملية قتل عثمان تماماً.

---

(١) شرح النهج، المعتزلي ٣ / ٩، الإيضاح ٥١٦، الأمالي، الطوسي ٧١٤.

(٢) تفسير العياشي ١ / ٢٠٠، البحار ٢٢ / ٥١٦، ٢٨ / ٢١.

(٣) الفتوح، ابن أعثم ١ / ٦٤، نهج البلاغة ٣ / ٣.

(٤) الفتوح، ابن أعثم ١ / ٦٤.

وممّا قاله عثمان في ذمّ عائشة: إنّ هذه الزعراء عدوّة الله ضرب الله مثلها ومثل صاحبتها حفصة في الكتاب امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين صالحين فخانتاهما.. إلى قوله وقيل: ادخلا مع الداخلين[1].

وخفض عثمان راتبي عائشة وحفصة وكان إثني عشر ألف درهم لكلّ واحدة منهما.

في حين كان راتب أهل بدر ومنهم أمير المؤمنين علي عليه السلام خمسة آلاف درهم[2].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطي الرجال أكثر ممّا يعطي النساء، وساوى بين الرجال في العطاء.

وخالف ذلك أبو بكر وعمر وعثمان إذ فضّل أبو بكر ابنته عائشة وحفصة على سائر النساء والرجال، وفي النساء فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وفي الرجال علي بن أبي طالب عليه السلام!

وفضّلهما عمر على سائر النساء والرجال.

ولمّا أراد عثمان إزالة هذه الفضيلة الظالمة ثارتا عليه وكفّرتاه.

إذ سألتاه أن يعطيهما ما فرضه لهما عمر.

فقال عثمان: لا والله ما ذاك لكما عندي.

فقالتا: فآتنا ميراثنا من رسول الله صلى الله عليه وآله من حيطانه وكان عثمان متّكئاً فجلس وكان علي بن أبي طالب عليه السلام جالساً فقال: ألستما اللّتين شهدتما عند أبي بكر ولفّقتما

---

(١) التحريم ١٠، كشف الغمّة، الإربلي ١٠٧.

(٢) الإمامة والسياسة: ١١، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٠٦، الاستيعاب، ابن عبدالبرّ ٣ / ٤٧١، الإصابة ١ / ٥٦٢.

معكما أعرابياً يتطهّر ببوله مالك بن الأوس بن الحدثان فشهدتما معه أنّ النبي ﷺ قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة فرّة تشهدون أنّ ما تركه رسول الله صدقة ومرّه تطلبون ميراثه[1].

المحاولة الثالثة: لمّا بايع الناس عليّاً ﷺ بالخلافة أعلنت عائشة عن انتفاضتها الثانية وسعت لقيادة الحرب من مكّة، ولفشلها في قيادة أهل الحجاز ضدّ الإمام علي ﷺ فقد اختارت أهالي البصرة ليكونوا جندها.

وتمكّنت عائشة من تجنيد جيش جرّار يمكنه القضاء على دولة قوية؛ لكنّها فشلت في سعيها لقتل علي ﷺ بعدما نجحت في قتل رسول الله ﷺ، ولولا النصر الإلهي لجيش أمير المؤمنين علي ﷺ لانتصرت عائشة بجيشها الأكثر عدداً، ولأصبحت أوّل امرأة رئيسة في العالم الإسلامي، خلافاً لقول خاتم الأنبياء: لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة[2].

ولمّا سار الخوارج على نفس المنهج في الرغبة في قتل علي ﷺ وأفلحوا في ذلك اعتبرت عائشة ذلك انتصاراً لنظريّتها ففرحت وأظهرت سروراً بذلك، على أنّه طاعة لأمرها، ومدحت قاتل علي ﷺ عبدالرحمن بن ملجم، فأسمّت خادمها عبدالرحمن.

قائلة: فألقت عصاها واستقرّ بها النوى ـ كما قرّ عيناً بالإياب المسافر[3].

احتجاج عائشة

وذكر الطبري في تاريخه والثقفي في تاريخه: جاءت عائشة إلى عثمان، فقالت:

---

(١) الإيضاح، ابن شاذان ٢٥٨، الأمالي، المفيد ٦٧.

(٢) المغني، ابن قدامة ١١ / ٣٨١، كنز العمال ٦ / ٧٩، البحر الزخار ٦ / ١١٨، الخلاف، الطوسي ٦ / ٢١٣.

(٣) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الإصفهاني ٣٦، الجمل، المدني ٢٦، تاريخ الطبري ٥ / ١٥٠ ط ١، ج ١ / ٣٤٦٦.

أعطني ما كان يعطيني أبي وعمر.

قال: لا أجد له موضعاً في الكتاب ولا في السنّة، ولكن كان أبوك وعمر يعطيانك عن طيبة أنفسهما وأنا لا أفعل.

قالت: فأعطني ميراثي من رسول الله ﷺ.

قال: أوَلم تجيء فاطمة ﷺ تطلب ميراثها من رسول الله ﷺ فشهدت أنتِ ومالك بن أوس البصري أنّ النبي ﷺ لا يورِّث، وأبطلتِ حقّ فاطمة ﷺ! لا أفعل[1].

وزاد الطبري قائلاً: وكان عثمان متّكئاً، فاستوى جالساً وقال: ستعلم فاطمة أيّ ابن عمّ لها منّي اليوم، ألستِ وأعرابي يتوضّأ ببوله شهدتِ عند أبيك![2]

وقال الطبري والثقفي: في تاريخهما: فكان إذا خرج عثمان إلى الصلاة أخرجت قميص رسول الله ﷺ وتنادي: إنّه قد خالف صاحب هذا القميص[3].

وزاد الطبري يقول: هذا قميص رسول الله ﷺ لم يبل وقد غيّر عثمان سنّته، اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً[4].

وذكر الثقفي في تاريخه، عن موسى التغلبي[5]، عن عمّه قال: دخلتُ مسجد المدينة فإذا الناس مجتمعون، وإذا كفّ مرتفعة وصاحب الكفّ يقول: يا أيّها الناس العهد حديث، هاتان نعلا رسول الله ﷺ وقميصه، إنّ فيكم فرعون أو مثله، فإذا هي عائشة تعني عثمان، وهو يقول: اسكتوا، إنّما هذه امرأة رأيها رأي المرأة وعقلها

---

(١) تقريب المعارف، الحلبي ٢٨٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) في البحار: «الثعلبي».

عقل المرأة[١].

وذكر في تاريخه أيضاً قوله: رفَعَتْ عائشة ورقات من ورق المصحف بين عودين من وراء حجابها وعثمان على المنبر، فقالت: يا عثمان أقم ما في كتاب الله، إن تُصاحَب تُصاحَب غادراً وإن تُفارَق تُفارَق عن قِلىً.

فقال عثمان أما والله لتنتهينّ أو لأُدخلنّ عليكِ حمران الرجال وسودانها.

قالت عائشة: أما والله إن فعلت لقد لعنك رسول الله ﷺ، ثمّ ما استغفرَ لكَ حتىٰ مات[٢].

وذكر أيضاً: أخرجت عائشة قميص رسول الله ﷺ، فقال لها عثمان: لئن لم تسكتي لأملأنّها عليك حُبْشاناً.

قالت: يا غادر يا فاجر أخرَبتَ أمانتك ومزّقت كتاب الله، ثمّ قالت: والله ما ائتمنه رجل قطّ إلّا خانه، ولا صحبه رجل قط إلّا فارقه عن قِلىً.

ونظرت عائشة إلى عثمان فقالت: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾[٣]. فالآية نازلة في حقّ عثمان.

وذكر فيه، عن عكرمة: أنّ عثمان صعد المنبر، فأطلعت عائشة ومعها قميص رسول الله ﷺ، ثمّ قالت: يا عثمان أشهدُ أنّك بريء من صاحب هذا القميص.

فقال عثمان: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِيْنَ كَفَرُوا﴾ الآية[٤].

وأخرجت عائشة مرّة قميص رسول الله ﷺ وشعره وقالت: هذا قميصه

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تقريب المعارف، الحلبي ٢٨٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) التحريم ٦٦: ١٠.

وشعره لم يبليا وقد بلىٰ دينه[١].

عن أبي عامر مولىٰ ثابت قال: كنتُ في المسجد فمرّ عثمان.

فنادته عائشة: يا غادر يا فاجر أخرّبتَ أمانتك وضيّعت رعيّتك، ولولا الصلوات الخمس لمشىٰ إليك رجال حتّىٰ يذبحوك ذبح الشاة.

فقال لها عثمان: ﴿امْرَأَةُ نُوحٍ وَامْرَأَةُ لُوطٍ﴾[٢].

ومرّة صعد عثمان المنبر، فنادت عائشة ورفعت القميص فقالت: لقد خالفتَ صاحب هذا.

فقال عثمان: إنّ هذه الزعراء عدوّة الله، ضرب الله مثلها ومثل صاحبتها حفصة في الكتاب: ﴿امْرَأَةُ نُوحٍ وَامْرَأَةُ لُوطٍ﴾[٣].

فقالت له: يا نعثل يا عدوّ الله إنّما سمّاك رسول الله ﷺ باسم نعثل اليهودي الذي باليمن، ولاعنته ولاعنها[٤].

هذه السيرة التي ذكرناها لرموز من الصحابة في تلك الأيّام تبيّن عدم تعبّدهم بالنصوص الشرعية وترجيحهم الزعامة والجاه والمال عليها، وهي أعظم فتنة سقط فيها اليهود والنصارىٰ والمسلمون. وكان رسول الله ﷺ قد قال أقبلت الفتن.

وقال ﷺ: لتحذونّ حذو اليهود والنصارىٰ حذو النعل بالنعل وحذو القذّة بالقذّة فلو دخلوا جحر ضبّ دخلتموه[٥].

---

(١) تاريخ الدول، أحمد بن يوسف الدمشقي، القرماني، ٩١.

(٢) المصدر السابق، التحريم ٦٦: ١٠.

(٣) التحريم ٦٦: ١٠.

(٤) تاريخ الدول، احمد بن يوسف الدمشقي ٩١.

(٥) ينابيع المودّة، القندوزي ٣ / ٢٨٣، المستدرك، الحاكم ٣ / ١٤٠، النهاية، ابن الأثير ١ / ٣٤٤، لسان العرب ١٤ /

قتلته غافلة عن كونها زعيمة من شارك في قتله!

فأفتت مرّتين دون حقّ وبلا صلاحية للفتوىٰ مرّة بقتل عثمان ومرّة بقتل قاتليه، في المرّة الأولىٰ نجحت في تحريك الناس لقتله فقتلوه(١).

ومرّة بقتل قاتليه فقتلت عشرين ألف مسلم في معركة الجمل(٢).

وكتب الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام رسالة إلى طلحة والزبير وعائشة قبل معركة الجمل جاء فيها:

وأنتِ يا عائشة فإنّكِ خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ثمّ تزعمين أنّك تريدين الإصلاح بين المسلمين فخبّريني ما للنساء وقود الجيوش والبروز للرجال والوقوع بين أهل القبلة وسفك الدماء المحرّمة؟ ثمّ إنّكِ طلبت علىٰ زعمك دم عثمان وما أنتِ وذاك؟ عثمان رجل من بني أمية وأنتِ من تيم، ثمّ بالأمس تقولين في مَلأ من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله: اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر، ثمّ تطلبين اليوم بدمه! فاتّقي الله وارجعي إلى بيتك والسلام(٣).

وكان طلحة بن عبيدالله قد أعلن عن رغبته بالزواج من عائشة بعد شهادة النبيصلى الله عليه وآله، وأعلنت عائشة عن رغبتها في إيصال طلحة بن عبيدالله التيمي إلى الحكم بعد عثمان وفرحت باستلامه مفاتيح بيت المال وواصلت الرحيل من مكّة إلى المدينة لتشارك في تتويج طلحة خليفة وقالت: إيه ذا الإصبع(٤).

وفي أثناء سفرها من مكّة إلى المدينة كانت مستمرّة في برنامجها في بيان مثالب

---

(١) الفتوح، ابن أعثم ١ / ٦٤.

(٢) جواهر المطالب، ابن الدمشقي ٢ / ٢٢.

(٣) الغدير ٩ / ٨١.

(٤) شرح النهج ٦ / ٢١٥، أنساب الأشراف ٢١٧.

عثمان وتوجيه فتواها بقتله وإهدار دمه.

وقبل وصولها المدينة المنوّرة التقت بمسافر قادم من المدينة وهو عبد ابن أمّ كلاب، فأخبرها بفشل طلحة في اطروحته وانتخاب الناس لعلي بن أبي طالب عليه السلام فغضبت لطلحة، وجزعت من الحياة وقالت ردّوني إلى مكّة قُتِلَ والله عثمان مظلوماً والله لأطلبنّ بدمه افقال لها ابن أمّ كلاب: ولم فوالله إنّ أوّل مَن أمال حرفه لأنتِ، وقد كنتِ تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر.

قالت: إنّهم استتابوه ثمّ قتلوه وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأوّل فقال لها ابن أمّ كلاب:

فمنك البداء ومنك الغير	ومنك الرياح ومنك المطر
وأنتِ أمرتِ بقتل الإمام	وقلت لنا: إنّه قد كفر
فهبنا أطعناك في قتله	وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا	ولم تنكسف شمسنا والقمر
بايع الناس ذا تدر	يزيد الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أثوابها	وما من وفى مثل من غدر

فأعلنت في الكعبة: يا أيّها الناس إنّ عثمان قُتل مظلوماً والله لأطلبنّ بدمه[1].

وقالت لها أمّ سلمة: أبدم عثمان تطلبين فوالله إن كنتِ لأشدّ الناس عليه وما كنتِ تدعينه إلّا نعثلاً أم على علي بن أبي طالب تنقمين وقد بايعه المهاجرون والأنصار وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لك فيه:

والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي وغيرهم إلّا خرج من الايمان وإنّه مع الحق

(١) الفتنة ووقعة الجمل، سيف بن عمر الضبي ١١٦.

والحقّ معه تذكرين هذا؟

قالت عائشة: نعم[١].

لذا من سبر غور القرشيين، وعرف أساليب المكّيين، ودرس أحوال الجاهليين يدرك مرتبة المكر والاحتيال التي كان عليها زعماء الحزب القرشي أبو سفيان ومعاوية وابن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة والحكم بن أبي العاص وابنه مروان وأبو بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة وابن الجراح وابن عوف.

ولشدّة دهائهم في هذا المجال فقد قتل بعضهم البعض الآخر، وافتتن المسلمون بمشاريعهم وأهدافهم.

ولولا انقسام الحزب القرشي على نفسه في أيّام عثمان، ومجيء أبطال الكوفة والبصرة وأفريقيا إلى المدينة ما وصل وصي المصطفىﷺ إلى الخلافة.

وكانت عائشة بدرجة من المكر والدهاء أن خاف معاوية على نفسه وولده يزيد منها فألحقها موتاً بأبيها.

وكانت عرب الجاهلية تأنف من قتل النساء وضربهنّ فما الذي حدىٰ بمعاوية إلى قتل عائشة بنت أبي بكر!

وما تجرّع رسول اللهﷺ من هؤلاء لا تصفه الأقلام وتعجز عن ذكره الألسن.

وقالت أمّ سلمة لها :قال لكِ رسولُ اللهﷺ وضرب على ظهركِ: أترين يا حميراء إنّ لأمّتي منك يوماً مُرّاً.

وستنبحك كلابُ الحوأب، وتكونين ناكبة عن الصراط[٢].

---

(١) المعيار والموازنة، الإسكافي ٢٨.

(٢) المعيار والموازنة ،الاسكافي ٢٨.

وقالت أمّ سلمة لعائشة أتذكرين قول رسول الله ﷺ لكِ ولأبيكِ وعمر حينما سألاه عن خليفته في أمّته فقال: خاصف النعل، وعلي بن أبي طالب ﷺ جالس في بيته يخصف نعل رسول الله ﷺ.

قالت عائشة: نعم[1].

وسار عمرو بن العاص الداهية على منهج عائشة في الفتنة إذ ادّعىٰ أوّلاً افتخاره بقتله لعثمان.

ولما قُتل عثمان وأعطاه معاوية مصر طعمة له ولأهله طالب بدم عثمان! فقال في فتنته في صفين:

يا أيّها الجند الصليب الإيمان	قوموا قياماً واستعينوا الرحمن
إنّي أتاني خبر فأشجان	أنّ عليّاً قتل ابن عفان

ردّوا علينا شيخنا كما كان

فقال أهل العراق:

أبت سيوف مذحج وهمدان	بأن تردّ نعثلاً كما كان
خلقاً جديداً مثل خلق الرحمن	ذلك شأن قد مضىٰ وذا شان[2]

اغتيال أمّ المؤمنين عائشة سنة ٥٨ هـ

السؤال المفروض هنا: هل قتل معاوية لعائشة له علاقة بقتل عائشة لعثمان؟

في زيارة معاوية للمدينة لأخذ البيعة لابنه يزيد عارضه الكثير من الصحابة لفسق يزيد وجهله، وعندها قرّر معاوية الانتقام منهم وبالخصوص من قتلة عثمان

(١) المعيار والموازنة ٢٩.

(٢) وقعت صفين، المنقري ٢٢٨.

بن عفان فأمر بقتل عبدالرحمن بن أبي بكر وأخته عائشة بنت أبي بكر. وقد قَتَلَ الإثنين غيلة.

إذ قَتل معاوية عبدالرحمن بالسمّ كما قتل عثمان أبا بكر بالسمّ سابقاً! ودفنه حيّاً[١].

وقتل معاوية عائشة بحفر بئر لها، وغطّىٰ فتحة ذلك البئر عن الأنظار[٢]. وأرسل إلى عائشة لتأتيها ولمّا جاءته سقطت في ذلك البئر.

لماذا ترك عثمان عائشة وقتلها معاوية

لقد بيّن سيد الرسلﷺ إقدام الصحابة من بعده على قتل بعضهم البعض كاليهود[٣].

وقاد هذه الاغتيالات رجال الحزب القرشي وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان.

فقام عثمان مع عمر باغتيال من يقف في طريق وصوله إلى السلطة وعلى رأسهم أبو بكر ثمّ أبو عبيدة بن الجرّاح.

ولمّا وصل عثمان إلى السلطة كانت أسرة أبي بكر ناقمة عليه ومترقّبة لفرصة الإجهاز عليه.

ومن عادة رجال الاغتيال قتل أولاد وأتباع ضحاياهم لمنع حالات الانتقام المحتملة من قبلهم.

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٨ / ١٢٣، المستدرك، الحاكم ٣ / ٤٧٦.

(٢) كتاب حبيب السير، غياث الدين بن همام الدين الحسيني ص ٤٢٥.

(٣) البحار ٩ / ١٨٠، ٥٢ / ١٨٢، سنن ابن ماجة ٢ / ١٣٠٩، سنن أبي داود ١ / ٤٣٩.

فهل أخطأ عثمان في عدم قتله لعائشة وعبدالرحمن ومحمّد أولاد أبي بكر وطلحة ابن عمّه في بداية وصوله للسلطة؟

فعائشة أفتت بقتله والبقية قتلوه.

وإقدام معاوية على قتل عائشة ومحمّد وعبدالرحمن هيّأ الأرضية لحكومة يزيد.

فهل أدرك معاوية خطأ عثمان في هذا الجانب وغفلته عنه أم أنّه حدث صدفة؟

إنّ إقدام مروان على قتل طلحة وإسراع معاوية إلى قتل محمّد وعائشة وعبدالرحمن يبيّن إدراك الأمويين لخطئهم في قتل أبي بكر وإبقاء عائلته، لذا قتل معاوية عبدالرحمن بن أبي بكر وترك عبدالله بن الزبير!

فرغم المكر الواضح في حركات وسكنات عبدالله بن الزبير اهتمّ معاوية بعائلة أبي بكر خوفاً من عائشة وعبدالرحمن.

فلقد خاف معاوية من فتوى ثانية من عائشة في قتل يزيد هذه المرّة وإقدام عبدالرحمن على إطاعتها في هذا المجال.

وكانت عائشة قد ثارت على معاويه لقتله أخيها عبدالرحمن وتخاصمت علناً مع مروان بن الحكم والي معاوية على المدينة فألحقها معاوية بأخويها عبدالرحمن ومحمّد في سنة ٥٨ هجرية.

وكانت العداوة بينها وبين بني أميّة قد بلغت ذروتها. لكنّهم أضعفوها بقتلهم لأخويها محمّد وعبدالرحمن واغتيالهم لابن عمّها طلحة.

فقال ابن كثير في البداية والنهاية إنّ عائشة وعبدالرحمن بن أبي بكر ماتا في

سنة واحدة[١].

وماتت عائشة وعمرها ٦٧ سنة[٢].

وقال صاحب المصالت: كان (معاوية) على المنبر يأخذ البيعة ليزيد (في المدينة) فقالت عائشة: هل استدعى الشيوخ لبنيهم البيعة[٣]؟

قال: لا.

قالت: فبمن تقتدي؟

فخجل، وهيّأ لها حفرة فوقعت فيها وماتت[٤].

فقال عبدالله بن الزبير يعرض بمعاوية:

لقد ذهب الحمار بأمّ عمرو ... فلا رجعت ولا رجع الحمار[٥]

وللتغطية على اغتيالها أشاع الأمويون بأنّها أمرت أن تُدفن ليلاً[٦]!

فدفنوها ليلاً ، والدفن ليلاً مكروه في الشريعة الإسلامية لكن رجال الحزب القرشي دفنوا الكثير ليلاً وعلى رأسهم أبوبكر ، وكان معاوية عارفاً بأهداف عائشة وغاياتها في إرجاع الحكم من بني أمية إلى بني تيم لذا قتلها وقتل أخيها عبدالرحمن، ولولا ذلك لقادت عائشة حركة كبيرة لصالح أخيها عبدالرحمن بعد موت معاوية.

وقتلوا الأمويون كلّ شخص شارك في إراقة دماء عثمان فقتلوا محمّدا

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٨ / ٩٦ طبعة دار إحياء التراث العربي.

(٢) المصدر السابق ٨ / ١٠١.

(٣) أي هل أوصى أبو بكر وعمر لأبنائهم.

(٤) الصراط المستقيم ٣ / باب ١٢ / ٤٥

(٥) الصراط المستقيم ٣ / باب ١٢ / ٤٦

(٦) تهذيب الكمال ٣٥ / ٢٣٥، الطبقات الكبرى ٨ / ٧٧.

وعبدالرحمن ابني أبي بكر وأزهقوا روح طلحة بن عبيدالله، وبقيت عائشة.
فختم معاوية حياته السياسية بقطع أنفاسها تشفّياً وانتقاماً لعثمان.

ردع معاوية الناس من البكاء على عائشة

وكان حقد الأمويين على عائشة كبيراً؛ لأنّها صاحبة فتوى إهدار دم عثمان فنعوا البكاء عليها.

قال ابن خلّكان:

«ماتت في خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين ولها سبع وستّون سنة ودفنت بالبقيع، ولمّا ماتت بكىٰ عليها ابن عمر، فبلغ ذلك معاوية (الموجود يومها في المدينة) فقال له: أتبكي على امرأة؟

فقال: إنّما يبكي على أمّ المؤمنين بنوها، وأمّا من ليس لها بابن فلا»[1].

نلاحظ في هذا الحديث الدائر بين معاوية وبين ابن عمر بينهما: تهكّم معاوية من بكاء ابن عمر عليها، وإجابة عبدالله بن عمر القوية.

وجواب عبدالله بن عمر يستشفّ منه اتّهاماً منه لمعاوية بالخروج عن الدين لقتله عائشة أمّ المؤمنين.

ونظرية معاوية هي ذات نظرية معلّمه عمر بن الخطاب في جواز البكاء على الموتىٰ ومنع البكاء على المخالفين لها.

دفن عائشة ليلاً

ودفنت عائشة ليلاً[2] دون تشييع جماهيري مثلما دفن أبوها ليلاً[3] ودون

(١) وفيّات ابن خلّكان ٣ / ١٦.

(٢) الطبقات الكبرىٰ، ابن سعد ٨ / ٧٧ طبعة دار صادر ـ بيروت.

(٣) الطبقات الكبرىٰ ٣ / ٢٠٧.

تشييع جماهيري.

وهذه فاجعة لعائلة ابي بكر أن لا يتمّ تشييع جماهيري لكلّ أفراد عائلة أبي بكر! إذ دفنوا أبا بكر وعائشة ليلاً.

وأحرقوا جثّة محمّد بن أبي بكر[1].

ودفنوا عبدالرحمن بن أبي بكر حيّاً[2].

وقتلوا طلحة بن عبدالله في وسط أرض المعركة غدراً[3].

ومع هذا الغدر والقتل مجّد الأمويون أبا بكر بعد مماته حقداً منهم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ممّا يبيّن كراهيّتهم لأبي بكر وعلي ﷺ لكنّهم يلعبون على حبال السياسة والدين! وتغطية لعملهم الشنيع بقتل أبي بكر وأفراد عائلته.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق، ترجمة محمّد بن أبي بكر.

(٢) المستدرك، الحاكم ٣ / ٤٧٦.

(٣) المعارف ابن قتيبة ص ٢٢٩.

الفصل الرابع:

طمس معالم الثورة

طمس الثورة الإسلامية ضياع لتراث المسلمين

السؤال الأوّل هنا: هل شارك الإمام علي عليه السلام في الثورة الإسلامية الكبرىٰ؟ الجواب في هذا الباب.

قال الله تعالىٰ في محكم كتابه الشريف:

﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[1].

فالوليد الفاسق أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين أخباراً زائفة عن كفر القبيلة العربية التي بُعث إليها (بني المصطلق) فنزلت فيه هذه الآية، فالفسق ينطبق على كلّ شخص يكفّر المسلمين ويشوّه صورتهم وحقيقتهم[2].

وفي زمن عثمان بن عفان حدثت أعظم ثورة إسلامية في تاريخ المسلمين شارك فيها المهاجرون والأنصار ومسلمو الكوفة والبصرة ومصر.

---

(١) الحجرات: ٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٠، مجمع البيان، الطبرسي ٩ / ١٣٢.

وهي أوّل ثورة إسلامية عارمة يشارك فيها الرجال والنساء والعجزة والصبيان فهي ثورة الدين والخبز وانتفاضة الحقّ والعدل. ساهم فيها أولاد الرؤساء وإخوانهم ورجال بدر وأحد وحنين. فمن أراد تصويب رأي عثمان وتخطئة الأمّة الإسلامية فليتريّث وعليه أن يعلم أن رأيه مخالف لإجماع المسلمين وحقوق المؤمنين ونواميس السماء وعدالة البشرية، وجاء في القول: الساكت عن الحقّ شيطان أخرس.

ومن علامات المنافقين عند خاتم الأنبياء ﷺ الكذب فكانوا يعرفون المنافق بافترائه وخيانته العهد وخيانة الأمانة، فمن أراد الحشر مع المنافقين في أسفل الجحيم فليدخل في جملتهم وليكتب ارجافات الملوك وارهاصات وعّاظهم وتخرّصات كتابهم.

لقد شارك معظم أهالي العاصمة الإسلامية في الثورة على عثمان: فمن الجماعة المحسوبة على النظام شارك في الثورة عائشة بنت أبي بكر وحفصة.

وشارك في الثورة على عثمان ونظامه الفاسد رجال مجلس الشورىٰ وهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام. وشارك في الثورة محمّد بن أبي بكر وعبدالرحمن بن أبي بكر وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس وأمّ سلمة.

وساهم في تلك الثورة الإسلامية العظمىٰ الصحابة الأوائل المقداد بن عمرو وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود ومحمّد بن أبي حذيفة الأموي.

وساهم فيها الولاة السابقون مثل عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك. وشارك فيها زعماء الأنصار قيس بن سعد بن عبادة وسهل بن حنيف

وعثمان بن حنيف وجابر بن عبدالله الأنصاري ورفاعة بن رافع أبو معاذ الأنصاري والحجاج بن غزية الأنصاري القائل: والله لو لم يبق من عمر عثمان إلّا بين الظهر والعصر لتقرّبنا إلى الله بدمه.

ومنهم أبو أيوب الأنصاري البدري الذي خطب مشيداً بالإمام علي عليه السلام وذامّاً لمن سبقه. وانظمّ إلى الثوار زعيم الكوفة مالك الأشتر، فلم يبق من جموع أهل المدينة المنوّرة إلّا كعب بن مالك وحكيم بن حزام وزيد بن ثابت وعبدالله بن سلام اليهودي[1].

ممّا يعني مساهمة شعبية في الثورة تساوي أكثر من ٩٩ بالمائة من جموع المسلمين وهي نسبة عظيمة في مساهمة الناس في الثورات العالمية.

فهل يعقل تكفير الأنصار والمهاجرين وباقي المسلمين لإنقاذ عثمان من أعماله وأفعاله. وإذا كفّرنا هذه السيول البشرية وهذه الجموع الجماهيرية وهي الأمّة الحاملة للإسلام والسابقة إليه والمشاركة في الحروب الحاسمة وبيعة العقبة والرضوان والغدير فهل يبقَ للإسلام منزلة؟

لقد أراد معاوية تشويه الدين وإسقاط القيم وتحطيم التراث المحمّدي بتكفيره أهالي المدينة وتجسّد دوره في هجوم جيش ابنه يزيد على المدينة وقتله للصحابة وأطفالهم وسرقته ممتلكاتهم وإحراقه الكعبة وقتله الإمام الحسين عليه السلام.

وشوّه معاوية تراث الثورة وقتل الأمويون رجالها من أمثال طلحة بن عبيدالله ومحمّد بن أبي بكر، ومحمّد بن أبي حذيفة وعمار بن ياسر ومالك الأشتر وعائشة بنت أبي بكر وعبدالرحمن بن أبي بكر وحجر بن عدي الكندي وأصحابه

(١) شرح النهج ١ / ٢٣٩، الإمامة والسياسة ١ / ٢٩، العقد الفريد ٢ / ٢٧٢.

وعمرو بن الحمق الخزاعي، وعبدالله بن مسعود وأبي ذر الغفاري.

وبذل ملوك الدولة الأموية الأموال الطائلة في سبيل إثبات خطأ الثوّار وفسقهم ومظلومية عثمان بن عفّان. وسار المؤرّخون المنحرفون على هذا النهج الباطل العقيم من أمثال الذهبي وابن كثير. فبرّروا مقتل أبي ذر وعبدالله بن مسعود وبرّروا استحواذ عثمان على أموال المسلمين بحجج واهية لا أساس لها قائمة على الكذب والبهتان.

إنّ ترجيح كفّة عثمان على كفّة المسلمين نابع من الزيغ والكفر إذ أفتى بانحرافه عبدالرحمن بن عوف الذي عيّنه خليفة قائلاً: إنّه خان ما تعهّد به في السير على سنّة النبي ﷺ ومنهج الشيخين.

وأفتت عائشة بتبديله دين المصطفى ﷺ واستحقاقه للقتل قائلة: اقتلوا نعثلاً فقد كفر[1].

وقتل عثمان أبا ذر الغفاري وعبدالله بن مسعود والمقداد بن عمرو وعبدالرحمن بن عوف والقصاص الإسلامي يحكم عليه بالموت. **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**[2].

وهؤلاء المقتولون بيده أسبق منه في الإسلام وأكثر تضحية للدين بمشاركتهم في حروب المسلمين وفراره منها ومبايعتهم في الرضوان وانهزامه عنها. وقد وصف النبي ﷺ أبا ذر قائلاً: ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء، أصدق لهجة من أبي

---

(١) الفتوح، ابن أعثم ١ / ٦٤، نهج البلاغة ٣ / ٣، الإيضاح، ابن شاذان ٢٥٧، الجمل، المدني ٢٤، شرح النهج ٦ / ٢١٥، البحار ٣١ / ٢٩٦.

(٢) البقرة: ١٧٩.

ذر[1].

بينما نقلت عائشة وحفصة قول النبي ﷺ في عثمان: إنّه نعثل اليهودي[2].

وبينما شوّه المرتزقة والمنافقون أحداث الثورة ورجالها ذكر المخلصون الأسباب الحقيقية لها ورجالها ورموزها وأخطاء عثمان القاتلة في الجوانب السياسية والدينية والمالية.

وذكروا مناقب عثمان المزيّفة في العهد الأموي وبيّنوا الأقوال الأموية في تشويه الحديث والسيرة. فاعترفوا بانحراف عثمان عن سيرة المصطفى ﷺ وشريعة الرحمن سبحانه وتعالىٰ واغتصابه أموال المسلمين لصالح بني أمية، وخياناته للعهود وبالأخصّ عهده للوفد المصري ثمّ محاولته قتلهم ونقض عقده معهم[3].

وعثمان متخصّص في نقض العهود وتزوير الكتب على لسان الناس فأراد الله سبحانه وتعالىٰ فضحه على أعين الناس جميعاً.

فهو الذي قتل أبا بكر وزوّر وصيّته لعمر، ولمّا سألوه لماذا لم يكتب أبو بكر وصيّته بخطّ يده احتار في الإجابة ثمّ قال: لأنّه أُغمي عليه فكتبتها أنا! ولمّا أفاق أيّدها.

وهذا كلام لا يعقله العقلاء؛ لأنّ الوصية تحتاج إلى شاهدين إذ جمع رسول الله ﷺ الناس في بيته للوصية إلى الإمام علي عليه السلام ورغم كونه نبيّاً ويقظاً قال عنه

(١) تذكرة الحفاظ، الذهبي ١ / ١٨، المستدرك، الحاكم ٣ / ٣٤٢، ٣٤٤، كنز العمال، ٨ / ١٥، مجمع الزوائد ٩ / ٣٣٠، الإصابة ٤ / ٦٣.

(٢) الإيضاح، ابن شاذان ٢٦٢، الصراط المستقيم ١ / ١٨، الجمل، المدني ١٩.

(٣) البحار ٣١ / ١٦١، شرح النهج ٢ / ١٤٩، ٣ / ٢٣، تاريخ المدينة، ابن شبة ٤ / ١٥١، نهاية الإرب ١٩ / ٥٠٩، العواصم من القواصم ١٢٧، تاريخ الخميس ٢ / ٢٦١، تاريخ الطبري ٣ / ٤٠٦، تاريخ ابن خلدون ٢ / ١٤٧، الاستغاثة، الكوفي ١ / ٦٢، الجمل، المفيد ٧١.

أبو بكر وعمر وعثمان يهجر[1].

فكيف لم يهجر أبو بكر المغمىٰ عليه؟ وكيف نصدِّق عثمان في ادّعائه الواهي في وصيّة أبي بكر؟ وتعهّد الله تعالىٰ في بيان الحقائق في العالم فلم يسمح لعثمان في تزوير حادثة ثانية في حقّ محمّد بن أبي بكر. إذ اجتمع الناس في المسجد النبوي وتعهّد لهم عثمان بضمانة أمير المؤمنين علي عليه السلام على:

١ ـ خلع عبدالله بن أبي سرح عن ولاية مصر وأفريقيا.

٢ ـ تكون الولاية في مصر وأفريقيا لمحمّد بن أبي بكر.

فوقّع عثمان الكتاب وشهد الإمام علي عليه السلام والمؤمنون.

وكان المسلمون قد ضجروا خيانات عثمان المتكرّرة وأقواله التي لا يحترمها وعهوده التي لا يلتزم بها، فكان ذلك العهد الخطّي الشاهد الأخير على صدق أو كذب عثمان.

وبقي المسلمون ينتظرون النتيجة هل تتأكّد اعتقادات الناس في سير عثمان على نظرية التزوير والاختلاق. أم يخالف عثمان نظريّته السابقة ويعطي صورة جديدة لنفسه عند المسلمين.

وما أن مضت عدّة أيّام حتىٰ تأكّدت الصورة القديمة عند الصحابة وجزمت الأمّة بغشّ عثمان والأمويين.

إذ أرسل عثمان غلامه الأسود إلى والي مصر عبدالله بن أبي سرح على فرسه وأعطاه رسالته السرّية إليه القاضية بإبطال عهد عثمان إلى محمّد بن أبي بكر بولاية مصر والاحتيال في قتله وأفراد الوفد المصري.

---

(١) صحيح البخاري ٢ / ١١٨، مسند أحمد ١ / ٣٥٥، صحيح مسلم ١ / ٢٣٢، الطبقات ٢ / ٢٤٣، ٢٤٤.

ووضع عثمان رسالته المذكورة في أنبوبة الماء كي لا يعثر عليها أعداء الحكومة، وطلب منه عثمان السير إلى مصر مسرعاً والابتعاد عن الطريق العام كي لا يلتقي بالوفد المصري. لكن رجال الوفد المصري العائد إلى مصر شاهدوا عن بعدٍ فارساً مسرعاً طالباً أو مطلوباً متوجّهاً إلى مصر فشكّوا في أمره فطاردوه ومسكوه. فسألوه عن أمره واسمه فكذب عليهم ولم تقنعهم إجابته فاجتمعوا عليه للتيقّن من قضيّته فعرفه بعضهم أنّه غلام عثمان وعرفوا ناقة عثمان.

ففتّشوه فعثروا على رسالة عثمان السرّية إلى والي مصر عبدالله بن أبي سرح القاضية ببقائه في السلطة والاحتيال في قتل رجال الوفد المصري.

فختم الوفد المصري الرسالة وختمها بعض الحجاج المصريين وعادوا إلى المدينة، فجمعوا الناس بحضور الإمام علي عليه السلام وفتحوا الرسالة. فانكشف وجه عثمان الحقيقي للحاضرين فلم يشكّك الناس في وجوب عزل عثمان أو قتله. ولمّا امتنع عثمان عن الاستقالة أُجبروا على قتله، ولو استقال، لكان أفضل له وللأمّة؛ لكنّه حرص على السلطة حرصاً أصبح معه الموت أمراً سهلاً عنده[1].

السياسة الإسلامية والسياسة العلمانية

هناك نوعان من السياسة الأولىٰ السياسة الإسلامية القائمة على الصدق والأمانة والوفاء بالعهود والوعود والثانية السياسة العلمانية القائمة على الكذب والخيانة ونقض العهود فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام مصداقان للسياسة الأولىٰ

---

(١) البحار ٣١ / ١٦١، شرح النهج ٢ / ١٤٩، ٣ / ٢٣، تاريخ المدينة، ابن شبة ٤ / ١٥١، نهاية الإرب ١٩ / ٥٠٩، العواصم من القواصم ١٢٧، تاريخ الخميس ٢ / ٢٦١، تاريخ الطبري ٣ / ٤٠٦، تاريخ ابن خلدون ٢ / ١٤٧، الاستغاثة، الكوفي ١ / ٦٢، الجمل، المفيد ٧١.

وكان عثمان وعائشة مصداقان للسياسة الثانية.

فقد أفتت عائشة بقتل عثمان: اقتلوا نعثلاً فقد كفر، ونفذ ذلك طلحة وعبدالرحمن بن أبي بكر ثمّ أنكرت عائشة أقوالها. فقالت عائشة: مُصْتُمُوه مَوْصَ[1] الإناء حتىٰ تركتموه كالثوب الرخيص[2]، نقيّاً من الدنس، ثمّ عدوتم فقتلتموه!

قال مروان: فقلت لها: هذا عملكِ، كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه!

فقالت: والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبت إليهم بسوادٍ في بياض، حتىٰ جلست في مجلسي هذا[3].

وكانت فتواها أقوىٰ من كتاباتها ثمّ كتبت للأمصار!

وندمت عائشة على أفعالها في أواخر أيّام حياتها ثمّ عاودت الكرّة ثانية إلى أفعالها، وهكذا ندم وتكرار للأفعال والأقوال! ولمّا ندمت مرّة نطقت الأحاديث والروايات الصحيحة في حقّ أهل بيت محمّد ﷺ منها:

كنّا نخيط ونغزل ونُنظم الأبرة بالليل في ضوء وجه فاطمة عليها السلام[4].

والمصداق الثاني سياسة عثمان بن عفان الذي عاهد أهالي أفريقيا على عزل ابن أبي سرح المنافق وتعيين محمّد بن أبي بكر محلّه، تلبية لمطالب الثوار وضمن الاتّفاق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثمّ كتب إلى ابن أبي سرح سراً بتثبيته في السلطة والتواطؤ معه على خيانة العهد المكتوب معهم والاحتيال في قتلهم!!

---

(١) الموص: غسل ليّن والدلك باليد.

(٢) في بعض الأصول «الرحيض» وفي بعضها: «الرحض».

(٣) العقد الفريد ٤ / ٢٧٥.

(٤) أخبار الدول وآثار الأول أحمد بن يوسف الدمشقي القرماني، الطبعة الحجرية ص: ٨٧ طبع سنة ١٢٨٢ هـ. ق، ورغم ذلك أيّدت عائشة حملة أبيها على بيت فاطمة عليها السلام المتسبّبة في مقتلها!

لقد أقبل أهل مصر عليهم عبدالرحمن بن عديس البلوي، وأهل البصرة عليهم حكيم بن جبلة العبدي، وأهل الكوفة عليهم الأشتر ـ واسمه مالك بن الحارث النخعي ـ في أمر عثمان، حتى قدموا المدينة.

ولمّا قدم وفد أهل مصر، دخلوا على عثمان فقالوا: كتبت فينا بكذا وكذا؟ قال: إنّما هما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين، أو يميني بالله الذي لا إله إلاّ هو ما كتبتُ ولا أمليتُ ولا علمت؛ وقد يُكتب الكتاب على لسان الرجل، ويُنقش الخاتم على الخاتم. قالوا: قد أحلّ الله دمك! وحصروه في الدار، فأرسل عثمان إلى الأشتر فقال: ما يريد الناس منّي؟

قال: واحدة من ثلاث ليس عنها بُدٌّ، قال: ما هي؟ قال: يخيّرونك بين أن تخلع لهم أمرهم، فتقول: هذا أمركم فقلّدوه من شئتم؛ وإمّا أن تقتصّ من نفسك؛ فإن أبيت هاتين فالقوم قاتلوك[1].

انهدام البنية التحتية لدولة عثمان في ١٢ عاماً

حكم عثمان بن عفّان البلاد إثني عشر سنة ولم يبرز التضعضع العام في البلاد إلاّ في الستّة الثانية من حكومته كما قال الزهري[2]، وفي الستّة الأولىٰ من حكومته أُصيبت الأركان الإسلامية للدولة والمجتمع بضربات قاصمة من قبل الأمويين تسبّبت في وقوف جميع الصحابة في صفوف المعارضة.

ووقوف المهاجرين والأنصار في جبهة المعارضة أفقد الحكومة مصداقيّتها والثقة الشعبية بها.

---

(١) العقد الفريد ٤ / ٢٧٥.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ج١٦ / ١٧٤.

واستندت تلك المعارضة إلى الأفعال المرّة للدولة في حقّ المسلمين في سلب حريّاتهم وسرقة الخزينة العامّة واللعب بالمناصب الحكومية والإستهانة بالمقدّسات الدينية ومخالفة الشريعة الإسلامية.

وكان رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي عليه السلام عارفان بشخصيّة عثمان في مكّة والمدينة.

لقد عرفا منهجه، وأدركا غايته، ومحّصا سلوكه، وعاينا أخلاقه، فحكما على مشروعه الإجتماعي بالبطلان، وحكما على منهجه السلوكي بالفرعونية.

فلم يولّه رسول الله ﷺ منصباً أبداً قبل فتح مكّة وبعد فتحها، فكان من عوام الناس، لا تعرفه ساحات المعارك ولا أروقة دور العلم ولا سقائف السياسة. ولم يؤيّد الصحابة الدولة العثمانية في المدينة المنوّرة فسقطت تلك الدولة وبقيت الدولة الأموية الثانية بزعامة معاوية لأنّها دولة أموية في الشام بعيدة عن الصحابة.

قال محمّد بن مسلمة (رئيس جهاز الأمن في زمن عمر وعيّنه على ولاته) في يوم مقتل عثمان:

ما رأيت يوماً قط أقرّ للعيون ولا أشبه بيوم بدر من هذا اليوم[1].

وقال الواقدي: أوّل من اجترأ على عثمان بالمنطق السيّئ جبلة بن عمرو الساعدي، مرّ به عثمان وهو جالس في نادي قومه وفي يد جبلة بن عمرو جامعة فسلّم عثمان وردّ القوم.

فقال جبلة: لم تردّون على رجل فعل كذا وكذا؟ ثمّ أقبل على عثمان وقال: والله

---

(١) البحار ٣١ / ٢٩١.

لأطرحنّ هذه الجامعة في عنقك أو لتتركنّ بطانتك هذه.

قال عثمان: أيّ بطانة فوالله إنّي لأتخيّر الناس، فقال جبلة: مروان تخيّرته؟ ومعاوية تخيّرته؟ وعبدالله بن عامر بن كريز تخيّرته؟ وعبدالله بن سعد تخيّرته؟ منهم من نزل القرآن بذمّه وأباح رسول الله ﷺ دمه. فانصرف عثمان فما زال الناس مجترئون عليه[1].

فأرسل عثمان زيد بن ثابت (اليهودي السابق) إلى جبلة للكفّ عنه، فقال جبلة: والله لا أقصر عنه أبداً ولا ألق الله فأقول:

﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[2]

وجبلة كان من المانعين دفن عثمان في البقيع فدفنوه في مقبرة اليهود[3].

وهذه الأحداث تفتح الآفاق أمام الناس وترشدهم إلى غيّ الرئيس وظلمه للآخرين ومخالفته للدين. والأهمّ من ذلك أنّ الثوّار طالبوا عثمان بأمور واضحة وبيّنة يستطيع فعلها:

أوّلاً: عزل ولاة بني أميّة ووزيره مروان.

ثانياً: العدل في توزيع الثروة.

وهذان المطلبان سهلان على الكثير من الناس وصعبان على عثمان.

فأبو بكر وعمر لم يستخدما أرحامهما وعثمان عيّن أرحامه، وعثمان ملتصق دماً وروحاً ببني أمية فرقيهم هدفه الأوّل وإعلاء شأنهم غايته وسموّهم عقيدته.

---

(١) تاريخ الطبري ٥ / ١١٤، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٧٠، تاريخ ابن كثير ٧ / ١٧٦، شرح النهج، المعتزلي ١ / ١٦٥، أنساب البلاذري ٥ / ٤٧.

(٢) الأحزاب ٦٧، أنساب الأشراف ٥ / ٤٧، الإصابة ١ / ٢٢٣، وترجمته في الاستيعاب.

(٣) المصدر السابق.

ففضّلهم على عقيدة الناس وآمالهم فقتلوه. والخطير في الأمر أنّ أبا بكر وعمر لم يعينا أرحامهما لكنّهما عيّنا أفراد بني أمية في السلطة.

إذ عيّنا عتبة ويزيد ومعاوية وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة وعتاب بن أسيد الأموي وعثمان بن أبي العاص، فزاد عثمان في هذا وأغدق عليهم الأموال، وإلّا فإنّ أبا بكر وعمر أوّل من رفع راية بني أمية في الإسلام بعدما أنزلها وطمسها رسول الله ﷺ[1].

ولاة أبي بكر الأمويين:

عتاب بن أسيد على مكّة.

عثمان بن أبي العاص على الطائف.

الوليد بن عقبة على صدقات قضاعة ثمّ أمره على الأردن ثمّ عيّنه عمر على عرب الجزيرة، وصدقات بني تغلب.

يزيد بن أبي سفيان على دمشق[2].

المكيّون انقسموا قسمين قسم مع بني أمية وقسم مع بني هاشم. وفي الإسلام انقسموا نصفين نصف مع بني أمية ونصف مع رسول الله ﷺ. وبعدما فتح خاتم الأنبياء ﷺ مكّة سقطت راية بني أمية وبقيت هكذا إلى زمن انتصار رجال السقيفة في القبض على خلافة النبي ﷺ فأعطوا مقاليد الأمور لبني أمية وحرموا بني هاشم منها!

فأصبحت بنو أمية في دولة أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وأولاده،

---

(١) راجع تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٨، تاريخ الطبري ٢ / ٥٨٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٨، تاريخ الطبري ٢ / ٥٨٨، ٣٢٧، ٦١٧، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٨٢، المعارف، ابن قتيبة ٣١٩، الاستيعاب ٣ / ٤٧١.

وأصبحت المعارضة السياسية مع بني هاشم. أي تمكّن بنو أمية من الانتصار سياسياً على بني هاشم لأوّل مرّة بمساعدة رجال السقيفة أبي بكر وعمر وعثمان.

وقال أعين ابن امرأة الفرزدق: يا نعثل قد بدّلت[1].

ولمّا خرج عثمان إلى الصلاة يوماً ومعه ناس من مواليه قد صفّر لحيته فجذب الناس ثيابه يميناً وشمالاً وناداه بعضهم: يا نعثل فشتموه فسكت حتى سكتوا ثمّ قال أيّها الناس اسمعوا وأطيعوا فإنّ السامع المطيع لا حجّة عليه والسامع العاصي لا حجّة له. فناداه بعضهم: أنت السامع العاصي، وقام جهجاه بن سعد الغفاري وكان ممّن بايع تحت الشجرة، فقال لعثمان هلمّ إلى ما ندعوك إليه.

قال وما هو؟

قال: نحملك على شارف جرباء ونلحقك بجبل الدخان، قال عثمان: لست هناك لا أمّ لك.

وتناول جهجاه عصا كانت في يد عثمان فكسرها على ركبته ودخل عثمان داره وصلى بالناس سهل بن حنيف[2].

واجترأ الناس على عثمان أكثر فأكثر وتسبّب ذلك في فضحه وكشف أعماله إذ قال له عمرو بن العاص يوماً: يا أمير المؤمنين إنّك ركبت بها تير (مهالك) وركبناها معك فتب نتب معك[3].

وضربوا عثمان بالحجر وهو على منبر رسول الله ﷺ فشجّ رأسه وسقط يوم الجمعة مغشيّاً عليه واحتمل إلى داره وتفاقم الأمر فأحاط به الناس وضيّقوا على

---

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر ٣٩ / ٢٥٤.

(٢) تاريخ المدينة، ابن شبة ٣ / ١١٢.

(٣) البداية والنهاية ٧ / ١٩٦.

بيته محاصرين له وانقطع عثمان عن المسجد قليلاً ثمّ انقطع كلّية في آخره[١].

وثبان المهاجمون لبيت عثمان لقتله هم: سودان بن حمران وأبو حرب الغافقي وقتيرة بن وهب السكسكي وكنانة بن بشر التجيبي، وروممان بن سرحان[٢]، وكسر عمير بن ضابيء البجمي ضلعه قائلاً: سجنت أبي حتىٰ مات في السجن، وجبلة بن الأيهم الذي دعىٰ إلى قتله، وقال رومان لعثمان: على أيّ دين أنت يا نعثل؟ ونعثل يهودي ساكن المدينة ذكر ذلك أبو نصر بن ماكولا وغيره[٣].

فشبّهه النبي ﷺ بذلك اليهودي لانسجامه مع عثمان في دينه وأخلاقه وحرصه على المال وبغضه لرسول الله ﷺ وحاصروه أربعين يوماً. وكانت رئاسته إثنتي عشرة سنة[٤].

وقُتل عثمان يوم الثامن عشر من ذي الحجّة من سنة خمس وثلاثين وكان عمره ستاً وثمانين سنة[٥].

---

(١) البداية والنهاية ٧ / ٢٠٢.

(٢) شرح النهج ٢ / ١٥٨، تهذيب الكمال، المزي ١٩ / ٤٥٤.

(٣) تهذيب الكمال، المزي ١٩ / ٤٥٥، ميزان الاعتدال، الذهبي ٢ / ١١٠.

(٤) تهذيب الكمال، المزّي ١٩ / ٤٥٤، الفتوح، ابن أعثم ٢ / ٢٤١، البداية والنهاية، ٧ / ٢١٢، مروج الذهب، ٢ / ٢٦٦.

(٥) شرح النهج ٢ / ١٥٩، تهذيب الكمال، المزي ١٩ / ٤٥٦.

الفصل الخامس:

عثمان - ثوار مصر

تحرّر مصر من الأمويين

جهّز محمّد بن أبي حذيفة ومحمّد بن أبي بكر الثوار في مصر وخرج بهم عبدالرحمن بن عديس البلوي في ستّمائة ثائر وخوفاً من جيش ابن أبي سرح فلقد خرجوا باسم العمرة وخروجهم في شهر رجب.

ولمّا سمع بهم ابن أبي سرح وعرف أهدافهم خرج في أثرهم إلى ذي خشب فبقيت مصر دون والي وتأخّر هناك فاستفاد محمد بن أبي حذيفة من هذه الفرصة واستولىٰ على السلطة هناك.

وكان التأييد الشعبي له قوياً تمكّن به من فرض سلطته فعزل ابن أبي سرح.

وهذه الحادثة وقعت بعد أحداث الوفد المصري في المدينة ومشروع عثمان لقتلهم. فقد صادف تحرير مصر من قبضة بني أمية محاصرة الثوار بيت عثمان بن عفان. فبقي ابن أبي سرح في وسط الطريق بين مصر والمدينة فقفل راجعاً إلى مصر

راغباً في دخولها فمنعه ابن أبي حذيفة فذهب إلى فلسطين فأقام فيها حتىٰ قُتل عثمان.

وزعامة الثوار المصريين كانت بيد الصحابي عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي وهم في أربعة ألوية لها رؤوس أربعة. ورسالة الثوار المصريين إلى عثمان جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد فاعلم أنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتىٰ يغيّروا ما بأنفسهم فالله الله ثمّ الله الله فإنّك على دنيا فاستتم إليها، معها آخرة، ولا تنس نصيبك من الآخرة فلا تسوغ لك الدنيا واعلم أنّا والله لله نغضب وفي الله نرضىٰ وإنّا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتىٰ تأتينا منك توبة مصرّحة أو ضلالة مجلحة مبلجة فهذه مقالتنا لك وقضيّتنا إليك، والله عذيرنا منك والسلام[1].

وأصبح محمّد بن أبي حذيفة أوّل وال على مصر للإمام علي عليه السلام ثمّ تولاّها محمّد بن أبي بكر من بعده.

والإثنان من المخلصين في الدين البعيدين عن أهواء الدنيا.

محمّد بن أبي حذيفة

وهو محمّد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة، ابن خال معاوية وهو من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان في مصر فلم يحتمل أعمال عثمان في مال

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٦٨، شرح النهج ١ / ١٦٤، تاريخ ابن كثير ٧ / ١٧٢، تاريخ الطبري ٥ / ١١١، ١١٢، وأنساب الأشراف، البلاذري ٥ / ٦٤، ٦٥، وتاريخ ابن خلدون ٢ / ٣٩٧.

المسلمين وأنفسهم فثار عليه وقاد الناس مع محمّد بن ابي بكر ونجحا في السيطرة على البلاد.

فأرسل له عثمان برشوة كبيرة رفضها وجاء بها إلى المسجد مبيّناً للناس رشوة عثمان له ثلاثين ألف درهم وكسوة[1].

ولمّا جاء الثوار إلى المدينة المنوّرة مكر بهم عثمان لقتلهم بكتابته سرّاً إلى واليه على مصر عبدالله بن أبي سرح إلى أن يحتال لقتلهم.

وكان هذا أمراً قبيحاً من عثمان إذ كيف يقتلهم وهو الذي كتب معهم كتاباً يتعاقد معهم على عزل ابن أبي سرح وتولية محمّد بن أبي بكر.

وفي أيّام خلافة الإمام علي عليه السلام انتصر جيش معاوية على جيش محمّد بن أبي حذيفة بالحيلة.

وتولّى عمرو بن العاص الغدر بمحمّد بن أبي حذيفة في مصر وهو الذي لاحق أباه والمسلمين في الحبشة لقتلهم سفيراً لأبي سفيان، فولد في حبشة أفريقيا محمّد بن أبي حذيفة، وأنقذه الله تعالى من مكر ابن العاص، أوّلاً.

وبعد أربعين عاماً لاحق ابن العاص قائد جيش معاوية بن أبي سفيان محمّد بن أبي حذيفة في مصر فسجنه وقتله[2].

فأصرّ ابن أبي العاص على قضاء عمره في خدمة الكفر وأصّر ابن أبي حذيفة على قضاء عمره في خدمة الإسلام. ومن الطريف قول عمرو بن العاص بعد موبقاته الكثيرة: هذا منبر نبيّكم وهذه ثيابه وهذا شعره لم يبل فيكم وقد بدّلتم

---

(١) أنساب الأشراف ٨٧.

(٢) الاستيعاب، ترجمة محمّد بن أبي حذيفة وترجمته في الإصابة، البحار ٣١ / ٢٩١.

وغيرّتم[١].

ومن أكاذيب الأمويين لصالح عثمان وفي غير صالح عدوّهم محمّد بن أبي حذيفة إنّ أباه مات وهو صغير فربّاه عثمان.

لقد أقرّ رسول الله ﷺ قانون الضمان الاجتماعي في المدينة المنوّرة وخاصّة للأيتام فلم يتسوّل أيتام المسلمين غيرهم بل ضمن النبي ﷺ معيشتهم وكفلهم.

ومحمّد بن أبي حذيفة وأباه كانوا مخالفين للخطّ الأموي لذلك لم يتعاون ابن أبي حذيفة مع عثمان في أيّام السقيفة ولم يعيّنه عثمان في منصب حكومي ولم يطلب منه ابن أبي حذيفة ذلك، فكانا خطّان متوازيان لا يلتقيان.

وبلغ الأمر إلى درجة أنّ فضّل عثمان ابن أبي سرح الفاسق الأموي النسب من الأمّ على ابن أبي حذيفة الطاهر الأموي النسب.

بل سعىٰ عثمان لقتله والغدر به كي يبقىٰ ابن أبي سرح المنافق والياً على أفريقيا!

وكان عبدالله بن أبي سرح قد ضرب من شكاه إلى عثمان حتىٰ توفّاه وهو طاغية من طغاة قريش أظهر الإسلام وارتدّ وأعلن تحريفه القرآن.

فأمر رسول الله ﷺ بقتله وإن كان متعلّقاً بأستار الكعبة فأخفاه عثمان ثمّ عيّنه في زمن ملكه حاكماً على أفريقيا! وبلغ غضب الناس عليه أن جاءوا من مصر إلى المدينة طلباً لعزله فأبقاه عثمان وغدر بالمظلومين، ولولا قبض هؤلاء المؤمنين على سفير عثمان إلى ابن أبي سرح المخبر إيّاه بقتل الشاكين المصريين لذبح ابن أبي سرح هؤلاء مكراً وكيداً وذلك في سنة ٣٤ هجرية[٢].

---

(١) أنساب الأشراف، البلاذري ٥ / ٨٨.

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ١١٨، ط اوربا، ١ / ٢٩٩٤، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٥٩٧٠، تاريخ ابن أعثم ٤٧ / ٤٦، أنساب الأشراف ٥٠ / ٥٠، شرح النهج ١ / ١٦٥، تاريخ ابن كثير ٧ / ١٦٨.

وبعد شهادة الإمام علي عليه السلام مكر معاوية بمحمّد بن أبي حذيفة إذ طلب منه الحضور للتفاوض ولمّا جاء إلى مكان المفاوضات غدر به وسجنه.

ولمّا كان محمّد بن أبي حذيفة في سجن معاوية أحضره من السجن يوماً وحاوره وطلب منه سبّ أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال له: محمّد بن أبي حذيفة: إنّك لتعلم أنّي أمسّ القوم بك رحماً وأعرفهم بك؟

قال: أجل.

قال: فوالله الذي لا إله غيره، ما أعلم أحداً شرك في دم عثمان وألّب الناس عليه غيرك لمّا استعملك ومن كان مثلك فسأله المهاجرون والأنصار أن يعزلك، فأبى.

ففعلوا به ما بلغك.

ووالله ما أحد اشترك في قتله بدءاً وأخيراً إلّا طلحة والزبير وعائشة فهم الذين شهدوا عليه بالعظيمة وألّبوا عليه الناس وشركهم في ذلك عبدالرحمن بن عوف وابن مسعود وعمار والأنصار جميعاً.

قال معاوية: قد كان كذلك.

قال: فوالله إنّي لأشهد أنّك منذ عرفتك في الجاهلية والإسلام لعلى خلق واحد مازاد فيك الإسلام قليلاً ولا كثيراً، وإنّ علامة ذلك فيك لبيّنة تلومني على حبّ علي بن أبي طالب عليه السلام وخرج مع علي كلّ صوّام قوام مهاجري وأنصاري وخرج معك أبناء المنافقين والطلقاء والعتقاء خدعتهم عن دينهم وخدعوك عن دنياك.

والله ما خفي عليك ما صنعت وما خفي عليهم ما صنعوا إذ أحلوا أنفسهم لسخط الله تعالى، والله ما أزال أحبّ علياً عليه السلام لله ورسوله صلى الله عليه وآله وأبغضك في الله

ورسوله أبداً ما بقيت قال معاوية وإنّي أراك على ضلالك بعد ردّوه فـردوه وهـو يقرأ في السجن: ربّ السجنّ أحبّ ممّا يدعونني إليه فمات في السجن بسم معاوية.

هل غدر عثمان بالوفد المصري؟

(لما نزل المصريون بالمدينة في مدّتهم الثانية دعا عثمان مروان فاستشاره فقال مروان: إنّ القوم ليسوا لأحد أطوع منهم لعلي بن أبي طالب ﷺ وهو أطوع الناس في الناس فابعثه إليهم فليعطهم الرضا وليأخذ لك عليهم الطاعة ويحذّرهم الفتنة.

فكتب عثمان إلى علي بن أبي طالب ﷺ: سلام عليكم أمّا بعد فـإنّه قـد جـاز السيل الزبى وبلغ الحزام الطبيين، وارتفع أمر الناس بي فوق قدره وطمع فيّ من كان يعجز عن نفسه، فأقبل عليّ أو لي والسلام.

فجاءه علي بن أبي طالب ﷺ فقال عثمان: يا أبـا الحسـن ائـت هـؤلاء القـوم فادعهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ.

فقال ﷺ: نعم إن أعطيتني عهد الله وميثاقه على أن تفي لهم بكلّ شيء أعطيته عنك. فقال عثمان: نعم. فأخذ عليه الإمام علي ﷺ عهداً غليظاً ومشى إلى القوم فلمّا دنا منهم، قالوا: تضمن لنا كذلك؟

قال ﷺ: نعم، فأقبل معه أشرافهم ووجوههم حتى دخلوا على عثمان فعاتبوه، فأجابهم إلى ما أحبّوا، فقالوا: اكتب لنا على هذا كتاباً، وليضمن عليّ عنك مـا في الكتاب، قال: اكتبوا أنّى شئتم، فكتبوا بينهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب عبدالله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين، أنّ لكم عليّ أن أعمل بكتاب الله وسـنّة نـبيّه ﷺ، وأنّ

المحروم يعطى، وأنّ الخائف يؤمن، وأنّ المنفي يُردّ، وأنّ المبعوث لا يجمر، وأنّ الفيء لا يكون دولة بين الأغنياء.

وعلي بن أبي طالب عليه السلام ضامن للمؤمنين والمسلمين على عثمان الوفاء لهم على ما في الكتاب.

وشهد الزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله وسعد بن مالك وعبدالله بن عمر وأبو أيّوب بن زيد، وكتب في ذي القعدة سنة خمس وعشرين، فأخذوا الكتاب ثمّ انصرفوا، فلمّا نزلوا ايلة إذا هم براكب فأخذوه، فقالوا: من أنت؟

قال: أنا رسول عثمان إلى عبدالله بن سعد.

قال: بعضهم لبعض لو فتّشناه لئلّا يكون قد كتب فينا، ففتّشوه فلم يجدوا معه شيئاً.

فقال كنانة بن بشر النجيبي: انظروا إلى أدواته فإنّ للناس حيلاً، فإذا قارورة مختومة بموم، فإذا فيها كتاب إلى عبدالله بن سعد:

إذا جاءك كتابي هذا فاقطع أيدي الثلاثة مع أرجلهم.

فلمّا قرأوا الكتاب رجعوا حتى أتوا عليّاً عليه السلام، فأتاه فدخل عليه، فقال عليه السلام: استعتبك القوم فأعتبتهم، ثمّ كتبت هذا كتابك نعرفه؟!، الخطّ الخط، والخاتم الخاتم.

فخرج عليّ عليه السلام مغضباً وأقبل الناس عليه، فخرج سعد من المدينة فلقيه رجل فقال: يا أبا إسحاق! أين تريد؟

قال: إنّي فررت بديني من مكّة إلى المدينة، وأنا اليوم أهرب بديني من المدينة إلى مكة.

وقام كنانة بن بشر فقال لعثمان: يا عبدالله! أقم لنا كتاب الله، فإنّا لا نرضى

بالقول دون الفعل، قد كتبت وأشهدت لنا شهوداً وأعطيتنا عهد الله وميثاقه.

فقال عثمان : ما كتبت بينكم كتاباً.

فقام إليه المغيرة بن الأخنس وضرب بكتابه وجهه وخرج إليهم عثمان ليكلّمهم، فصعد المنبر، فرفعت عائشة قميص رسول الله ﷺ ونادت: أيّها الناس! هذا قميص رسول الله ﷺ لم يُبل وقد غُيرّت سنّته .

فنهض الناس وكثر اللغط وحصبوا عثمان حتىٰ نزل من المنبر ودخل بيته)[1].

وتأكد للناس ولع عثمان بعمليات التزوير والمكر وخيانة العهد والاستهانة بالناس والمبادىء الاسلامية وجرأته على سفك دماء المؤمنين والسطو على الخزينة العامة .

وانكشف الغدر

ولما انكشفت مؤامرة عثمان لقتل الوفد المصري انكشفت أعمال الحزب القرشي السابقة في قتل سعد بن عبادة والحباب بن المنذر وباقي زعماء المعارضة من الأنصار والمهاجرين غيلة.وتأكّد للعلن تزوير عثمان وصيّة أبي بكر لعمر، فبلغ حقد الناس وكرههم لعثمان أن منعوا دفنه في مقبرة المسلمين[2].

إنّ الثورة الإسلامية العارمة التي أطاحت بعرش عثمان فتحت الآفاق العظيمة للأمّة الإسلامية.

وهي أوّل ثورة شعبية اسلامية في تاريخ المسلمين وجزيرة العرب، ذكرت

(١) البحار ٣١ / ٤٨٧.

(٢) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر وعائشة للمؤلّف.

المسلمين بفتح مكّة وتحطيم أصنامها.

وأعادت إلى الأذهان مصرع طغاة قريش من أمثال أبي جهل وعتبة وشيبة والوليد الأمويين. وسقطت أقنعة الحزب القرشي الذي وصل إلى السلطة عبر السقيفة وتحطّمت قبضتهم الحديدية على مكّة والمدينة فتحرّر الناس وعادوا إلى بيعة الغدير التي بايعوا فيها علياً عليه السلام بالخلافة في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأعادوا البيعة الشعبية في المسجد النبوي هذه المرّة دون حضور رسول الله صلى الله عليه وآله.

وابتهجت الجماهير المسلمة بأوّل بيعة إسلامية شعبية للخليفة لم تشهدها المدينة أعادت ذكريات بيعة العقبة والرضوان وفتح مكّة والغدير.

ولمّا تمّ الأمر هكذا وسعدت الحياة وعادت العدالة وسقط الظلم الأموي في المدينة بعد سقوطه في مكّة أراد أعضاء الحزب القرشي إعادة السيطرة على الخلافة الإسلامية بنفس كادرها القديم. فراسل معاوية طلحة والزبير مشجّعاً إيّاهم على الفتنة على أن يكونا خليفتين للبلاد بالتناوب.

ووجدت عائشة الأجواء خالية من أبيها الذي انتزع الخلافة الإلهيّة من علي عليه السلام في السقيفة فتصدّت هي لذلك الدور فقادت معركة الجمل لتحلّ محلّ سقيفة بني ساعدة. وتبرّع ولاة عثمان ببعض أموال الدولة التي سرقوها لرفد الجيوش المناهضة لخلافة الإمام علي عليه السلام. وفتح معاوية خزائن الشام لإثارة البلابل في البلاد مثلما فعل أبوه أيّام معارك بدر وأحد والأحزاب. وهكذا نشر أعضاء الحزب القرشي الفوضى في كلّ مكان في حربهم الإمام علي عليه السلام مدّة خمس سنين فانشغلت الدولة في ردم فتن عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وابن العاص

والخوارج.

فأعادت إلى الأذهان معارك بدر وأحد والأحزاب وخيبر وحنين التي استخدم فيها الحزب القرشي ذات الأسلحة الجاهلية البالية.

فقد استولىٰ طغاة مكّة على أموال ودور المهاجرين إلى المدينة وقتلوا الموالين للرسول ﷺ، واستولت عائشة وطلحة والزبير على أموال بيت المال في البصرة وأموال الموالين للإمام علي عليه السلام هناك، وقتلوا سبعين حارساً في بيت المال غدراً بعد أن طمأنوهم وعاهدوهم على التسليم. وهي نفس الخيانة التي استخدمها عثمان في حقّ الوفد المصري.

وأغار جيش معاوية على المدينة المنوّرة ففعل فيها ما فعله أبوه وأمّه في معركة أحد من قتل الجرحىٰ والتمثيل بجثث الموتىٰ، فرجال الحزب القرشي الذين أسلموا كذباً وهاجروا إلى المدينة وأولئك الباقون في مكّة نهجهم واحد وأخلاقهم واحدة، لم تتبدّل بالإسلام ولم تتأثّر بالنبي ﷺ.

فقد قتل أبو جهل طالب بن أبي طالب؛ لامتناعه من المشاركة في محاربة النبي ﷺ وفي الجانب الآخر، قتل عثمان أبا ذر وعبدالله بن مسعود وضربت عائشة سهل بن حنيف في البصرة حتىٰ أشرف على الموت وقتلت سبعين مؤمناً يشهدون الشهادتين لتردّدهم في تسليمها خزينة المسلمين في البصرة.

فشدّة الأعراب الجاهليين في قتل الصالحين وجدت واضحة في شخصيّتي هند بنت عتبة وعائشة بنت أبي بكر فمارست هند في معركة أحد ما مارسته عائشة في معركة الجمل. فقُتل على يد هند عشرات من المؤمنين بينما تسبّبت عائشة في قتل عشرين ألف مسلم في معركة الجمل.

وشاركت هند في معركة الأحزاب ثانية ورفعت عائشة لواءها مرّة أخرىٰ على بغلة لمنع دفن الإمام الحسن عليه السلام مع جدّه صلى الله عليه وآله فقال لها عبدالله بن عباس:

تجمّلت، تبغّلت ولو عشت تفيّلت ... لك التسع من الثمن وبالكلّ تصرّفت[1]

واستمرّت حروب كفرة قريش ومؤامراتهم لقتل رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة وعشرين سنة حتىٰ قتلوه في سنة ١١ هجرية وأعاد أعضاء الحزب القرشي الكرّة ثانية على وصيّ النبي علي عليه السلام فأظلموا الدنيا بمكرهم وسوّدوا الأوضاع بكيدهم مدّة خمس سنين ٣٥ ـ ٤٠ هجرية انتهت بقتله في ٢١ رمضان، سنة ٤٠ هجرية.

وشارك في الحملتين معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وأبو الأعور الأسلمي (زعيم أسلم) والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعائشة وحفصة وعبدالرحمن بن أبي بكر.

وفي الحملتين كان النصر المعنوي حليف المتّقين الأخيار، برئاسة الإمام علي عليه السلام الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وآله: علي إمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين يوم القيامة[2].

وبمقتل الإمام علي عليه السلام في الكوفة ابتهج أنصار الحزب القرشي وأعلنوا سرورهم كما فرحوا بمقتل رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة، فأعلن معاوية وابن العاص والمغيرة ومروان والوليد وسعيد بن العاص وعبدالله بن أبي سرح فرحتهم. وفرحت عائشة وحفصة وأقامتا مجلساً مطرباً لهذا، وقالت عائشة في نشوتها:

---

(١) الإيضاح، ابن شاذان ٢٦٢، دلائل الإمامة ٦١، مقاتل الطالبيين ٧٤، شرح النهج ١٦ / ٤٩ ـ ٥٠، الخرائج والجرائح ١ / ٢٤٢، البحار ٤٤ / ١٥٦.

(٢) المستدرك، الحاكم ٣ / ١٤٨، كنز العمال ١١ / ٦١٩، الإصابة ٢ / ٢٧٤، أسد الغابة ١ / ٨٤، الرياض النضرة ٣ / ١٢٢، مجمع الزوائد ٩ / ١٢١، حلية الأولياء ١ / ٦٣، ٦٦.

فألقت عصاها واستقرّت بها النوى ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ كما قرّ عيناً بالإياب المسافر[١]

فانتصر أتباع الحزب القرشي انتصاراً ماديّاً مرّة أخرى وارتفعت رايات أبي سفيان ومعاوية. ومن المدهش فرح عائشة بمقتل خليفتين في خمس سنوات فقط ٣٥ ـ ٤٠ هجرية. أفصحت عن عثمان قول النبي ﷺ فيه: إنّه نعثل اليهودي[٢]، وصرّحت عن الثاني (علي ﷺ) قول النبي ﷺ فيه: إمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين[٣].

فوافق هواها نصّ النبي ﷺ في عثمان وخالف هواها نصّ النبي ﷺ في علي ﷺ.

فبكت على الحادثة الثانية وحربها على إمام زمانها الذي قال فيه رسول الله ﷺ باعترافها سيد العرب وسيد المسلمين[٤]. لكنّها سرعان ما عادت إلى نهجها القرشي بقيادتها جيش الأمويين على بغلة منعاً لدفن الإمام الحسن ﷺ قرب جدّه رسول الله ﷺ، وهي التي ذكرت قول النبي ﷺ فيه: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة[٥].

ولمّا استشهد الإمام علي ﷺ وسيطر الحزب الأموي على الدولة، شرع معاوية

---

(١) البحار ٤٤ / ١٥٣، مقاتل الطالبيين ٢٦، الأمالي، الطوسي ١٦١، تاريخ الطبري، حوادث سنة ٤٠ هـ، طبقات ابن سعد ٢٧/٣، المعيار والموازنة، الإسكافي ٢٦، شرح النهج ٢٤٩/٤، تاريخ دمشق ٢٦٢/٧، أنساب الأشراف ٥٠٥.

(٢) الفتوح، ابن أعثم ١ / ٦٤، نهج البلاغة ٣ / ٣، شرح النهج ٦ / ٢١٥، البحار ٣١ / ٢٩٦.

(٣) كنز العمال ٦ / ٤٠٠، ١١ / ٦١٨، ذخائر العقبى ٧٧، حلية الأولياء ١ / ٦٣، تاريخ بغداد ١١ / ٨٩، مجمع الزوائد ١٣١/٩.

(٤) المصدر السابق.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٣ / ٣، ٦٢، ٨٢، الحلية، أبو نعيم ٥ / ٧١، تاريخ بغداد ٩ / ٢٣١، الخصائص، النسائي ٣٦، المستدرك، الحاكم ٣ / ١٦٧.

بين سنتي ٤٠ ـ ٦٠ هجرية في تشويه الثورة الإسلامية على عثمان الأموي. وهي مدّة زمنية طويلة وسار على مشروعه باقي ملوك الدولة الأموية. فكانت أطروحتهم كالتالي:

١ ـ إيجاد مناقب كبرىٰ لعثمان تجوّز له الظلم الفاحش واختلاق ذلك على لسان رسول الله ﷺ ولا يهمّهم تشويه سمعة النبي ﷺ؛ لأنّ هدفهم إعلاء منزلة عثمان.

فذكروا حديثاً مختلقاً عن النبي ﷺ: بعث عثمان إلى النبي ﷺ عشرة آلاف دينار فقال النبي ﷺ ما يبالي عثمان ما فعل بعدها[1].

فمظالم عثمان الكبرىٰ أجبرتهم على وضع هذا الحديث المخالف للإسلام والعقل والحكمة. وهذا الحديث اعتراف ضمني من الأمويين بأفعال عثمان المخالفة للدين والإنسانية.

٢ ـ تشويه سمعة المعارضين السياسيين لعثمان مثل عمار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر ومالك الأشتر.

٣ ـ تشويه سمعة الأنصار وقتلهم فوضعوا أحاديثاً نبوية مخالفة لهم.

وأبعدوهم عن السلطة ومنعوا عنهم الأموال وافتعل يزيد مذبحة الحرّة التي قتل فيها عشرة آلاف مسلم[2]. وقتل الأمويين للأنصار جاء انتقاماً لمعركة بدر ومصرع عثمان.

وألحّ الأمويون في حكمهم الطويل والظالم على تشويه أحداث الثورة الإسلامية العارمة المنتصرة على عثمان فغيّروا سننها وأهدافها ووقائعها. متوسّلين

---

(١) تاريخ ابن كثير ٧ / ٢١٢، مجمع الزوائد، الهيثمي ٩ / ٨٥، المعجم الأوسط، الطبراني ٢ / ٢٩١، مسند الشاميين، الطبراني ٢/٢٤٥، كنز العمال ١٣ / ٥٤، تاريخ دمشق ٢ / ٣٥.

(٢) شذرات الذهب ١ / ٧١، الغارات ٢ / ٤٦٠، البحار ١١ / ٣٨.

بالمال والعصا فرتّبوا الأحداث طبقاً لمسيرتهم ووفقاً لنهجهم. وترى اليوم الكثير من الناس سائرين على كتب الأمويين ونظريّاتهم العقيمة غافلين عن غايات بني أميّة الشجرة الملعونة في القرآن الكريم. ومتناسين اللعن النبوي لهذه الشجرة النتنة فأصبحنا نملك عناصر ثقافية مدحورة ورموزا أكاديمية مقهورة لا تؤمن بالثورة ولا تؤيّد الانتفاضة راضية بالذلّ وقانعة بالظلم.

ونجا من هذه المنهجية المنحورة من القفا المؤمنون المتّقون المبصرون بعناية الباري عزّوجل. فتراهم يستقيمون ببصائرهم وبصيرتهم وتنطبق على خطواتهم (اهدنا الصراط المستقيم)، وهؤلاء المفتحة أذهانهم عرفوا أعضاء الحزب القرشي ودسائسهم السياسية ومكائدهم الملتوية.

والخوف والوجل أخذ لبّ الكثير وأفقدهم توازنهم حتى خافوا ذكر الثورة الإسلامية الكبرى، التي شارك فيها الرجال والنساء الأنصار والمهاجرين. حتى شملت الناس في الكوفة والبصرة وأفريقيا ومكّة والمدينة والبحرين.

وعنوان ثورتهم الخوف على دينهم من الإنحراف وهذا الشعار كانت تنشده عائشة في كلّ صلاة جمعة في المسجد النبوي.

وخوف بعض الناس اليوم من ذكر الحقيقة يذكّرنا بحال الناس في زمن معاوية ويزيد ومروان. إذ دخل الوجل في عروقهم وسيطر كابوس القتل على وجدانهم واليوم يعيش العالم حالة التحرّر من القيود والانطلاق في الآفاق بعيداً عن العصبية والحزبية والتخلّف. فلا معاصم مكبلة بسلاسل الأمويين ولا سيوف مرفوعة على رقاب المتحرّرين وهذا كافٍ لمعرفة الحقيقة ونشرها في الأمصار وبثّها في الاذاعات.

فتنتشر اليوم أخبار الثورة الإسلامية الكبرىٰ على عثمان في كتابنا هذا وعند الواعين من الناس لتصبح مناراً للآخرين ومشعلاً يضيء درب الإنسانية لتصبح مشعلاً يضيء درب الإنسانية، وقدوة عند دعاة المدنية.

ولكن هل شارك الإمام عليٌّ في الثورة الإسلامية الكبرىٰ؟

نعم شارك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد وعظ عثمان مرّات عديدة وأنذره الآخرة، وهدّده الوثبة الشعبية؛ لكنّه لا يؤمن بأعمال طلحة والزبير وعائشة الجاهلية في قطع الماء والطعام عن عثمان، وإبقائه ميّتاً على الزبالة ثلاثة أيّام بل كان يريد هدايته أو عزله عن الحكم. وقتل المسلم لا يكون إلّا قصاصاً أو تغييره الدين أو الإفساد في الأرض وضمن الإمام العهد المُمضىٰ بين ثوار مصر وعثمان فلمّا غدر عثمان بالعهد شهد الإمام عليه بالخيانة أمام الناس وتركه فلم يلتقيا حتىٰ مات عثمان[1].

وقام تلاميذ الإمام بالمشاركة في تلك الثورة الرائدة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبيّن ذلك في متون هذا الكتاب على لسان أبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان والمقداد بن عمرو ومالك الأشتر ومحمّد بن أبي بكر وقيس بن سعد بن عبادة.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له ضحايا فكان أبو ذر الغفاري وعبدالله بن مسعود والمقداد بن عمرو من ضحايا هذا الدرب الإلٰهي إذ قتلهم عثمان في هذا الطريق. وبينما فتق عثمان بطن عمار بن ياسر المدافع عن حياض الدين قتل أبو جهل أمّه سميّة انتقاماً لا عتناقها الدين.

---

(١) شرح النهج ٣١ / ١٦١، شرح النهج ٢ / ١٤٩، ٣ / ٢٣، تاريخ المدينة ابن شبه ٤ / ١٥١، نهاية الإرب ١٩ / ٥٠٩، العواصم من القواصم ١٢٧، تاريخ الخميس ٢ / ٢٦١، تاريخ الطبري ٣ / ٤٠٦، تاريخ ابن خلدون ٢ / ١٤٧، الاستغاثة ١ / ٦٢.

الفصل السادس:

مقتل عثمان

الأصول الكبرى لمقتل عثمان

أوّل ثورة إسلامية حدثت في العالم الإسلامي وقعت لمعارضة عثمان بن عفان، واشترك فيها أهالي المدينة من المهاجرين والأنصار وأهالي البصرة والكوفة ومصر (وهي في ذلك الوقت تعني أفريقيا).

والسؤال المطروح يتمثّل في ما هي الأمور الكامنة وراء مقتل عثمان؟

١ ـ الوازع الأوّل يتمثّل في الأمر الديني: إذ تخلّى عثمان عن كثير من المبادىء والأحكام الدينيّة فغيّر في الوضوء والصلاة إذ أجبر الناس على المسح على الكفّين بدل الغسل.

وأجبرهم على الصلاة متكتّفي الأيدي، بينما كانوا يسبلون أياديهم في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم[1].

---

(١) صحيح البخاري ١ / ٥٢، صحيح مسلم ١ / ٧، ١ / ٢٠٤، كنز العمال ٩ / ٤٤٣ ح ٢٦٧٩٧.

٢ ـ الامر الاقتصادي.

٣ ـ الامر الاجتماعي.

٤ ـ انتفاضة أصحاب الدماء المهدورة وعلى رأس هؤلاء عائلة أبي بكر.

إذ تسبّب عثمان بعمله في المشاركة في عملية اغتيال أبي بكر ومحاولته اغتيال ابنه من بعده في تحريك غضب قبيلة بني تيم عليه، وخاصّة عائلة أبي بكر.

فأصدرت عائشة فتوىٰ بقتله ردّاً على أفعاله تلك استحلّت بها دمه، وحلّلت بها إزهاق روحه، ولمّا قُتل عثمان قال لها المغيرة بن شعبة: «أنتِ قتلت عثمان»[1].

وصمّم محمّد وعبدالرحمن ولدا أبي بكر وطلحة بن عبدالله التيمي على اغتيال عثمان بن عفان وقد جاء: أشدّ الأُسَر على عثمان عائلة أبي بكر[2].

وقال الطبري: «إنّ عائشة أوّل من أمال حرفه»[3].

وساعدت على ذلك الأجواء المشحونة بالغضب على الخليفة من جرّاء أفعاله المالية والسياسية والإدراية والقضائية[4].

تكفير عائشه لعثمان: وفعلاً تمكّنت عائلة ابي بكر من الانتقام لنفسها بتحريرها لفتوىٰ قتل عثمان وتنفيذها على أرض الواقع.

وكان لفتوىٰ عائشة الشهيرة الأثر البيّن في تضعيف موقعيّة عثمان وشخصيّته، في السياسة والحكم ومن ثمّ قتله، وقابلها عثمان بتخفيض راتبها[5].

---

(١) العقد الفريد ٤ / ٢٧٧، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

(٢) أنساب الأشراف ٥ / ٦٨.

(٣) تاريخ الطبري ٥ / ١٧٢، حوادث سنة ٣٦.

(٤) تاريخ أبي الفداء ١ / ٣٣٣، العقد الفريد ٤ / ٢٦٧.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٢، تاريخ أعثم ص ١٥٥.

وكفّر الكثير من الصحابة عثمان وهذا التكفير هو الذي ساعد على قتله .

ولولا هذا التكفير لما تمكّنوا من قتله!

وقد صرّحت عائشة في فتواها بيهودية عثمان بن عفان مخرجة إيّاه من ساحة الإسلام، قائلة: إنّ النبي ﷺ سمّاه بنعثل اليهودي، فكانت فتواها كالآتي: اقتلوا نعثلاً فقد كفر[1].

وقالت حفصة وعائشة له: سمّاك رسول الله ﷺ نعثلاً تشبيهاً بنعثل اليهودي[2].

وصدّق المسلمون وعلى رأسهم الصحابة رواية عائشة تلك عن الرسول ﷺ فشاركوا في قتله، وأجمعوا على دفنه في مقبرة اليهود (حش كوكب)، ودفنوه هناك[3].

وقد جاء بأنّ عثمان بن عفان أراد أن يتهوّد بعد فراره من معركة أحد التي هزم فيها المسلمون[4]، وكانت علاقة عثمان مع كعب الأحبار جيّدة جدّاً، وعلاقة عثمان مع الحبر عبدالله بن سلام وثيقة، وعلاقة عثمان مع زيد بن ثابت قويّة خلّفه على المدينة في زمن الحج وكان على القضاء[5].

ومن أعمال عثمان أيضاً:

أعطى مائة ألف لعباس بن ربيعة؛ لأنّ ربيعة بن الحارث بن عبدالمطّلب كان

---

(١) تاريخ الطبري، شرح النهج ص ٧٧، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ٢٠٦.

(٢) الصراط المستقيم ٣ / الباب ١٢ / ٣٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٣ / ٧٨، ٧٩، العقد الفريد ٤ / ٢٧٠.

(٤) تفسير ابن كثير ٢ / ٦٨، تفسير الخازن ١ / ٣٠٥، الدرّ المنثور ٢ / ٢٩١.

(٥) سنن الترمذي ٣ / ٣٢٣.

شريكاً لعثمان في الجاهلية[١].

وترك صدقات مزينة لكعب بن مالك (وكعب هو الذي عصى النبيﷺ في حملة تبوك)[٢]. وكان من المنافقين.

ولمّا ثار محمّد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس الأموي مع محمّد بن أبي بكر في مصر على عبدالله بن أبي سرح عاب محمّد بن أبي حذيفة عثمانَ لتعيينه ابن أبي سرح على أفريقيا قائلاً:

استعمل رجلاً أباح رسول اللهﷺ دمه...

فقال الزهري عن الثورة الشعبية العارمة المؤدّية بحياة عثمان:

انحرف عثمان في السنوات الستّة الثانية إلى أهله[٣].

فبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم وبجمل عليه كسوة.

فوضعها محمّد بن أبي حذيفة في المسجد، ثمّ قال: يا معشر المسلمين ألا ترون إلى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه!

فازداد أهل مصر تعظيماً له وطعناً على عثمان، وبايعوه على رئاستهم[٤].

ومقتل أبي بكر بيد عمر وعثمان ومقتل عمر بيد الأمويين[٥] ومقتل عثمان بيد عائلة أبي بكر مصداق لقول النبيﷺ:

وتتّبعوني أقتاداً يهلك بعضكم بعضاً[٦].

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٤٣٢.

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٤٥٢.

(٣) مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور ١٦ / ١٧٤.

(٤) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ٢٦٥.

(٥) على قول إذ هم الذين سهّلوا وصول أبي لؤلؤة الفارسي إلى المدينة لقتل عمر.

(٦) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢ / ١٩٣.

الأسباب الكامنة وراء مقتل عثمان

عندما اشتدّت النقمة الشعبية على عثمان لم يهتمّ ابن عفان بها ولم يستجب لشروط الشعب ومطاليبهم، بل قال على منبر رسول الله ﷺ:

أمّا بعد فإنّ لكلّ شيء آفة ولكلّ آمر عاهة، وإنّ آفة هذه الأمّة وعاهة هذه النغمة عيّابون طعّانون يرونكم ما تحبّون ويسترون عنكم ما تكرهون، أمثال النعام يتبعون أوّل ناعق...

فقام مروان بن الحكم فقال: إن شئتم حكّمنا بيننا وبينكم السيف.

فقال عثمان: اسكت لا سكتُّ، دعني وأصحابي[1].

وهناك أسباب كثيرة لمقتل عثمان بن عفان جديرة ببحثها من قبل المفكّرين والعلماء ليكون الناس على بيّنة منها ومن الأجواء المحيطة بعثمان في ذلك الزمان الغابر: وقد سعىٰ السلاطين وبالخصوص ملوك بني أمية إلى طمس معالم الثورة الإسلامية على عثمان وتشويه سمعة الأنصار والمهاجرين.

وفي نفس الوقت سعوا إلى إخفاء أعمال وأفعال عثمان وبطانته الفاسدة.

واليك عزيزي القارىء شرحاً موجزاً للأسباب الحقيقيّة المتسبّبة في مصرع عثمان بن عفان.

١ ـ السبب الأوّل لمقتل عثمان عدم اهتمامه بالاحتجاجات والمطالب الشعبية فلم يغيّر ولاته الفسقة الفجرة من أمثال معاوية وابن أبي سرح والوليد بن عقبة الفاسق بنصّ القرآن الكريم:

---

(١) الكامل في التاريخ، بأن الأثير ٣ / ١٥٣، العقد الفريد ٤ / ٢٧٠، شرح النهج ٩ / ٢٦٥، البداية والنهاية ٧ / ١٨٩.

﴿إِذَا جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾.

وعبدالله بن عامر ووزيره مروان بن الحكم.

٢ ـ بعد اشتداد الثورة الشعبية على عثمان في الكوفة جرّاء أعمال الوليد بن عقبة الفاسق أبدله عثمان بسعيد بن العاص الفاجر!

فلقد اشتدّ ولاته في فجورهم وعظم طغيانهم، وكثرت زلّاتهم لطفح كيل صبر الأمّة ونفد تحمّلهم، ورفع المؤمنون والفاسقون راياتهم على عثمان، وكان العدل كفيلاً بإسكاتهم وتهدأتهم لكنّ ابن عفان توسّل بالقوّة والمكر للقضاء على الثورة فأخطأ خطئاً جسيماً كان فيه نهايته.

٣ ـ بعد طرد الناس لعبدالله بن أبي سرح من مصر وإخراج الناس سعيد بن العاص من الكوفة وطرد عبدالله بن عامر من البصرة، تحرّرت الولايات الكبرى من سلطة العاصمة وأصبحت ولايات مستقّلة!

فتسابقت جماهيرها في الاقتصاص من عثمان وأعوانه وكان ذلك التسابق كفيلاً بإسقاط النظام وتحلّل أركانه، وكتب مسلموا المدينة إلى الآفاق: أن اقدموا فإن كنتم تريدون الجهاد فالجهاد عندنا[1].

٤ ـ وأصبحت الدولة الإسلامية لمدّة شهرين بلا قيادة، بعد محاصرة الثوار لبيت عثمان في المدينة وعزله عن العالم الخارجي وحدثت مناوشات حامية بين الطرفين ذهب ضحيّتها العديد من المسلمين.

وبعد سقوط البصرة والكوفة ومصر بيد الثوار بقيت الشام بيد الدولة لكن معاوية لم يساعد عثمان بل انتظر مقتله!

(١) تاريخ الطبري حوادث سنة ٣٤هـ.

٥ ـ ضعف شخصية عثمان تسبّبت في سيطرة حاشيته عليه وعلى رأسهم مروان بن الحكم الذي ألّب الرأي العام عليه وشحذ همم الناس في معارضته.

وكثيراً ما تسقط حكومات العالم من أعمال بطانة الزعماء غير المسؤولة، واستمرار الدعم اللامحدود لهم.

فلقد أعطى عثمان عهداً للناس علناً وقال:

فوالله لئن ردّني الحق عبداً لاستننّ بسنّة العبد، ولأذلف ذلّ العبد وما عن الله مذهب إلّا إليه، فوالله لأعطينّكم الرضا، ولأنحينّ مروان وذويه ولا احتجب عنكم! فرقّ الناس وبكوا حتى أخضلوا لحاهم وبكى هو أيضاً.

وكان عثمان قد قال في بداية خطبته تلك: أنّا أوّل من اتّعظ، استغفر الله ممّا فعلت وأتوب إليه.

ولكن مروان وسعيد تكلّما معه بعد خطبته تلك وأعاداه إلى سيرته الأولى، فسمح لمروان بالكلام مع الجماهير الغاضبة في باب الدار.

فقال مروان: ما شأنكم قد اجتمعتم كأنّكم قد جئتم لنهب؟ شاهت الوجوه، إلّا من أريدَ، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا! اخرجوا عنّا.

فقال علي عليه السلام لعبدالرحمن بن الأسود: احضرت خطبة عثمان؟

قال: نعم.

قال: أفحضرت مقالة مروان للناس؟

قال: نعم.

فقال علي عليه السلام أي عباد الله! يا للمسلمين إنّي إن قعدت في بيتي قال لي (عثمان): تركتني وقرابتي وحقّي، وإنّي إن تكلّمت فجاء من يريد يلعب به (مروان) فصار

سيقة له يسوقه حيث يشاء بعد كبر ألسن وصحبة رسول الله، وقام مغضباً حتىٰ دخل على عثمان فقال له: أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحريفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينة يُقاد حيث يُسار به.

والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا في نفسه[1]، وأيمّ الله إنّي لأراه سيوردك ثمّ لا يصدرك وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك وغلبت على أمرك.

فقالت نائلة لزوجها عثمان: قد سمعت قول علي لك وإنّه ليس يعاودك وقد أطعت مروان يقودك حيث يشاء، فإنّك متىٰ أطعت مروان قتلك[2].

وقد قال جبلة بن عمرو الساعدي لقومه: لم تردّون على رجل (السلام) فعل كذا وكذا؟ ثمّ قال لعثمان: والله لأطرحنّ هذه الجامعة في عنقك أو لتتركنّ بطانتك هذه الخبيثة مروان وابن عامر وابن العاص، منهم من نزل القرآن بذمّه وأباح رسول الله دمه[3].

ولكن عثمان استمرّ في الاعتماد على وزيره مروان وبطانته الفاسدة رغم عهوده للإمام علي عليه السلام والمسلمين بتنحيتهم عن السلطة ومحاسبتهم على جرائمهم المالية والاجتماعية والسياسية.

٦ ـ قرب عهد الصحابة بالنبي صلى الله عليه وآله جعلهم يأنفون من الظلم ويرفضون الباطل ويصرّون على العدل والحريّة. لكن عثمان أصرّ على الابتعاد عن العدل والحريّة والمساواة.

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ١٦٦.

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ١١٢، ط اوربا، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٩٦.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ١٦٨.

٧ـ اعتماد عثمان على حلّ الأمور بصورة قسرية عسكرية أفقده السعي لحلّ الأمور بشكل مناسب.

فبعد رسائله إلى ولاته بتوجيه الجيوش إليه بقي عثمان منتظراً وصولهم للقضاء على الثورة بالطريقة الحربية فتأخّرت تلك العساكر في الوصول إلى المدينة وامتنع معاوية من إرسال جنوده للخليفة! ولم يعتمد عثمان على المنطق والحكمة والعدالة في إرضاء الجماهير الساخطة.

٨ـ مشاركة عثمان في مقتل الخليفة أبي بكر دفع ذويه للانتقام منه جسدياً فأصدرت عائشة فتواها بقتله[1].

ومنع طلحة الماء عنه وحاصره في بيته وبذل بعضاً من أمواله العظيمة المستلمة من عثمان في سبيل القضاء عليه.

٩ـ الاغتيالات الكثيرة التي نفّذها عثمان وجهازه في حقّ الصحابة البارزين سهّلت على الناس الإقدام على قتله والتوسّل بالقوّة لحلّ معضلاتها، فلقد رغبت قبائل كثيرة في الثأر لأنفسها من عثمان بن عفان.

١٠ـ نظرية أبي بكر وعمر وعثمان في تصفية أعدائهم جسديّاً مثل رسول الله ﷺ وسعد بن عبادة والحباب بن المنذر وخالد بن سعيد بن العاص وسيّدة نساء العالمين فاطمة ؑ وأبي ذر وابن مسعود وأبيّ بن كعب أوجد جبهة معارضة واسعة للنظام تودّ القضاء عليه وعلى أفراده جسديّاً فقتل المسلمون عثمان.

١١ـ اغتيال رسول الله ﷺ بواسطة عائشة وحفصة وأبيها واغتيال فاطمة ؑ بواسطة أبي بكر وعمر، واغتيال أبي بكر بواسطة عمر وعثمان واغتيال

(١) نهج البلاغة ٣ / ٣، الإيضاح ٢٥٧.

عمر بواسطة الأمويين والمغيرة سهّل على الناس قتل عثمان وشجّع الجماهير على عمليّات القتل[١].

ولم يسلم من هذه الإجراءات الامام علي بن أبي طالب عليه السلام فذهب هو أيضاً ضحيّة هذه الأعمال فقُتل بواسطة الخوارج. ١٢ ـ اطّلاع الناس على الأحاديث النبوية بحقّ عثمان من لسان عائشة والصحابة جوّز لهم تلك العملية الجريئة المتمثّلة في ذبح عثمان[٢]، وأكّد ذلك فتاوىٰ الصحابة بقتله قصاصاً لدماء المؤمنين.

الذين أفتوا بقتل عثمان

بعث عثمان في طلب الأشتر فجاءه فسأله ماذا يريد الناس؟

قال مالك الأشتر: ثلاث ليس من إحداهن بدّ. قال: ما هنّ؟ قال: يخيّرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول: هذا أمركم فاختاروا من شئتم. وبين أن تقتصّ من نفسك، فإن أبيت فإنّ القوم قاتلوك. فقال عثمان: أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالاً سربلينه الله. وأمّا أن أقتصّ لهم من نفسي فوالله لئن قتلتموني لا تحابون بعدي ولا تصلون بعدي جميعاً[٣].

أمّا طلحة بن عبيدالله فهو أوّل رامٍ بسهم في دار عثمان ولمّا اشتدّ الحصار طلع عثمان وظمأ به العطش فنادىٰ أيّها الناس، اسقونا شربة من الماء وأطعمونا ممّا

---

(١) راجع كتابي هل اغتيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم واغتيال الخليفة أبي بكر للمؤلّف.

(٢) وطغيان عثمان برز في انه علىٰ علىٰ درجة النبي في منبره بينما انحط عنها درجة ابو بكر وعمر. العواصم من القواصم، ابن عربي ٦١.

(٣) البداية والنهاية ٧ / ٢٠٦.

رزقكم الله، فناداه الزبير بن العوام: يا نعثل لا والله لا تذوقه[١]. وقال تغلبة بن يزيد الحماني للزبير بن العوام وهو عند أحجار الزيت:

يا أبا عبدالله قد حيل بين أهل الدار وبين الماء فنظر نحوهم وقال: حيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنّهم كانوا في شكّ مريب[٢].

قال أبو ذر: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها والله ما هي في كتاب الله ولا سنّة نبيّه والله إنّي لأرىٰ حقّاً يطفأ وباطلاً يحيىٰ وصادقاً يكذب وإثرة بغير تقىٰ وصالحاً مستأثراً به[٣].

وقال عمار بن ياسر في مسجد قباء: إنّ نعثلاً هذا فعل وفعل[٤]، وقال الإمام علي عليه السلام إنّه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالأ عليه ولا رضي به[٥].

ولمّا ثبت عند الجميع محاولة عثمان التآمر لقتل محمّد بن أبي بكر هجم محمّد بن أبي بكر ومجموعة الثوّار على بيت عثمان. فأخذ محمّد بلحيته قائلاً: على أيّ دين أنت يا نعثل؟

قال: على دين الإسلام، قال: غيّرت كتاب الله.

فقال: كتاب الله بيني وبينكم، فتقدّم إليه محمّد وأخذ بلحيته وقال: إنّا لا يقبل منّا يوم القيامة أن تقول: إنّا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيل وشحطه بيده من البيت إلى الدار، وعثمان يقول: يا ابن أخي ما كان أبوك ليأخذ بلحيتي[٦].

---

(١) الجمل، المفيد ٧٤.

(٢) الجمل، المفيد ٧٤.

(٣) شرح النهج ٣ / ٥٥، أنساب الأشراف ٥ / ٥٣.

(٤) أنساب الأشراف، البلاذري، ٣٦٥.

(٥) البداية والنهاية ٧ / ٢١٦.

(٦) طبقات ابن سعد ٣ / ٧٣، أنساب الأشراف ٥ / ٨٢، ٩٢، ٩٨، البداية والنهاية ٧ / ١٩٣، تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٧٨، شرح النهج ٢ / ١٥٧، الإمامة والسياسة ١ / ٤٤.

عجيب، الدهر يكرّر المشاهد وينتقم من القتلة، فقد قتل عثمان أبا بكر حسينا كانا لوحدهما ولم يرحمه ولم يرع صداقته الطويلة معه.

بل كتب وصيّة أبي بكر وزوّرها بيده دون حضور شاهد ولم تختم بختم أبي بكر ولا كتبها أبو بكر بيده!!

وبعد إثنين وعشرين سنة فقط أفتت عائشة بقتل عثمان انتقاماً لأبيها وسحبه محمّد بن أبي بكر من لحيته وذبحه طلحة التيمي (ابن عم أبي بكر).

وروىٰ الطبري أنّ عثمان لمّا حصر كان عليّ ﷺ في خيبر في ماله فلمّا قدم أرسل إليه يدعوه فلمّا دخل عليه قال له: إنّ عليك حقوقاً حقّ الإسلام و...

والله لو لم يكن من هذا كلّه شيء وكنّا في جاهلية لكان عاراً على بني عبدمناف أن يبتزّهم أخو تيم ملكهم ـ يعني طلحة ـ.

فقال له ﷺ: سيأتيك الخبر ثمّ قام فدخل المسجد فرأىٰ أسامة بن زيد جالساً فدعاه فاعتمد على يده وخرج يمشي إلى طلحة فدخل داره، وهي دحاس من الناس فقام ﷺ فقال: يا طلحة ما هذا الأمر الذي وقعت فيه؟

فقال: يا أبا الحسن أبعد ما مسّ الحزام الطبّيين. فانصرف عليّ ﷺ ولم يحر إليه شيئاً حتىٰ أتىٰ بيت المال فنادىٰ: افتحوا هذا الباب فلم يقدروا على فتحه فقال: اكسروه فكسر فقال: أخرجوا هذا المال فجعلوا يخرجونه وهو يعطي الناس وبلغ الذين في دار طلحة ما صنع عليّ ﷺ فجعلوا يتسلّلون إليه حتىٰ بقي طلحة وحده.

وبلغ الخبر عثمان فسرّ بذلك ثمّ أقبل طلحة عامداً إلى دار عثمان فاستأذن عليه فلمّا دخل قال: أستغفر الله وأتوب إليه لقد رمت أمراً حال الله بيني وبينه.

فقال عثمان: إنّك والله ما جئت تائباً ولكن جئت مغلوباً الله حسيبك يا

طلحة[١].

وأفتى عبدالله بن مسعود بقتل عثمان في الكوفة وقال: إنّ شرّ الأمور محدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار (يعرض بذلك بعثمان وواليه الوليد بن عقبة)[٢]، وأفتى عبدالرحمن بن عوف بقتله قائلاً في مرضه: عاجلوه قبل أن يطغى ملكه[٣].

وقال ابن عوف للإمام علي عليه السلام: خذ سيفك وآخذ سيفي إنّه (عثمان) قد خالف ما أعطاني[٤].

وقالت عائشة وحفصة: اقتلوا نعثلاً فقد كفر[٥].

وقال عبدالرحمن بن عوف: لقد صدقنا عليك ما كنّا نكذب فيك تذكيراً منه لقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في الشورى:

أما أنّي أعلم أنّهم سيولون عثمان وليحدثنّ البدع والأحداث، ولئن بقي لأذكرنك وإن قُتل أو مات ليتداولها بنو أميّة بينهم، وإن كنت حيّاً لتجدني حيث تكرهون[٦].

لقد صدّق عبدالرحمن بن عوف متأخّراً نصائح الإمام علي عليه السلام له في الشورى فدعا الإمام لمحاربة عثمان قائلاً: إذا شئت فخذ سيفك وآخذ سيفي، إنّه (عثمان) قد خالف ما أعطاني[٧].

---

(١) شرح النهج ١٠ / ٨، تاريخ الطبري ١ / ٣٧١.

(٢) أضواء على السنّة المحمّدية، أبو رية ٢٦٠.

(٣) أضواء على السنّة المحمّدية، أبو رية ٢٦١.

(٤) الفتوح، ابن أعثم ١ / ٦.

(٥) راجع علاقة عائشة ـ عثمان في هذا الكتاب.

(٦) تاريخ الطبري ٤ / ٢٣٠.

(٧) الفتوح، ابن أعثم ١ / ٦، أنساب الأشراف ٥ / ٥٧.

فوجد ابن عوف صدق قول الإمام علي عليه السلام في عثمان إذ أحيا البدع وارتكب المعاصي وقتل المؤمنين. ثمّ قال له ولأضرابه في المشروع القرشي الحاقدين على أهل البيت عليهم السلام وإن كنت حيّاً لتجدني حيث تكرهون.

أي ستلاحظون عودة الخلافة الشرعية لي ببيعة شعبية عارمة وهذا ما كرهتموه في السقيفة والشورىٰ وغيرها. ثمّ تداولت بنو أمية الخلافة الإسلامية فجعلوها ملكاً وراثياً عقيماً يتناوله الطغاة منهم.

أثر ابن عوف في مقتل عثمان

قال ابن عوف: خلعت عثمان من الخلافة كما خلعت سربالي هذا. فأجابه مجيب من الصفّ الأوّل: **﴿ءآلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِيْنَ﴾**[1]، فنظروا من الرجل، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام. وقبل موته: أوصىٰ عبدالرحمن لئلا يصلي عليه عثمان[2].

وذكر الواقدي في تاريخه رواية، دخلت على عبدالرحمن في شكواه الذي مات فيه أعوده ـ فذكر عنده عثمان، فقال: عاجلوا طاغيتكم هذا قبل أن يتمادىٰ في ملكه.

قالوا: لا عهد لناقض.

وذكر الثقفي في تاريخه عن بلال: كنت مع عبدالرحمن جالساً فطلع عثمان فصعد المنبر، فقال عبدالرحمن: فقدت أكثرك شعراً وأنّ عثمان أنفذ المسور بن مخرمة[3] إلى

---

(١) يونس ٩١.

(٢) ذكره البلاذري في الأنساب ٥ / الفداء في تاريخ ١ / ٦٦، وابن عبدالبرّ في العقد الفريد ٢ / ٢٥٨، و٢٦١، و٢٧٢، قالوا: دخل عثمان عائداً له في مرضه فتحوّل عنه إلى الحائط ولم يكلّمه. وقريب منها في شرح ابن أبي الحديد ١ / ٦٥ـ٦٦.

(٣) لعلّها تقرأ: مخرمة. وهو غلط.

الكف عن التحريض[1] عليه.

فقال له عبدالرحمن: أنا أقول هذا القول وحدي؟ ولكن الناس يقولون جميعاً.

قال المسور: فإن كان الناس يقولون فدع أنت ما تقول فيه؟

فقال عبدالرحمن: لا والله ما أجده ثمّ قال له: قل له: يقول لك خالي: اتّق الله وحده لا شريك له في أمّة محمّد وما أعطيتني من العهد بكتاب الله وسنّة صاحبك فلم تف[2].

الخطير في علاقة ابن عوف ـ عثمان كونها علاقة قائمة على أسس تجارية مادّية لا علاقة لها بالدين كالعلاقة التي كانت قائمة بين أبي جهل وأبي لهب والعلاقة القائمة بين عمارة بن الوليد بن المغيرة وعمرو بن العاص.

ففي سفرتهما للحبشة رغب عمارة في الزنا مع امرأة ابن العاص فأبى أوّلاً ثمّ رضي لكنّه حقد على عمارة وخطّط لقتله فقتله. وكان ذلك في الجاهلية بينما استمرّت علاقة ابن عوف ـ عثمان قائمة على نفس الأسس في الإسلام وفي أعلى منصب حكومي إذ باع ابن عوف منصب الخلافة لعثمان عارفاً بشخصه وميوله الأموية وحرصه على الحكم وعدم اعتنائه بغير الأمويين وعدم اهتمامه بالعقود والعهود.

حصل ابن عوف على هذه المعلومات القيّمة عن طبيعة عثمان بعد معاشرة دامت أكثر من أربعين سنة في مكّة والمدينة. وبعد هذا جاء ابن عوف مطالباً عثمان بإعادة الحكم إليه وفق اتّفاقهما في تناوب الخلافة.

---

(١) كذا، بالضاد المعجمة ـ قال في القاموس ٢ / ٢٩٧: الحرض: الجشع.. والحرص: الشق وقال فيه ٢ / ٣٢٧، حثّه وقال قبل ذلك: أحرضه: أفسده.

(٢) كما صرّح به ابن حجر في الصواعق المحرقة: ٦٨.

وهذا نابع من غباء ابن عوف فردّه عثمان أوّلاً ردّاً سهلاً ثمّ ردّاً صعباً ثمّ قتله. وأغلب رجال السياسة يبيعون قيمهم لمنازل دنيوية بعيداً عن القيم السماوية. ودون تحقيق في مناهج وأهداف وأخلاق أصحابهم في السلك الحزبي والحكومي.

ولم تتوقّف القضية عند مقتل ابن عوف الحريص على السلطة بل أججّ ابن عوف الثورة على عثمان بدعوته للانتفاضة الشعبية، وفتواه بقتل عثمان الخارج على الدين والمخالف لسيرة الشيخين، والغادر باتّفاقه معه على تناوب الخلافة.

فساعد هذا التصرّف الجاهلي من الإثنين على تشويه الثقافة الإسلامية وتضعيف القيم السياسية فرضي الناس تدريجيّاً بأفعال معاوية ويزيد ومروان.

وقد اندهش الناس وهم يرون ابن عوف يبايع عثمان في المسجد النبوي يوماً. ثمّ تعجّبوا من دعوة ابن عوف لعزل عثمان وقتله في المسجد النبوي يوماً آخر!

مقتل عثمان بفتوى عائشة

قال حكيم بن عبدالله دخلت مسجد المدينة فإذا كفّ مرتفعة وصاحبة الكفّ تقول: أيّها الناس العهد قريب هذان نعلا رسول الله وقميصه (وكأنّي أرى ذلك القميص يلوح) وتقول: وإن فيكم فرعون هذه الأمّة. فإذا هي عائشة.

وعثمان يقول لها: اسكتي ثمّ يقول للناس إنّها إمرأة وعقلها عقل النساء فلا تصغوا إلى قولها.

وفي يوم آخر رفعت عائشة ورقة من المصحف بين عودتين من وراء حجلها وعثمان قائم ثمّ قالت يا عثمان: أقم ما في هذا الكتاب.

فقال: لتنتهينّ عمّا أنتِ عليه أو لأدخلت عليك حمر الناس. فقالت له عائشة:

أما والله لئن فعلت ذلك بنساء النبي يلعنك الله ورسوله[١].

ولمّا أفتت عائشة بقتل عثمان :اقتلوا نعثلاً لقد كفر[٢] وتيقّنت بقرب قتله أرادت الخروج إلى مكّة للفرار من تبعة فتواها فجاءها مروان بن الحكم وسعيد بن العاص فقالا لها:

إذاً لنظنّ أنّ الرجل مقتول وأنت قادرة على الدفع عنه فإن تقيمي يدفع الله بك عنه. قالت: ما أنا بقاعدة وقد قدّمت ركابي وغربت غرائري وأوجبت الحج على نفسي. فخرج من عندها مروان يقول: زخرف قيس عليّ البلاد حتىٰ إذا اضطربت.

فسمعته عائشة فقالت: أيّها المتمثّل هلمّ قد سمعت ما تقول أتراني في شكّ من صاحبك، والله لوددت أنّه في غرارة من غرائري حتىٰ إذا مررت بالبحر قذفته فيه.

فقال مروان: قد والله تبنّيت قد والله تبنيّت.

فسارت عائشة إلى مكّة فاستقبلها ابن عباس بمنزل يقال له الصلعاء فقالت يا بن عباس إنّك قد أوتيت عقلاً وبياناً وإيّاك أن تردّ الناس عن قتل الطاغية[٣].

وقالت عائشة له في المسجد النبوي في صلاة الجمعة: يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود[٤].

إنّ هذه الخطب النارية لعائشة أسقطت عثمان وحطّمت معنويّاته، فأصبح زعيماً بلا شعب ورأساً بلا قاعدة. بل يسعى الناس لإزاحته عن عرشه والتنكيل به وبجاهه فكان المسلمون يلعنونه في صلاة الجمعة ويرمونه بالحجارة وعائشة

---

(١) الجمل، المفيد ٧٦، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٨٠، النهاية ٤ / ١٦٦.

(٢) البحار ٣٢ / ١٣٦، النهاية ٥ / ٨٠، تاريخ الطبري ٤ / ٤٥٩، الإمامة والسياسة ١ / ٤٩.

(٣) الجمل، المفيد ٧٧، البحار ٣١ / ٢٩٩.

(٤) سورة هود ٩٨، البحار ٣١ / ٢٩٧.

تذكّرهم بأحاديث النبي ﷺ فيه.

وتذكّر المسلمين بدينهم وكتابهم ومحاولات عثمان المتكرّرة للنيل منهما.

فكانت أقوالها ولعناتها تصبّ على عثمان صبّ الزيت على النار.

فهي تسمّي عثمان بفرعون والطاغية ونعثل. وتكرّرت هذه الضربات القاصمة من عائشة وباقي رؤوس المعارضة ابن عوف، ابن مسعود، أبي ذر وعمار، والمقداد والزبير وطلحة وابن أبي وقاص وابن أرقم وابن العاص والمغيرة وحذيفة بن اليمان وحفصة ومالك الأشتر ومحمّد بن أبي حذيفة.

فهل يستطيع زعيم البقاء في منصبه وأعداؤه بهذه القوّة العظيمة وهذه المكانة الكبيرة؟ ولمّا قالوا لعائشة قُتل عثمان وولي الحكم ابن عمّك طلحة قالت: إيه ذا الأصبع[1].

وقالت: أحسن أبا محمّد (طلحة) حين حال بين عثمان وبين الماء فقالت لها بنت قدّامة: يا أمّاه أعلىٰ عثمان؟

فقالت: إنّ عثمان غيّر سنّة رسول الله ﷺ وسنّة الخليفتين من قبله فحلّ دمه[2].

ولمّا أخبروها ببيعة الناس للإمام علي عليه السلام قالت: وددت أنّ السموات وقعت على الأرض[3].

وطلب عثمان من عائشة الوساطة عند طلحة في قطعه الماء عنه وتحريض

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) البحار ٣١ / ٢٢٩، شرح النهج ٢ / ٧٧.

الناس على قتله فأبت عائشة[1].

والعجيب من عثمان كيف كان يتشبّث بالقشّة لانقاذ نفسه حتى تشبّث بعائشة المفتية بقتله للترحّم عليه فلم ترحمه! وكلّما طلب الوساطة من أمير المؤمنين علي عليه السلام تدخّل وأنقذه فهو الذي أرسل إليه الماء وحماه رغم العداء السافر الذي كان يكنّه عثمان لأهل البيت عليهم السلام، وما فعله من خطوب في حقّهم مثل فراره من الحروب وامتناعه عن بيعة الرضوان وعمرته في سنة الحديبية والنبي صلى الله عليه وآله والمسلمون لم يُسمح لهم بالعمرة ومشاركته في إحراق بيت فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وقتلها[2].

وبعدما قتلت عائشة عثمان بفتواها وتحريضها فرحت كثيراً وأعلنت سرورها وبيّنت انتصارها وأُنسها.

وشاركتها في أتراحها وفوزها حفصة بنت عمر فهما على نهج واحد وانسجام كامل وأهداف متّسقة ومن معدن واحد.

وقال طلحة في زمن النبي صلى الله عليه وآله: لئن قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله لا نكحنّ عائشة بنت أبي بكر.

فنزلت آية: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾[3].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ أبي الفداء ١ / ١٧٢، شرح النهج ٢ / ٧٧، ٩١، طبقات ابن سعدة / ٢٥، الإمامة والسياسة ١ / ٤٣، ٤٦، ٥٧ تاريخ الطبري ٥ / ١٤٠، ١٦٦، ١٧٢، ١٧٦، العقد الفريد ٢ / ٢٦٧، ٢٧٢، تاريخ دمشق، ابن عساكر ٧ / ٣١٩، الاستيعاب في ترجمة صخر بن قيس ٢ / ١٩٢، تذكرة سبط ابن الجوزي ٣٨، ٤٠، النهاية، ابن الأثير ٤ / ١٦٦، أسد الغابة ٣ / ١٥، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٨٧، حياة الحيوان، الدميري ٢ / ٣٥٩، السيرة الحلبية ٣ / ٣١٤، لسان العرب ١٤ / ١٩٣، تاج العروس ٨ / ١٤١.

(٣) الأحزاب ٥٣.

وفي رواية أنّ طلحة قال: لئن أمات الله محمّداً لنركضنّ بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا[١].

وقال الجاحظ لو قال قائل لعمر: أنت قلت أنّ رسول الله ﷺ مات وهو راضٍ عن الستّة فكيف تقول لطلحة إنّه مات ﷺ ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها لكان قد رماه بمشاقصه، ولكن من الذي كان يجسر على عمر أن يقول له ما دون هذا فكيف هذا؟[٢]

وهذا يبيّن عدم احترام طلحة لرسول الله ﷺ وعدائه له وحقده عليه فمن تمعّن في قول طلحة لسبر أغوار هذا الرجل وفهم عدم اعتقاده بنبوّة خاتم الرسل واعتناقه الإسلام في سبيل أغراضه الدنيوية.

لذا فرّ طلحة في كلّ المعارك الإسلامية وعارض خلافة أهل البيت عليهم السلام، أمّا الجاحظ فكان بكرياً معادياً عمر بن الخطّاب شأنه في ذلك شأن رجال الحزب البكري أمثال خالد بن الوليد وطلحة بن عبيدالله والمثنّىٰ بن حارثة الشيباني وعتبة بن غزوان وأبي عبيدة بن الجرّاح وعتاب بن أسيد.

فالجاحظ يظهر مثالب عمر ويعلّق عليها ويتهكم من أفعاله ويتستّر على مطاعن أبي بكر ويخفيها ويبرّرها شأنه في ذلك شأن الحزبيين المترمّتين.

ولو سار الجاحظ في تعليقه على الإثنين معاً لأنصف نفسه وأنصفهما وخطى الخطوات التي نخطوها في كلماتنا وصفحاتنا هذه.

فقد بيّن الجاحظ الخوف السياسي والحرّية الممنوعة في زمن عمر وهو عين الواقع. إذ لم يسمح ابن الخطّاب لأحد في مناقشته وردّ كلامه وهو عين الاستبداد

(١) البحار ٣١ / ٣٨٨.

(٢) شرح النهج ١ / ١٨٦، البحار ٣١ / ٣٨٨.

الكامل في الحكم والدكتاتورية المنفرة للنفوس. بينما سمح خاتم الرسل للمعارضة السياسية بالكلام والأخذ والردّ ولمّا أراد أصحابه قتل أعرابي سحب رداءه قال لهم ﷺ: إنّما هو قول بقول.

وكذلك فعل أمير المؤمنين علي ﷺ. بينما كان طغاة مكّة يلتزمون بمنهج الاستبداد في ردّ معارضيهم وقتلهم وسجنهم، وهو منهج أعرابي لا يمتّ إلى الإسلام بصلة.

مَنْ قتل عثمان بن عفّان؟

عادة يكون القاتل من الحاقدين جدّاً على المقتول وهو الدافع له للفتك بالضحية والإجهاز عليه، وغالب عمليّات القتل العمد تعتمد على هذا النوع من التوجّهات وكان طلحة التيمي المتّهم الأوّل بقتله، من أشدّ الناس حقداً وغضباً على عثمان بن عفّان لأسباب منها:

١ ـ الثأر لدماء أبي بكر التيمي الذي قتله عثمان غيلة واستحوذ على مركزه السياسي في الدولة بصورة غادرة وماكرة يستحقّ لأجلها القتل من قبل أصحاب الدم وهم أرحام أبي بكر.

٢ ـ العداء السياسي والحزبي بين الإثنين فعثمان من حزب عمر وطلحة من حزب أبي بكر والتنافس بينهما شديد جدّاً، فلقد تخاصما في زمن حكم عمر في المسجد النبوي أمام الملأ من المسلمين، وانحاز عمر إلى جانب عثمان.

فقال عمر لطلحة: أفي مسجد رسول الله تقولان الهجر وما لا يصلح من القول

ما أنت مني بناج [1].

لذلك صمّم طلحة على قتل عثمان عطشاناً إذ منع عنه الماء أيّاماً عديدة وهي عادة جاهلية يرفضها الإسلام وفعلاً قتله عطشاناً. إذ أرسل طلحة إثنين من عبيده من البيت المجاور لعثمان فذبحاه [2].

وعرف مروان بن الحكم صهر عثمان بالعملية والقائد لها فصمّم على الإنتقام لصهره وابن عمّه وصاحب الفضل عليه بالوزارة، والمصاهرة وفي معركة الجمل كان طلحة ومروان في جيش عائشة يطالبان بدماء عثمان.

ولاحظ مروان بأنّ قاتل عثمان يقف أمامه فكيف لا ينتهز هذه الفرصة الذهبية ويقتله. فصوّب سهمه إلى طلحة وقتله وهو يقول: لا أطالب بدماء عثمان بعد اليوم!

وخاف الأمويون من فضيحة طلحة وانكشاف الأوضاع واطّلاع الناس على الواقع، وسقوط طلحة يعني سقوط الحزب القرشي ونظريّاته.

فلعبت يد السياسة بالأحداث فأرادت توجيه الإتّهام لغير طلحة بقتله، وانقاذ هذا الصحابي من تلك الأفعال والأقوال المخزية التي ارتكبها. فهو قتل عثمان وطالب بدمه، وهو منع الماء عن عثمان أيّاماً طويلة ثمّ وقف مدافعاً عنه لأجل السياسة والدنيا. فظهرت الأقوال الأموية في زمن كتابة التاريخ المزوّر باتّهام رجال آخرين بدماء عثمان. فقالوا قتله جبلّة بن الأيهم وقيل كبيرة السكوني وقيل كنانة بن بشر التجيبي [3].

---

(١) تاريخ المدينة المنوّرة، ابن شبة ١ / ٣٣.

(٢) البحار ٣١ / ٢٨٥.

(٣) المستدرك، الحاكم ٣ / ١١٥، البحار ٣١ / ٤٩٧، تاريخ دمشق، ابن عساكر ٧ / ١٧٥، الرياض، المحبّ الطبري ٢٠/٣٠.

مقتل عثمان

في الثامن عشر من ذي الحجّة من سنة خمس وثلاثين من الهجرة، قُتل عثمان بن عفان[١] بن الحكم بن أبي العاص بن ذكوان بن أمية الرومي[٢]، كنيته: أبو عمرو، وأبو عبدالله، وأبو ليلىٰ، مولده في السنة السادسة بعد الفيل بويع له سنة ٢٤ هجرية.

مدّة ولايته إثنا عشر سنة إلّا أيّاماً. قُتل بالسيف وله يومئذ إثنتان وثمانون سنة، وقيل: ستّ وثمانون سنة، وأُخرج من الدار وأُلقي على بعض مزابل المدينة لا يقدم أحد على مواراته خوفاً من المهاجرين والأنصار، حتىٰ احتيل لدفنه بعد ثلاث، فأُخذ سرّاً فدفن في حشّ كوكب، وهي مقبرة كانت لليهود بالمدينة، فلمّا ولي معاوية بن أبي سفيان وصلها بمقابر أهل الإسلام.

وفي هذا اليوم بعينه بايع الناس أمير المؤمنين عليه السلام بعد عثمان، ورجع الأمر إليه في الظاهر والباطن، واتّفقت الكافّة عليه طوعاً بالاختيار[٣]، وفي هذا اليوم أخزىٰ الله عزّ وجلّ فرعون وجنوده من أهل الكفر والضلال، وفيه نجّىٰ الله تعالىٰ إبراهيم عليه السلام من النار وجعلها برداً وسلاماً كما نطق به القرآن، وفيه نصب موسىٰ بن عمران وصيّه يوشع بن نون ونطق بفضله على رؤوس الأشهاد، وفيه أظهر عيسىٰ وصيّه شمعون الصفا، وفيه أشهد سليمان بن داود عليه السلام سائر رعيّته على استخلاف آصف وصيّه عليه السلام، وفيه نصب رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام ودلّ على فضله بالآيات والبيّنات، وهو يوم كثير البركات.

---

(١) العدد القوية في المخاوف اليومية ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٢) البحار ٣٠ / ٥٤٣، الزام الناصب ١٠٤، شرح النهج ١٥ / ١٩٨، النزاع والتخاصم ٢٢، الروض الأنف ٥ / ١٨٥.

(٣) ومن قوله: في هذا اليوم.. إلى هنا ذكره العلّامة المجلسي أيضاً في بحاره ٩٨ / ١٩٤.

وكان أوّل من دخل عليه الدار محمّد بن أبي بكر فأخذ بلحيته، فقال له: دعها يا بن أخي فوالله لقد كان أبوك يكرمها، فاستحىٰ وخرج[1] ثمّ دخل رومان بن أبي سرحان ـ رجل أزرق قصير محدود عداده في مراد، وهو من ذي أصبح ـ معه خنجر فاستقبله به وقال: على أيّ دين أنت يا نعثل؟

فقال عثمان: لست بنعثل، ولكنّي عثمان بن عفّان، وأنا على ملّة إبراهيم حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، قال: كذبت، وضربه على صدغه الأيسر فقتله، فخرّ، وأدخلته امرأته نائلة بينها وبين ثيابها، وكانت امرأة جسيمة، ودخل رجل من أهل مصر معه السيف مصلتاً، فقال: والله لأقطعنّ أنفه، فعالج المرأة فكشف عن ذراعيها وقبضت على السيف فقطع إبهامها، فقالت لغلام عثمان يقال له: رباح ومعه سيف عثمان: أعني على هذا وأخرجه عنّي، فضربه الغلام بالسيف فقتله، وأقام عثمان يومه ذلك مطروحاً إلى الليل فحمله رجال على باب.

الدفن ليلاً

ولا يدفن المسلمون ميّتاً ليلاً إلّا لأمور خطيرة، وأوّل من دُفن ليلاً هو رسول الله ﷺ بعدما قتلته الجماعة المسيطرة على الخلافة وطلبت فاطمة الزهراء عليها السلام دفنها ليلاً كي لا يحضر تشييعها من شارك في ظلمها، على رأس هؤلاء أبو بكر وعمر.

كذلك طلب ذلك عبدالله بن مسعود والمقداد بن عمرو من عمار بن ياسر أن يصلّي عليها ويدفنها ليلاً كي لا يحضر مراسمها عثمان بن عفان[2]. وتلا ذلك دفن

---

(١) في الاستيعاب ٢ / ٤٧٧ ـ ٤٧٨: الدار عليه ـ بتقديم: تأخير ـ.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٨، صحيح البخاري، باب فرض الخمس ٥ / ١٧٧، أنساب الأشراف، البلاذري ١ / ٤٠٥، طبقات ابن سعد ٨ / ٢٩.

عمر وعثمان ليلاً دون تشييع ولا حضور جماهيري!

ولمّا مات عثمان لم يتمكّن أهله من دفنه نهاراً خوفاً من الثوار الذين كانوا يرجموهم بالحجارة فدفن ليلاً بين المغرب والعتمة، ولم يشهد جنازته إلّا مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة[١].

وبينما نفى عثمان أبا ذر الغفاري إلى صحراء الربذة ليموت هناك غريباً بين غلامه وزوجته، بقي جسد عثمان وعبديه ثلاثة أيّام بلا دفن، فتفسّخت الأجساد فقالت نائلة لعبدالرحمن بن عديس: «إنّك أمسّ القوم رحماً وأولاهم بأن تقوم بأمري، أغرب عني هؤلاء الأموات، فشتمها وزجرها.

وقال النفر الذين دفنوا عثمان لكنانة بن بشر: إنّك أمسّ القوم بنا رحماً فأمر بهاتين الجيفتين اللتين في الدار أن تخرجا، فكلّمهم في ذلك فأبوا ذلك»[٢].

وأقدم الناس على دفن عثمان في مقبرة اليهود (حش كوكب) غريباً بلا غسل ولا كفن ولا صلاة[٣]، ورموا بعبديه على البلاط فأكلتها الكلاب[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٤٣٩.

(٢) نائلة زوجة عثمان، تاريخ الطبري ٣ / ٤٣٨، ٤٤٠.

(٣) تاريخ الطبري ٣ / ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، الكامل في التاريخ ٣ / ١٨٠.

(٤) تاريخ الطبري ٣ / ٤٤١ حوادث سنة ٣٥ هجرية.

فهرس المصادر

حرف الألف

١ ـ أنساب الأشراف، احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، تحقيق المحمودى مؤسسة الأعلمي بيروت.

٢ ـ الأخبار الموفقيات، الزبير بن بكار، المتوفى سنة ٢٥٦ هجرية طبع سنة ١٤١٦ هجرية وزارة الثقافة ـ بغداد.

٣ ـ الايضاح، للفضل بن شاذان النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦٠ هجرية. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

٤ ـ الإمامة والسياسة، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ هجرية، شركة الحلبي ـ مصر.

٥ ـ الاخبار الطوال، أحمد بن داود الدينوري المتوفىسنة ٢٨٢ هجرية ـ وزارة الثقافة والأرشاد ـ مصر.

٦ ـ اثبات الوصية، على بن الحسين بن علي المسعودي، المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

٧ ـ اضواء على السنة المحمدية، محمود ابو رية مؤسسة انصاريان ١٤١٦ هـ ١٩٩٥م.

٨ - الطبقات الكبرى، ابن سعد، المتوفى سنة ٢٣٠ هجرية دار صادر - بيروت.

٩ - الإصابة، احمد بن على بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٠ - أسد الغابة، ابن الأثير على بن محمد الجزري، المتوفى سنة ٦٣٠ هجرية دار احياء التراث العربي - بيروت.

١١ - الامالي، ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى سنة ٤٦٠ هجرية. مؤسسة النشر الأسلامي، قم.

١٢ - الامالي، المفيد، منشورات النشر الأسلامي، قم.

١٣ - الإمام الحسين عليه السلام، عبد الله العلايلي، الشريف الرضي، قم.

١٤ - الاموال - ابو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هجرية. دار الكتب العلمية

١٥ - الاخبار الموفقيات - الزبير بن بكار - منشورات الشريف الرضي - قم

١٦ - اطراف مسند الإمام أحمد، ابن حجر العسقلاني، دار ابن كثير، بيروت.

١٧ - الاختصاص، المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى المتوفى سنة ٤١٣ هجرية، منشورات جماعة المدرسين، قم.

١٨ - ارشاد القلوب - ابو محمد الحسن بن محمد الديلمي - منشورات الشريف الرضي - قم

١٩ - الاحتجاج، لأبي منصور احمد بن على الطبرسي، دار الاسوة، قم.

٢٠ - الارشاد. محمد بن محمد النعمان العكبرى البغدادى المتوفى سنة ٤١٣ هجرية. مؤسسة آل البيت. قم

حرف الباء

٢١ - البداية والنهاية، ابن كثير، اسماعيل بن كثير الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هجرية مؤسسة التاريخ العربي بيروت.

٢٢ ـ البدء والتاريخ، احمد بن سهل البلخي، المتوفى سنة ٣٢٢ هـجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، المتوفى سنة ١١١١ هجرية. مؤسسة الوفاء، بيروت.

٢٤ ـ البيان والتبيين، الجاحظ، دار صعب، بيروت.

٢٥ ـ بلاغات النساء لأحمد بن أبي طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هجرية. المطبعة الحيدرية ـ قم.

حرف التاء

٢٦ ـ تاريخ الامم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠ هجرية مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

٢٧ ـ تاريخ أبي الفداء اسماعيل بن علي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٨ ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير أبي الفداء اسماعيل الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هجرية، دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

٢٩ ـ تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبة النميرى المتوفى سنة ٢٦٢ هجرية طبعة السعودية.

٣٠ ـ تاريخ أبي زرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو النصري، المتوفى سنة ٢٨١ هجرية دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣١ ـ تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هجرية. الدار المتحدة ـ مصر.

٣٢ ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، المتوفى سنة ٢٩٢ هجرية دار صادر ـ بيروت ١٣٧٥هـ

٣٣ ـ تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط العصفري، المتوفى سنة ٢٠٤ هجرية دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٤ ـ التنبيه والاشراف، علي بن الحسين المسعودي، المتوفى سنة ٣٤٥ هجرية دار صادر ـ القاهرة.

٣٥ ـ تاريخ مختصر الدول، ابن العبري غويغوريوس الملطى المتوفى سنة ٦٨٥ هجرية طبع مؤسسة نشر الثقافة الاسلامية ـ قم.

٣٦ ـ تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ورام بن أبي نؤاس المالكي، دار التعارف ـ بيروت.

٣٧ ـ تثبيت الامامة، يحيى بن الحسين بن القاسم المتوفى سنة ٢٩٨ هجرية، دار السجاد، بيروت.

٣٨ ـ تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة اسماعيليان، الطبعة الثانية قم.

٣٩ ـ تفسير التبيان، ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، مكتب الاعلام الأسلامي ـ قم.

٤٠ ـ تفسير مجمع البيان، لأبي على الفضل بن الحسن الطبرسي، المتوفى سنة ٥٤٨ هجرية المكتبة العلمية ـ طهران.

٤١ ـ تقريب المعارف، لأبي الصلاح تقى بن نجم الحلبي، المتوفى سنة ٤٤٧ هجرية. طبع قم.

٤٢ ـ تاريخ بغداد، ابو بكر احمد بن على الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هجرية دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٣ ـ تفسير الآلوسي، محمود البغدادى المتوفى سنة ١٢٧٠ هجرية. دار احياء التراث العربي، بيروت.

٤٤ ـ تنوير الحوالك في شرح موطأ مالك، جلال الدين السيوطي، دار الفكر ـ بيروت.

٤٥ ـ تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية دار الكتاب العربي.

٤٦ ـ تفسير الفخر الرازي ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

٤٧ ـ تاريخ ابن الوردي، زين الدين بن عمر المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤٨ ـ تفسير الكشاف، الزمخشري، مكتب الإعلام الإسلامي ١٤١٤ هـ

٤٩ ـ تاريخ الخميس لحسين بن محمد بن الحسن الدياربكري ـ دار صادر بيروت.

حرف الجيم

٥٠ ـ الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، المتوفى سنة ٣٢٧ هجرية. دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

٥١ ـ الجمل، المفيد محمد بن العكبري، مكتبة الداوري، طهران.

٥٢ ـ جمهرة أنساب العرب، علي بن احمد بن حزم، المتوفى سنة ٤٥٦ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٣ ـ جمل من أنساب الاشراف، احمد بن يحيى البلاذري، المتوفى سنة ٢٧٩ هجرية دار الفكر، بيروت ـ لبنان.

حرف الحاء

٥٤ ـ حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٥ ـ حياة محمد، محمد حسين هيكل، طبع مصر.

٥٦ ـ حديث الافك ـ جعفر مرتضى ـ دار التعارف ـ بيروت

٥٧ ـ حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى الدميري، المتوفى سنة ٨٠٨ هجرية. منشورات الشريف الرضي ـ قم.

حرف الخاء

٥٨ ـ الخصال، محمد بن علي ابن بابويه القمي الصدوق، المتوفى سنة ٣٨١ هجرية. منشورات النشر الأسلامي، قم.

حرف الدال

٥٩ ـ دلائل النبوة، احمد بن حسين البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨ هجرية دار الكتب العلمية بيروت.

٦٠ ـ دلائل الصدق، محمد حسن المظفر، دار المعلم، القاهرة.

٦١ ـ الدرجات الرفيعة. على خان الشيرازي. مؤسسة الوفاء ـ بيروت

حرف الراء

٦٢ ـ رجال الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن المتوفى سنة ٤٦٠ هجرية. المكتبة الحيدرية، النجف.

٦٣ ـ الرد على المتعصب العنيد، ابن الجوزي، تحقيق المحمودي.

٦٤ ـ رجال الكشي، تحقيق مهدى الرجائي. مؤسسة آل البيت ـ قم.

٦٥ ـ رجال السيد بحر العلوم، محمد مهدى بحر العلوم. منشورات الصادق، طهران.

٦٦ ـ الروض الأنف، عبد الرحمن السهيلى المتوفى سنة ٥٨١ هجرية. دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

حرف السين

٦٧ ـ السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، المتوفى سنة ١٠٤٤ هجرية دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

٦٨ ـ سيرة ابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار، المتوفى سنة ١٥١ هجرية دار الفكر بيروت

٦٩ ـ السيرة النبوية، أحمد زيني دحلان، المتوفى سنة ١٣٠٤ هجرية دار احياء التراث العربي بيروت.

٧٠ ـ سيرة ابن هشام لأبي محمد عبد الملك بن هشام، شركة الحلبي ـ مصر ١٣٥٥هـ، ١٩٣٦ م.

٧١ ـ سيرة المصطفى، معروف الحسني، دار القلم، بيروت.

٧٢ ـ السيرة النبوية، عيون الأثر، محمد ابن سيد الناس، المتوفى سنة ٧٣٤ هجرية. مؤسسة عزالدين، بيروت.

٧٣ ـ السيرة النبوية، أبو حاتم محمد بن احمد التميمي، المتوفى سنة ٣٥٩ هجرية دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٤ ـ السقيفة وفدك، الجوهري، مكتبة ناصر خسرو، طهران.

٧٥ ـ سفينة البحار ـ عباس القمي ـ دار الاسوة ـ قم

٧٦ ـ كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق الأنصاري ـ نشر الهادي ـ قم.

حرف الشين

٧٧ ـ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، دار الحلبي وشركاه، مصر، وطبعة دار الفكر، بيروت.

حرف الصاد

٧٨ ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١ هجرية تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. دار احياء التراث العربي-بيروت.

٧٩ ـ صحيح النسائي، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨ هـ

٨٠ـ صحيح الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨ هـ
٨١ـ صحيح أبي داود، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٩ هـ
٨٢ـ صحيح ابن ماجة، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨ هـ
٨٣ـ صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم المتوفى سنة ٢٥٦ هجرية دار القلم ـ بيروت.
٨٤ـ الصحيح من سيرة النبي الاعظم، جعفر مرتضى، دار السيرة، بيروت.

حرف العين

٨٥ـ العقد الفريد، ابن عبد ربه، دار احياء التراث العربي بيروت.
٨٦ـ عمر بن الخطاب الفاروق القائد، محمود شيت خطاب، دار مكتبة الحياة ـ بيروت.
٨٧ـ عبقرية عمر، عباس محمود العقاد، دار الهلال.
٨٨ـ عيون الاخبار ـ عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هجرية. دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٢٥م.

حرف الغين

٨٩ـ الغارات، ابراهيم بن محمد بن سعيد ابن هلال الثقفي، دار الكتاب الأسلامي، ايران.

حرف الفاء

٩٠ ـ الفتوح، ابن اعثم، احمد بن اعثم الكوفي المتوفى سنة ٣١٤ هجرية دار الكتب العلمية.
٩١ ـ الفاروق عمر، محمد حسنين هيكل، دار المعارف ـ مصر، ط. الخامسة.

٩٢ ـ فتح الباري، احمد بن على بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٣ ـ فتوح الشام، محمد بن عمر الواقدي، المتوفى سنة ٢٠٧ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.

حرف القاف

٩٤ ـ قصص العرب، جاد الحق والبجاوي ومحمد أبو الفضل، دار احياء الكتب العربية.

حرف الكاف

٩٥ ـ الكامل في التاريخ، ابن الأثير على بن أبي الكرم الشيباني، دار بيروت ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م.

٩٦ ـ فتوح البلدان، احمد بن يحيى البلاذري، تحقيق رضوان محمد رضوان دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٩٧ ـ الكافي، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني، المتوفى سنة ٣٢٩ هجرية دار الكتب العلمية، طهران.

حرف اللام

٩٨ ـ لسان الميزان، احمد بن على بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية دار الفكر ـ بيروت.

٩٩ ـ لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، مطبعة ادب الحوزة ١٤٠٥ هـ

حرف الميم

١٠٠ ـ المعارف، لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، دار الثقافة ـ مصر.

١٠١ ـ مروج الذهب، علي بن الحسين المسعودي، دار الأندلس بيروت.
١٠٢ ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، المتوفى سنة ٣٥٦ هجرية الطبعة الثانية المكتبة الحيدرية ـ النجف.
١٠٣ ـ مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر، لمحمد بن مكرم (ابن منظور) دار الفكر ـ دمشق.
١٠٤ ـ ميزان الاعتدال، محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية دار المعرفة ـ بيروت.
١٠٥ ـ المغازي، محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢١٢ هجرية طبع دار المعرفة الاسلامية ١٤٠٥ هجرية.
١٠٦ ـ مناقب أميرالمؤمنين عمر، محمد بن الجوزي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٠٧ ـ المنتظم، أبو الفرج بن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧ هجرية. دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٠٨ ـ المثالب، هشام ابن الكلبي، دار الهدى للتراث ـ بيروت.
١٠٩ ـ من لا يحضره الفقيه، لأبي جعفر محمد بن على ابن بابويه القمى الصدوق، نشر الإمام المهدي ـ قم.
١١٠ ـ مرآة العقول، محمد باقر المجلسي، دار الكتب العلمية ـ طهران.
١١١ ـ معاني الاخبار، ابو جعفر محمد بن على الصدوق، المتوفى سنة ٣٨١ هجرية مؤسسة النشر الأسلامي، قم.
١١٢ ـ المستدرك، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هجرية، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١١٣ ـ مقتل الحسين، الموفق بن احمد المكى الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٦٨ هجرية. دار انوار الهدى، قم.
١١٤ ـ المناقب، الموفق بن احمد الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٦٨ هجرية. مؤسسة النشر الأسلامي ـ قم.

١١٥ ـ معجم البلدان، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٦ ـ المحلى، علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ـ طبع دار الفكر.

١١٧ ـ معجم الادباء، ياقوت بن عبد الله الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية. دار التراث العربي، بيروت.

١١٨ ـ المعجم الكبير، ابو القاسم سليمان بن احمد الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠ هجرية دار احياء التراث العربي، بيروت.

١١٩ ـ معجم رجال الحديث، ابو القاسم الموسوى الخوئي، مركز نشر آثار الشيعة، قم.

١٢٠ ـ الملل والنحل، الشهرستاني، المكتبة الانجلو مصرية ـ القاهرة.

١٢١ ـ مرآة الجنان لعبد الله بن اسعد بن على اليافعى المتوفى سنة ٧٦٨ هجرية دار الكتب العلمية.

١٢٢ ـ مشكل الآثار لأحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى. المتوفى سنة ٣٢١ هجرية. دائرة المعارف ـ الهند طبعة ١٣٣٣ هجرية.

حرف النون

١٢٣ ـ نوادر المخطوطات ـ عبد السلام هارون ـ دار الجيل ـ بيروت.

١٢٤ ـ النسب، لأبي عبيد القاسم بن سلام، المتوفى سنة ٢٢٤ هجرية دار الفكر، بيروت.

حرف الواو

١٢٥ ـ وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، المتوفى سنة ٢١٢ هجرية. مكتبة المرعشي النجفي، قم ١٤١٨هـ

١٢٦ ـ وفيات الأعيان، احمد بن محمد بن ابراهيم ابن خلكان، المتوفى سنة ٦٨١ هجرية دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢٧ ـ وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، المتوفى سنة ١١٠٤ هجرية. دار احياء التراث العربي، بيروت.

١٢٨ ـ وقعة الطف ـ لأبي مخنف لوط بن يحيى ـ مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.

١٢٩ ـ الوفا بأحوال المصطفى لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هجرية. دار الكتب العلمية.

حرف الياء

١٣٠ ـ ينابيع المودة، سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي، ـ الشريف الرضي، قم.

فهرس الموضوعات

صدر للمؤلف

١ - الفكر القومي إسلامياً و تاريخياً

٢ - سقوط الدول والحكومات (دراسة في النموذج الأندلسي)

٣ - سقوط الدول والحكومات (دراسة في النموذج العثماني)

٤ - السقيفة إنقلاب أبيض

٥ - هل اغتيل النبي محمد ﷺ؟

٦ - اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة

٧ - نظريات الخليفتين (٢ مجلد)

٨ - السيرة النبوية (٢ مجلد)

٩ - نساء النبي ﷺ وبناته

١٠ - يهود بثوب الإسلام

١١ - صاحب الغار أبو بكر أم رجل آخر؟

١٢ - هل قتل البابليّون والنصارى والمسلمون اليهود؟

١٣ - الإرهاب

١٤ - نظريات الخليفة عثمان بن عفان (٢ مجلد)